آية الله العظمى مكارم الشيرازي

المعاد وعالم الآخرة

إعداد: عبد الرحيم حمراني


بسم الله الرحمن الرحیم

المعاد و عالم الاخرة

كاتب:

آیت الله العظمی ناصرمکارم شیرازی (دام ظله)

نشرت فی الطباعة:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

المعاد و عالم الاخرة

اشارة

سرشناسه : مکارم شیرازی ناصر، ۱۳۰۵ – عنوان قراردادی : معاد و جهان پس از مرگ .عربی عنوان و نام پدیدآور : المعاد و عالم‌الاخره تالیف مکارم‌الشیرازی اعداد عبدالرحیم حمرانی مشخصات نشر : قم مدرسه الامام علی‌بن ابی‌طالب ع ۱۴۲۵ق [۱۳۸۳]. مشخصات ظاهری : ۲۶۴ ص. شابک : ۱۰۰۰۰ ریال ۹۶۴-۸۱۳۹-۲۸-۸ : ؛ ۱۳۰۰۰ ریال(چاپ دوم) وضعیت فهرست نویسی : فاپا یادداشت : عربی. یادداشت : پشت جلد به انگلیسی: Resurrection day hereafter. یادداشت : چاپ دوم: ۱۴۲۸ق. = ۱۳۸۶. یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس موضوع : معاد موضوع : مرگ موضوع : رستاخیز شناسه افزوده : حمرانی عبدالرحیم شناسه افزوده : مدرسهٔ الامام علی بن ابی طالب (ع) رده بندی کنگره : BP۲۲۲/م۷م۶۰۴۳ ۱۳۸۳ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۴ شماره کتابشناسی ملی : م۸۳-۲۹۹۰۵

المقدمة

اشارة

أبی! أهدی هذه البضاعة الزهیدة إلی روحک الطاهرة ورداً لخدماتک الجلیلة اللامتناهیة، لیبقی اسمک یذکر بخیر ویکون ذلک سکینة لک فی جوار الرحمة الإلهیة، و کذلک علامة متواضعة علی عدم إنکار ولدک للجمیل وعرفانه بالحق «۱».

الأیمان بالمبدأ والمعاد

الأصلان المذکوران من أهم أرکان الاسلام، وذلک لتعذر إنتظام أی مشروع أخلاقی وعملی بدونهما، کما لا یسع أی إنسان أن یسلک نهج الحق والعدل والورع والتقوی. أمّا الإیمان بالمبدأ فیعنی أنّ الإنسان یری نفسه بین یدی اللَّه الذی یعلم بکافة نیّات الإنسان وأفعاله وأعماله صغیرها وکبیرها وظاهرها وباطنها، بل إنّه یعلم حرکة أعین الآثمین، ویسمع حسیس المتناجین، و هو علیم بکل ما یخطر علی قلوبنا و یقتدح فی أذهاننا: «یَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْیُنِ وَمَا تُخْفِی الصُّدُورُ» «۱». إنّه قریب مَنّا، بل أقرب إلینا من حبل الورید: «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ» «۲». لیس هنالک أی حجاب یمکنه أن یحجبنا عنه، وهو لا ینفک عنّا فی أی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶ زمان ومکان: «وَهُوَ مَعَکُمْ أیْنَما کُنْتُمْ» «۱». و أمّا الإیمان بالمعاد، فهو یعنی الإیمان بمحکمة العدل الإلهی التی لیس لها أی شبه بمحاکم الدنیا وهذا العالم الذی نعیش فیه، فجمیع الأعمال حاضرة لدیه: «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» «۲». و السّجل یضم کافة الأعمال بغض النظر عن صغرها و کبرها: «لَا یُغَادِرُ صَغِیْرةً وَ لَاکَبِیرةً الّا احْصَاهَا» «۳». و نحن الذین ینبغی علینا أن نقرأ ملّف أعمالنا، کما علینا أن نقضی بشأن أنفسنا و نحکم فیها: «اقْرَأْ کِتَابَکَ کَفی بِنَفْسِکَ الَیومَ عَلَیْکَ حَسِیباً» «۴». ونحن الذین سندلی بشهاداتنا علی أعمالنا بما فی ذلک أعضاؤنا وجوارحنا التی ستشهد فی تلک المحکمة: «وَ شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ» «۵» فلا سبیل إلی الإنکار ولا سبیل إلی الرجوع و تلافی ما فرط منّا، ولیس لنا طاقة علی تحمل العذاب الإلهی، کما لیس من سبیل للهرب. المحسنون والصالحون و المقربون فی جوار الحق و رحمة الله یتلذذون بالنعم التی لم ترها عین أو تسمع بها أذن أو تخطر علی قلب بشر؛ بینما یتجرّع المسیئون و الآثمون و الظالمون غصص جهنم التی تطلع علی أفئدتهم فتحرقهم: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِی تَطَّلِعَ عَلَی الافْئِدَةِ» «۶». نعم لو عشنا الإیمان بالأصلین المذکورین، بل لو کانت لأرواحنا أدنی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷ إلتفاتة إلیهما لکفانا ذلک و کان لنا معیناً فی تربیة أنفسنا وهدایتها، وبخلافه إذا غاب الإیمان بالمبدأ و المعاد فسوف لن یکون هناک أیة شرعة أو منهاج یمکنه

إصـلاح الإنسان. و الكتاب الـذى بين يديـك- و الذى نهضت دار سـرور للنشـر بطبعه- هو جهد متواضع من أجل إحياء الأصل الثانى يعنى المعاد، بلسان العصـر وبصـيغة إسـتدلالية سهلة الإدراك و الفهم لجميع المستويات ويتضمن أجوبة شافية لكافة الأسئلة وعلامات الاسـتفهام. نأمـل أن نعيش السـعى فى بنـاء الـذات و تهـذيب النفس قبـل حلول ذلـك اليوم من خلال الإيمان بهـذا الأصل الاعتقادى المهم. قم- الحوزة العلمية ناصر مكارم الشيرازىنيسان ۱۹۹۷ م

ماذا نعلم عن عالم ما بعد الموت؟

۱- آفاق من أبحاث الكتاب

لقـد كتب القليل النادر للأسف الـذى لا يتجاوز عـدداً محـدوداً فى مجال المعاد و قيامـة الأرواح و الأجساد و العالم الأخر بعد الموت رغم الأهميّـة القصوى الـتى تحظى بهـا هـذه الموضوعـات، و على الرغم من تعطش أفراد الجنس البشـرى لمعرفـة مـاذا سـيحدث بعد الموت، هل ستسـتمر الحياة وفى إطار أفق أوسع وأشـمل أم لا؟ هل أنّ ظروف الحياة فى العالم الآخر هى ذاتها بالنسبة للحياة فى هـذا العـالم، أم حالنـا بالنسـبة إلى حقـائق ذلك العالم حال الجنين الـذى لايمكنه أن يتصور أوضاع الحياة خارج رحم أمّه فلا يـدرك من مفاهيم الحياة وشروق الشمس و ضياء القمر و مداعبة نسيم الربيع و جمال البراعم و الزهور و تلاطم الأمواج و عظمة عالم الخلق سوى أنّها قبضـة من اللحم و الـدم. فهل لجهودنا فى ظلّ هـذه الحالـة أن تكلل بالنجاح؟ هل حقّاً سـتكون أعمالنا السـيئة والصالحـة معنا فى ذلك العالم، و هى التى ستسوقنا إلى العذاب والنقمة أو الراحة والنعمة؟ وهل يمكننا أن نحيط خبراً بذلك العالم رغم عدم عودة أحد منه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰ هل الموت أليم؟ ما الذى يشعر به الإنسان حين الموت؟ هل تبقى الروح مع تعفن الجسد و تآكله؟ مـا هى الروح؟ و كيف يمكن التعرف عليهـا و الإرتباط بها من وجهـة النظر العلميـة والفلسـفية؟ هل حقّاً يمكن عودة هـذا الجسم إلى الحياة (المعاد الجسمانى) رغم كونه فى حالة تغيير على الدوام و أحياناً تنتقل بعض ذراته إلى غيره من الأبدان على مرور الزمان؟! هل للإيمان بالمعاد آثار تربوية واجتماعية وفكرية وأخلاقية على روح الإنسان وجسـمه؟ وبالتالى هل يمكن البرهنة على المسائل المرتبطة بعالم ما بعد الموت على ضوء الأسس العلمية و ....؟ هذه هى الأسئلة و الاستفسارات التى يتصدى الكتاب الحاضر لمناقشتها وبحثها. و بالرغم من خضوع مضامين هـذا الكتاب للبحث و الدرس لسـنوات، لكن وكما ذكرنا سابقاً فإنّ قلّة الأبحاث فى هذا المجال تجعل من الممكن تطرق العيوب و النقـائص لهـذا الكتـاب، ومن هنـا نناشـد العلمـاء و المفكرين أن يبعثوا لنـا بانتقاداتهم ومقترحـاتهم ووجهات نظرهم لنسـتقبلها بكل رحابـة صـدر ونسـتفيد منها فى هـذا الكتاب ولهم منّا جزيل الشـكر و التقـدير. وأرى من الضـرورى ألا يتسـرع الأخوة القراء الأعزاء- و بسـبب حداثـة أغلب الأبحاث- فى إصدار أحكامهم النهائية قبل مطالعة جميع الكتاب. و قد تبدو مباحث هذا الكتاب شـيئاً هامشـياً وأجنبياً عن واقع الحياة، بالنسـبة لُاولئك الـذين لا تعنى الحياة فى مدرسـتهم الفكريـة سوى الخبز والماء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱ وأقصى ما يميز مدرستهم شعار الخبز والماء للجميع، مع ذلك وعلى فرض أننا نمتلك مثل هذه الرؤية الضيقة و المحـدودة، فانّنـا سـنشاهد التـأثير العميق الـذى يلعبه الإيمـان بعالم الآخرة- الحياة بعـد الموت- فى سـبغ هـذه الحياة الماديـة بالهـدوء والسـكينة و الدعة و الاسـتقرار و فى الواقع أنّ الإنسان من دون الإيمان بالمعاد ليس بقادر على تطبيق العدالة الاجتماعية، ولا السير فى مراحل التكامل الإنسانى والمعنوى والأخلاقى. و هنا أرى ضرورة الإشارة إلى أمرين بعد هذه المقدمة:

۲- كبيرة الكاتب

لقد إبتدأت و لله الحمد الكتابة فى مجال العقائد الإسـلامية بالاسـلوب العصـرى فى كتاب «خالق العالم» و إنتهيت بالكتاب الحاضر، و ممّا لاشك فيه أنّ مثل هـذه الكتابات أحدثت تطوراً نوعياً فى كيفية طرح العقائد الدينية ضـمن إطار جديد يجعل من اليسـير إدراكها

من قبل الجمیع. إلّاأنّی أرانی مضطراً- لبیان حقیقة قد یتصور القاری أنّها من العُجب والأنانیة أو مجرّد بیان حقیقة فی هذا المجال، و هی أنّ هذه السلسلة من الأبحاث التی خاضت فی أهم المسائل العقائدیة الإسلامیة و التی طرحت فی أربعة کتب هی: ۱- خالق العالم (فی أدلة التوحید و مناقشة المدارس المادیة) ۲- معرفة اللَّه (فی صفات اللَّه و مسألة الجبر والتفویض) ۳- القادة العظماء (فی ضرورة زعامة الأنبیاء و مسألة الوحی و ما شابه ذلک) ۴- القرآن و النبی الخاتم (بشأن المضامین الإعجازیة للقرآن و معرفة نبی الإسلام) کان لها بالغ الأثر فی أوساطنا و لا سیما لدی شریحة الشباب الواعی، وما کثرة طبع هذه الکتب ونفاذها من الأسواق إلّادلیل واضح علی صحة الادعاء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲ المذکور، أمّا الدلیل الآخر هو أنّ هذه الکتب أخذت تعتمد کمواد دراسیة منهجیة فی بعض الأوساط و المحافل الدینیة والعلمیة فی داخل البلاد و خارجها، و قد ترجمت بعضها إلی اللغات العربیة و الاردیة والانجلیزیة. و لعل نجاح ذلک یعود فی الحقیقة إلی أربعة عناصر هی: إجتناب المصطلحات الرنانة، الصدق فی الطرح، البعد عن التعصب، التجدد، إلاأنّ البعض یعتقد بأنّ هذه السلسلة من الکتب تنطوی علی عیب کبیر یقلل من قیمتها؛ و إذا لم تعرب عن دهشتک و ذهولک، فعیبها الکبیر برأیهم یکمن فی بعدها عن المصطلحات والعبارات الطنانة الرنانة إلی جانب عدم تقعید الجمل وایرادها بمنتهی السهولة والبساطة و تقریب المواضیع الصعبة إلی أذهان العموم؛ و لعلها هی الأمور التی تجعل مستوی البحث و اطئاً لاعالیاً! و لا یسعنی هنا إلّاالاعتراف بهذا «العیب» أو «الذنب» و أعلم لو ترکت العنان لقلمی لیسطر ما یشاء من المصطلحات المعقدة و العبارات المغلقة لبدا البحث لذلک البعض أکثر علمیة، لکنی ما فعلت ذلک عامداً و أعتقد أنّ هذه هی رسالة الکاتب. و بالطبع یمکن القول بقوّة أنّه یمکن تعقید کل بحث من أبحاث هذه السلسلة بحیث یصعب فهمها علی أغلب القراء الاعتیادیین، فیکتفون بالقول أنّها أبحاث علمیة ذات مستوی رفیع لایسعنا إدراکه. والسؤال الذی نطرحه هنا هل یمکن التضحیة بالمصالح العامّة المتمثلة بإدراک الحقائق من أجل حصول الکاتب علی شخصیة خیالیة کاذبة؟! وهل یجیز الوجدان مثل هذا العمل لمن یملک القدرة علی البساطة فی کتابة المواضیع؟! علی کل حال لقد إعتدت علی هذا الذنب و لا أرانی أقدر لا سامح الله المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳ علی التخلی عن هذا الإدمان و الإصرار. و الغریب فی الأمر إنّنا نری أغلب الکتب الجامعیة و غیرها التی یمکن کتابة مطالبها بعبارات أسهل وأوضح دون أن یتطرق إلیها أی خلل و نقص بغیة الاقتصاد فی وقت و عمر الباحثین و عمومیة نفعها و ثمرتها. فلا یمکن إتهام جمیع کتّابها و مؤلفیها بعدم القدرة علی البساطة فی التدوین. و بناءاً علی هذا لابدّ من القول بأنّ البعض قد لایرغب بالقیام بهذا العمل، ولعل ذلک یؤدّی إلی فقدان الکتاب لقیمته العلمیة لو اختصرت عباراته المغلقة! فلابدّ من الخروج علی النظام الطبیعی لترتیب المطالب وتقدیم و تأخیر العبارات و الاستفادة من المفردات و الألفاظ الغریبة غیر المألوفة و الطارئة أحیاناً لتصبح أعظم علمیة! و مازال ذلک یشکل أحد آلام مجتمعنا.

۳- شهادة التأریخ

المطلب الآخر الذی ضرورة ذکره للتأریخ هو أنّ أحد الأصدقاء أخبرنی ذات یوم قائلًا: کنت منهمکاً بترجمة کتاب عربی بشأن معرفة اللَّه إلیاللغة الفارسیة، فشعرت بأنّ مطالب الکتاب لم تکن غریبة علیَّ، فلما تأملتها وتمعنت النظر فیها وجدت أنّ أغلب أبحاثه هی عینا ذات أبحاث کتاب «خالق العالم» الذی ألفته، فقد تبیّن أنّ الکاتب المحترم المذکور قد ترجم المطالب و الأبحاث المذکورة دون ذکره لمصادر کتاب «خالق العالم» و أنّی الآن أقوم مرّة أخری بإعادته من العربیة إلی الفارسیة! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴ فقلت بالتالی لا مانع لدیّ نشر هذه الترجمة طالما کانت خطوة فی سبیل معرفة اللَّه وخدمة للعلم، ولکن علی الأقل کی لا اتّهم بأنّی أقتبست منه المطالب دون ذکر المصادر و المراجع فاکتب هذه القضیة فی مقدمة الکتاب! ثم رأیت أنّه لم یقتصر الأمر فی الاستفادة من هذه الأبحاث علی ذلک الکاتب العربی المحترم، بل قام بعض الکتّاب الآخرین بالإتیان بذات العبارات أو بعض العبارات الأخری فی کتبهم دون أدنی إشارة من قریب أو بعید إلی المصادر. لعل هذه القضیة لاتبدو بتلک الأهمیّة ولکن ألیس من الأفضل أن یستفرغ

الکتّاب الأعزاء وسعهم و یستفیدوا من طاقاتهم فی إبداعات جدیدة بدلًا من مصادرة جهود الآخرین و الاستعانة بمطالبهم، فیعمل کل کـاتب علی ضوء إمکانـاته المتاحـة من أجـل حلّ بعض المعضـلات و المشـکلات، کما یسـلط الضوء علی القضایا التی لم یتطرق لها الآـخرون، و لیت شـعری ماذا یضـر الکاتب لو لم یتحفظ عن ذکر المصادر و المراجع و یعترف بحقوق الآخرین؟! طبعاً لست أنکر أنّ لکـل مفکر و عـالم، الحق فی الاسـتفادة من أفکار الآخرین و إبـداعاتهم، ولکن بشـرط مراعاة الأمانـة و الإشارة إلی مصادر الکتاب و الجهود التی بـذلت من أجله إن تعرض لنقل مطالبه دون أیة إضافة أو إبداع أو الإتیان بها بأسـلوب عصـری جدید یجعلها تختلف عن سابقها. نسأل اللَّه أن یوفقنا جمیعاً لبذل الجهود من أجل حفظ دینه و خدمة خلقه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵ و لا یسعنی هنا إلّاأن أناشـد ثانیـة کافـة الأخوة أن یتحفونا بما لدیهم من توجیهات و إرشادات بهدف تکامل العمل و سد ثغراته. قم- الحوزة العلمیة ناصر مکارم الشیرازی ذی القعده ۱۳۹۶

هل الموت هو نهایة الحیاة أم بدایة حیاة جدیدة؟

اشارة

عادة ما یعیش الناس حیاتهم فی الزمان الحاضـر و یکتفون بما هم علیه الآن، و الأفراد الذین یعیشون الزمان الماضی لیسوا قلائل أیضاً، و هذه الطائفة تنهمک علی الدوام فی التعامل مع النماذج الحاویة لأحداث الماضی الحلوة والمریرة بعد إنتشالها من تحت الأنقاض، و الواقع أنّهم یقضون أعمارهم فی نبش قبور الماضـین. فهم لا ینفکون عن أمرین؛ إمّا ذرف الـدموع علی الحوادث الألیمة، و إمّا التغنی ببطولات وأمجاد عظمائهم الـذین دفنوا تحت التراب! نعم هناک من یفکر فی المسـتقبل ولّا سـیما المسـتقبل البعید و هم قلیلون، و هنا یطرح هذا السؤال: ما السـبب الذی یکمن وراء التحفظ عن التعرض لحوادث المسـتقبل والذی یتخذ أحیاناً طابع الهروب؟ تری أیعزی ذلـک إلی طبیعـة المسـتقبل الخارجـة عن دائرة الحس، والنـاس أبنـاء الحس فهم یألفون هـذه الأم فقط؟ أم یعزی ذلک إلی هالـة من الغموض و الإبهام التی تغطی المسـتقبل فتجعله یکتسی حلّة مخیفة؛ الأمر الذی یثیر الهلع لدی من یقترب منه؟ أم أنّ المستقبل شئنا أم أبینا مقرون بالمشیب و العجز و الکهولة و بالتالی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸ الموت والعدم، و هی الأمور التی یرتعش منها الفرد و یهرب منها بکـل کیـانه. ولکن علی کـل حال لامفر لنا من التعامل مع المسـتقبل رغم الخوف والهلع والإبتعاد و الهرب، و لا شک أنّ هذا المسـتقبل هو الذییختزن مصیرنا و عاقبة أمرنا، فالماضـی ولّی و إندثر و الحاضـر سـینتهی کلمح بالبصر إلی الماضی، و علیه فلا یبقی سوی المستقبل؛ المستقبل البعید الذی تکتنفه الأسرار و الألغاز والذی ینتظرنا فنسیر نحوه دون تریث، فلم لا ندرکه و نفکر فیه؟

الموت لیس بهذا الرعب

إنّ الناس و رغم کل اختلافاتهم و تنوع مشاربهم الفکریـة والعقائدیـة سـیبلغون شاءوا أم أبوا و کیفما تحرکوا و إنطلقوا نقطـة مشترکة تتمثل بالموت وإختتام هـذه الحیاة. فنقطـة إنطلاقة الحیاة غنیة کانت أم فقیرة، وفی وسط الجهل کانت أم العلم، و مقرونة بالسـعادة أم الشـقاء سـیأتی علیها الموت بغتـة فیجعل الجمیع یعیشون حالـة واحـدة تسودهم فیها المساواة التامة المطلقة التی یعجز الکل عن الإتیان بهـا. و لهـذا یمکن تأمـل مقـدار العمر و طول الحیـاة، بینمـا لایمکن مناقشـة الموت، حتی لو اسـتخرجنا ماء الحیاة من الظلمات واحتینا جرعـة منه، فإنّ الحیاة الأبدیـة متعـذرة محالـة، لأنّ طول العمر لایعنی الأبدیـة قط. و علی هـذا الأساس یتفق جمیع الأفراد علی الإیمان بالموت رغم الفوارق الفکریـة التی تسودهم، و لعل التعبیر عن الموت بالیقین علی لسان آیتین من الآیات القرآنیـة هو إشارة إلی هـذه الحقیقـة، فقد صـرحت إحدی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹ هـاتین الآیتین بالقول: «وَاعْبُـدْ رَبَّکَ حَتَّی یَأْتِیکَ الْیَقینُ» «۱». و صرحت الآیـة الأخری علی لسان الآثمین: «وَ کُنَّا نُکَذِّبُ بِیوم الـدِّینِ* حَتَّی اتَیْنَا الْیَقِینُ» «۲». و معنی ذلـک لقاء المحسـنین و الآثمین فی تلک

اللحظة القطعية واليقينة.

الشعور الإنسانی حين الموت

السؤال الذی يطرح نفسه هنا: بم يشعر الإنسان حين الموت؟ لا أحد يعرف الشعور الذی يخالج الإنسان حين الموت، حيث لم يعد أحد من هناك ليشرح للآخرين شعوره فی تلك اللحظة الحساسة. فهل مفارقة هذه الحياة كقلع السن اثر حالة التخدير و دون أی ألم ومعاناة، أم يعانی الإنسان حينها أقسى أنواع العذاب و الشدّة بحيث يعجز الإنسان عن وصف تلك الحالة؟ أم القضية تختلف باختلاف روحيات الأفراد و أخلاقياتهم وصفاتهم وأعمالهم؟ فهو سهل يسير على البعض كاستشمام رائحة الوردة، بينما ثقيل وصعب على البعض الآخر كحمل ثقل وزنه الجبل. و لعل هناك شعورا آخر يخالج الإنسان لحظة الموت لايسعه فكرنا و ذهننا ولايمكننا إدراكه فی ظل ظروف هذه الحياة. فلو قدر لوليد خرج من رحم أمّه العودة الثانية إلی توأمه الآخر فی الرحم، فهل يسعه شرح ما شاهده خارج رحم أمّه منذ الولادة حتی عودته ثانية إلی بطنها؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰ أليس هذا الأمر أشبه شيئاً بفرد أخرس يروم وصف رؤياه وما شاهده فی المنام لآخر مكفوف البصر؟!

عبثية الهرب من الواقع

إنّ أسوأ سبل مواجهة الحقائق المريرة يتمثل بالتهرب من إدراكها وإستيعابها أو إيداعها بوتقة النسيان. حقّاً ليس هناك خفة عقلية تفوق هذه القضية بأن ننسی شيئاً لاينسانا أبداً، أو نتوقع إعادة النظر بشأن مطلب حتمی لايمكن إجتنابه بأی شكل من الأشكال. لماذا لا نفكر بالموت و الحوادث التی تعقبه و مصير الروح بعد مفارقتها لهذه الحياة و مئات القضايا الأخری ذات الصلة بالموت؟ و الحال وقوع الموت فی المستقبل القريب بالنسبة لنا يعد من الحوادث القطعية الحتمية التی لا غبار عليها و لا نقاش فيها. إنّنا حين نتصفح التاريخ نری الموت قد صرع أقوی الأفراد و أقدرهم من قبيل الاسكندر و جنكيز خان و نابليون و من كان علی شاكلتهم، كما قضی علی أعظم العلماء و المفكرين و أقوی الأدباء و الشعراء و الكتّاب، فقد ركع الجميع للموت و استسلموا له، و عليه فليس من المعقول أن ننساه أو نخشاه و نخافه عبثاً، فقد ورد عن أميرالمؤمنين علی عليه السلام أنّه قال «وَ كَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ وَ طَمَعُكُمْ فِيْمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ» «۱». فما أحرانا أن نتقدم إلی الأمام بكل شجاعة و بسالة و واقعية لنقف علی الأمور المتعلقة بنهاية الحياة و نحصل علی الأجوبة الشافية و الوافية المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱ المنطقية بخصوص الألغاز و الأسرار التی تكتنف الموت.

رؤيتان لمصير الإنسان

هل لحظة الموت هی لحظة وداع كل شیء؟ لحظة نهاية الحياة؟ لحظة الغربة الأبدية و الإنفصال المطلق عن هذا العالم، و تحلل و عودة المواد المؤلفة لبدن الإنسان إلی عالم الطبيعة؟ أم هی لحظة الولادة الجديدة؟ أم هی خروج ثانی من رحم الدنيا إلی عالم واسع و شامل آخر؟ أم تحطيم قضبان سجن رهيب؟ أم التحرر من قفص ضيق و صغير و إفتتاح نافذة نحو عالم روحی واسع بعيد عن الزخارف المادية لهذا العالم و مجانب للهم و الغم و الألم و المعاناة والعداوة و الكذب و الظلم و الجور و الإجحاف و ضيق النظر و الحقد والضغينة والحرب و القتال، و بالتالی كل المنغصات و الكدورات التی ينطوی عليها هذا العالم؟ بغض النظر عن مدعی صحة الرؤيتين المذكورتين و إقترابها من الحقيقة والمنطق- و بالطبع سنتحدث فی الأبحاث القادمة باسهاب عن هذا الموضوع- فإنّ الرؤية الاولی تبدو مظلمة و مخيفة و أليمة و الثانية جميلة ورائعة و هادئة. فصورة الموت علی ضوء النظرة الاولی تجعل شربت الحياة- مهما كانت الحياة مرفهة- علقماً مريراً علی الإنسان أو تضطره للخضوع لأیشیء والاستسلام لأیظروف من أجل الفرار من الموت. و القضية علی العكس تماماً بالنسبة للنظرة الثانية التی يسعها جعل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲ شربت الحياة عذباً و شربت الشهادة فی

سبيل الحق و الأهداف السامية أعظم عذوبة وحلاوة، و تلقن الإنسان بعدم الاستسلام لأيشيء و الانحناء لأي شرط بسبب هذه الحياة، بل عليه أن يكون حرّاً في دنياه و لايخشي الموت المشرف! والخلاصة فإنّ الموت ليس مرعباً دائماً، فقد تكون هذه الحياة أعظم منه رعباً أحياناً.

لماذا نخاف من الموت؟

هنالك فردان يخافان من الموت؛ أحدهما من يفسّره بمعني العدم والفناء المطلق، و الآخر من كانت صحيفة أعماله سوداء و مظلمة، أمّا من لم يكن من هؤلاء ولا اولئك فما مبرر خشيته من الموت، أفهناك شيء يفقده من جراء الموت؟ مشهورة هي حكاية «ماء الحياة» و التي تتناقل بسرعة فائقة حيث أقدم الإنسان منذ قديم الأيام بالبحث عن شيء يسمي «إكسير الشباب» و قد نمقوه بالأساطير و الخرافات و عقدوا عليه الآمال. و لعل القضية تفيد حقيقة تكمن في خشية الإنسان من الموت وحبّه لمواصلة الحياة و الهروب من نهايتها، علي غرار إسطورة «الكيمياء» تلك المادة الكيميائية الخفية التي لو أُضيفت علي النحاس الذي لا قيمة له جعلته ذهباً ذا قيمة باهضة، و التي تفيد خوف الإنسان من الفقر الاقتصادي و مدي سعيه للحصول علي الثروة. و إسطورة إكسير الشباب هي الأخري تعكس هلع الكهولة و الضعف والتآكل و بالتالي الموت و نهاية الحياة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳ إنّ أغلب الناس يخشون الموت و يهربون من مظاهره و يشمأزون من إسم المقبرة و يسعون جاهدين لاطماس الماهية الأصلية للقبور من خلال تزيينها و إضفاء بعض الجمالية عليها، حتي أنّهم يلجأون إلي تحذير الأفراد من بعض الأشياء الخطرة- غير الخطرة التي لايريدون للآخرين أن يقتربوا منها أو يخربوها من خلال الكتابة عليها «خطر الموت» و يرسمون عليها صورة لعظمين من عظام ميت في حالة علامة في خلف جمجمة جوفاء خالية من الروح تطالع الإنسان. و قد حفلت النتاجات الأدبية لمختلف أصقاع الدنيا بما يفيد خوف الإنسان من الموت، فبعض العبارات من قبيل «هيولا ـ الموت»، «شبح الموت»، «صفعة الموت» و «مخالب الموت» و ما إلي ذلك من التعبيرات التي تدل علي مدي القلق والهلع و الضطراب. كما يؤيد ذلك القصة المعروفة بشأن رؤيا هارون الرشيد- الذي رأي في المنام سقوط جميع أسنانه- فعبّر له شخصان تلك الرؤيا قال الأول: يموت جميع أفراد أهلك قبلك. و قال الثاني: إنّ عمر الخليفة سيكون أطول من جميع قرابته، فما كان ردّ فعل هارون الرشيد إلّاأن وهب الثاني مئة دينار، بينما جلد الأول مئة جلدة، فهذا دليل آخر علي خشية الإنسان من الموت. و ذلك لأنّ الفردين عبّرا عن حقيقة واحدة، إلّاأنّ أحدهما ذكر الموت بالنسبة لقرابة الخليفة فكان جزاؤه مئة جلدة، وعبّر الآخر عن ذلك الموت بطول عمر الخليفة فتناول مئة دينار!. ناهيك عن كل ما سبق فقد إعتاد الناس بعض الأمثال و العبارات التي تكشف عن مدي خشيتهم من الموت، فإذا أرادوا مثلًا تشبيه فرد بآخر ميت في قضية إيجابية خاطبه قائلًا «إسم اللَّه عليك» أو «أبعد اللَّه عنك» ذلك، أو المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴ فليخرس لساني سيصبح الأمر بعدك كذا و كذا، أو ترتيب الأثر علي كل شيء يبعد احتمال الموت أو يكون مؤثراً في طول العمر، و إن بدا خرافة تماماً ولا أساس له و كذلك أدعيتهم التي تتضمن كلمة الدوام و الخلود من قبيل: دام عمره، دام مجده، دامت بركاته، خلد اللَّه ملكه، أطال اللَّه عمره و كل عام و أنتم بخير و ...! و التي تشكل كل واحدة منها دلالة علي هذه الحقيقة. طبعاً لا يمكننا إنكار وجود بعض الأفراد النادرين الذي ليس لهم أدني خشية من الموت، حتي أنّهم يسارعون لاستقباله، إلّاأنّهم قلائل، كما أنّ العدد الحقيقي أقل بكثير من اولئك الذين يزعمون ذلك.

ما مصدر هذا الخوف و القلق من الموت؟

عادة ما يخشي الإنسان «الزوال» و «العدم». يخشي «الفقر»، فهو زوال الثروة. يخشي «المرض» لأنّه زوال السلامة و العافية. يخشي «الظلمة» حيث ليس فيها نور. يخشي «الصحراء» و قد يخشي «الدار الخالية» لأنّه لا أحد فيها. بل يخشي الميت حيث لاروح فيه، و الحال لايخشي ذلك الشخص حين كان علي قيد الحياة و الروح فيه! و بناءاً علي ما تقدم فإن خشي الإنسان الموت فذلك لأنّه يراه

«فناءاً مطلقاً» و عدماً لکل شیء. و إن خشی الزلزلة و الصاعقة و الحیوان المتوحش، فذلک لأنّها تهدد وجوده بالفناء و العدم. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵ طبعاً لایبدو هذا الأمر غریباً من وجهة النظر الفلسفیة، لأنّ الإنسان «وجود» و الوجود ینسجم مع الوجود الآخر، بینما لیست له أیة سنخیة وتناسب مع العدم، فما علیه إلّاالفرار و الهرب منه، لم لایهرب؟ إلّا أنّ هناک قضیة مهمّة هنا لاینبغی الغفلة عنها و هی: کل هذه الأمور صحیحة إذا فسّر الموت بمعنی الفناء و العدم و نهایة کل شیء، و الحق لو فسّر کذلک فلیس هناک شیء أعظم رهبة منه، و کل ما قیل بخصوص هیولا ـ الموت هو عین الصواب. أمّا إن إعتبرنا الموت- کولادة الجنین من بطن أمّه- ولادة أخری و آمنا بإنّ اجتیازنا لهذا الممر الصعب یعنی وضع أقدامنا فی عالم أوسع و أشمل وأکمل من هذا العالم و هو ملیء بأنواع النعم التی یصعب علینا تصورها فی ظل الظروف الراهنة و الحیاة الفعلیة. و خلاصة القول فإن اعتبرنا الموت أکمل و أسمی من هذه الحیاة، و التی لا تعد سوی سجناً إن قارناها بالحیاة فی ذلک العالم، فمن الطبیعی سوف لن تعد للموت مثل هذه المعانی التی تشیر الخوف و الهلع و النفرة لدی النفس، وستکون له معانی جمالیة رائعة قریبة من القلب محببة إلی النفس. لأنّه إن سلب من الإنسان جسمه زوده بالأجنحة لیحلق بها فی سماء الأرواح الشفافة اللطیفة التی تفوق التصور و الخیال و الخالیة من کافة أشکال الإقتتال و التراع و العداء و الهموم و الغموم. و هنا نتذکر ذلک الشاعر الذی له مثل هذه الأفکار و هو یأمر حکیماً عالماً بلغة الشعر: فلتمت أیّها الحکیم من مثل هذه الحیاة، فالموت من هذه الحیاة لایعنی سوی البقاء، و لتحلق بأجنحتک کالطیور فتطوی تلک المسیرة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۶ الکاملة، ولا تخشی من الحیاة التی تنتظرک فالخشیة لابدّ أن تکون من هذه الحیاة الضیقة المحدودة. فمن البدیهی أنّ من ینظر هکذا إلی مسألة الموت لن یقول أبداً أنّ الموت حالة عبثیة لا طائل من وراءه أو هو إنتحار و قتل للنفس، بل یراه حقیقة سامیة یحث الخطی من أجل معانقتها، و ما أجمله إن کان وسیلة لبلوغ الأهداف المقدسة و السامیة، و خلاص الإنسان من الذلة و الخنوع والبؤس و الشقاء.

العنصر الآخر لخشیة الموت

هناک طائفة أخری تخشی الموت لا ـ لأنّه یعنی الفناء و العدم المطلق، بل لأنّ صحیفة أعمالهم بلغت درجة من الاسوداد و الظلمة بحیث یشاهدون بأم أعینهم ما سیترتب علیها من جزاء ألیم و عذاب شدید سیطالهم بعد الموت، أو علی الأقل أنّهم یحتملون ذلک. فهؤلاء أیضا محقون فی خشیتهم الموت، لأنّهم بمثابة المجرم الذی اقتید من قضبان السجن و حمل إلی المقصلة، طبعاً الحریة و الخلاص مطلوب، لکن لا ـ التحرر من السجن نحو المشقة! فحریة هؤلاء من سجن البدن أو سجن الدنیا یتزامن و حرکتهم نحو المقصلة، «المقصلة» لا بمعنی الإعدام بل بمعنی العذاب الأسوأ منه. ولکن ما بال اولئک الذین یخشون الموت و لایرونه فناءاً وعدماً، کما لیس لهم من صحیفة أعمال سوداء؟ لِمَ یرهبون الموت فی سبیل تحقیق الأهداف المقدسة؟ لماذا؟ ...

جذور المعاد فی أعماق الفطرة

اشارة

تنادینا إلهامات الفطرة: الموت لیس نهایة الحیاة، و بالطبع لاتقتصر هذه الإلهامات علینا، بل تفید کافة الشواهد الموجودة أنّه کان یؤمن بها کافة الأقوام بما فیها الإنسان البدائی الذی عاش فی عصور ما قبل التأریخ. یقال: هناک ذبذبات مجهولة- تشبه الأمواج الرادیویة- تبث دائماً من أعماق السموات وجوف المجرّات التی لها بالغ الأثر علی الأجهزة المستقبلة. لا أحد یعلم من أین تنطلق هذه الأمواج و ما مصدرها الرئیسی؟ هل هناک حضارات فی ما وراء منظومتنا الشمسیة أکثر تطوراً من حضارة أهل الأرض بحیث یرسل سکنتها برسائلهم إلی العالم بواسطة هذه الأمواج؟ أم هناک مصدر آخر؟ لا نعلم. والأعجب من ذلک إننا نستقبل بانتظام من أعماقنا و

باطن أرواحنا رسائل مجهولة و لا نعرف مصادرها، فنرانا مضطرين للاصطلاح عليها بالفطرة، و كل ما نعلمه إنّنا نحصل على إلهامات مختلفة ترشدنا إلى الخطوط الأصلية حين نقف على مفترق طرق. مثلًا: تقع حادثة مفاجئة قريب منّا أو فى أبعد نقطة من العالم، فتدفع المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٨ بنا هذه القوة الباطنية الخفية باتجاه الحصول على أخبار تلك الحادثة، ثم نرانا نجهد أنفسنا فى هذا المجال دون أن نعلم الدافع و السبب الذى يقف وراء كل هذا الشوق و اللهفة لرؤية تلك الحادثة و الوقوف على تفاصيلها التى قد لايكون لها أدنى إرتباط بأوضاعنا، فلا نستقر و لايهدأ لنا بال مالم نفهم تلك الحادثة. ترافقنا هذه الحالة منذ اللحضات الأولى للعمر ولا تنفصل عنّا حتى آخر العمر، ثم أطلقوا على ذلك فيما بعد اسم «حس حبّ الإطلاع» و قالوا إنّه جزء من فطرة الإنسان. و كثيرة هى نظائر هذه الغرائز و الإلهامات الفطرية، إلّاأنّ أحداً لا يسعه أن يزودنا بايضاحات أكثر بشأن مصدر هذه الإلهامات الفطرية، ولكن على كل حال ليس لدينا أى شك فى أصل وجودها و دورها فى إرشادنا و توجيهنا التكوينى. *** و الإيمان بالحياة بعد الموت واحد من هذه «الإلهامات الفطرية»: لدينا عدّة شواهد تاريخية تفيد عمق إيمان البشرية على مدى التأريخ، بل فى العصور التى ما قبل التأريخ بالحياة الآخرة بعد الموت، و الدليل على ذلك الآثار المختلفة التى خلفها قدماء الناس و كيفية بناء قبورهم و الأشياء التى كانوا يدفنونها فى التراب مع موتاهم- كما سيأتى شرح ذلك بالتفصيل- والتى تفيد إيمان الإنسان بحياة ما بعد الموت على ضوء إلهاماته الباطنية، حيث لايمكن التصديق بأنّ مسألة ليست بفطرية و قد تمكنت من الحفاظ على قوتها ورسوخها إلى هذه الدرجة طيلة التأريخ و لما قبله إلى أبعد العصور والأزمنة حتى بقيت عالقة فى الأذهان، فمثل هذه المسائل المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٩ المتجذرة التى لاتنفصل عن البشر قط، قطعاً لها نواة غريزية و فطرية، و من هناك كانت دائمية خالدة. و قد صرّح عالم الاجتماع المعروف «صاموئيل كونيغ» قائلًا: تفيد الآثار التى عثر عليها العلماء فى الحفريات أنّ أسلاف الإنسان المعاصر أى إنسان النياندرتال كانت لهم ديانة بدليل أنّهم كانوا يدفنون أمواتهم بطريقة خاصة، كما كانوا يدفنون إلى جانبهم وسائلهم و أدواتهم، و هكذا يعلنون إيمانهم بوجود عالم آخر بعد الموت. «١» نعلم أنّ إنسان النياندرتال عاش قبل عشرات آلاف السنين، حين لم يخترع الخط حتى ذلك الوقت ولم يبدأ التاريخ البشرى، صحيح أن لا جدوى من هذه الوسائل و الأدوات فى حياة ما بعد الموت مهما كانت، إلّاأنّ المراد هو أنّ هذه الأعمال تشكل شهادة على إيمان أسلاف الإنسان المعاصر بحياة ما بعد الموت. و يبدو أنّ المصريين كانوا قد سبقوا سائر الأقوام فى هذا المجال، إذ يقول المؤرخ المعروف «آلبرماله» من بين تواريخ الأقوام يمتاز تاريخ الأقوام المصرية بأنّه أقدم الجميع، حيث يذكر حوادث وقعت لما قبل أكثر من خمسة آلاف سنة. «٢» فالتاريخ المصرى العريق يشير إلى أنّ الأقوام المصرية كانت راسخة الإعتقاد بحياة ما بعد الموت و يرون لها أهميّة خاصة، و إن لم تسلم عقائدهم- و كسائر الأقوام- من الأباطيل و الخرافات. و يسرد المؤرخ المذكور قضية رائعة تنطوى على عدّة فوائد، فقد ذكر أنّ المعاد و عالم الاخرة، ص: ٣٠ المصريين يعتقدون بأنّ روح الميت تفارق القبر و تحضر عند الإله الكبير «آزيريس» ... فان قادوه إلى «أحكم الحاكمين» آزيريس يمتحن قلبه فى ميزان الحقيقة، فإن كانت روحه طاهرة فى الحساب ذهب إلى المزرعة (والبستان) الذى لايتصور مدى بركته ... كما كانوا يضعون إلى جوار الموتى كتاباً يرشدهم فى سفرهم إلى تلك الدنيا، و يحتوى الكتاب على عبارات يجب أن يردها الميت عند آزيريس لتبرأ ذمته ويطهر: لم أغش الناس ... لم أوذى أية أرملة ... لم أكذب فى المحكمة ... لم أرتكب التزوير. لم أفرض على عامل أكثر من طاقته فى العمل. لم أتكاسل فى القيام بوظيفتى. لم أنتهك المحرمات. لم أسع بعبد لدى سيده. لم أقطع خبز أحد. لم أبك أحداً. لم أقتل أحداً. لم أسرق أطعمة الموتى، «١» و لا أشرطتهم. المعاد و عالم الاخرة، ص: ٣١ لم أغصب أرض أحد. لم آخذ لبن الأطفال الرضع. لم أقطع أى نهر. أنا طاهر، طاهر ... أيّها القضاة! اليوم يوم الحساب فخذوا هذا المرحوم فهو لم يذنب و لم يكذب. و هو لايعرف السوء و لم يجانب الحق و الإنصاف فى حياته و قد أتى بما يرضى اللَّه، لقد كسى العريان و ذبح للَّهو أطعم الأموات، فمه طاهر و يداه طاهرتان. على كل حال فالذى يفيده التاريخ هو حالة التدين بصورة عامّة والإعتقاد الراسخ بحياة ما بعد الموت لدى سائر الحضارات و المدنيات الأخرى والتى تزامنت مع الحضارة المصرية أو بعدها من قبيل الحضارة الكلدانية و الآشورية واليونانية و الإيرانية. والأهميّة التى حظى بها هذا

الموضوع فی الأدیان العالمیـة الکبری ممّا لاغبار علیه فلا یحتاج إلی أدنی توضیـح، و سـنتعرف علی نماذج ذلک فی أبحاث القادمـة. هـذا وقـد نقـل العـالم الاسـلامی المعروف کـاتب «روح الـدین الإسـلامی» عبارة عن مجلـة «ریـدرزد ایجست» نوفمبر عام ۱۹۷۵ عن «نورمـان فن سـنت بیـل» أنّه قـال: الحقیقـة هی أنّ النشـاط الغریزی بوجود عالم آخر بعـد الموت یعـدّ من الأدلـة المحکمـة علی هـذه المسألـة، لأنّ اللّه إذا أراد إقنـاع الإنسـان بحقیقـة غرسـها فی أرض غرائزه و فطرته، فالاعتقاد بحیاة خالـدة فی العالم الآخر هو نوع من الشـعور العـام فی باطن وجود کافـة الأفراد بحیث لایمکن النظر إلیه بازدراء. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۲ حقّاً أنّ الشـیء الذی نسیر إلیه بهذه السرعة إنّما هو ردّ فعل لجذور أساسیة داخل وجودنا، إنّنا لا نؤمن بمثل هذه الحقائق من خلال الأدلة المادیة، بل عن طریق الإلهـام و الإدراک البـاطنی، فالإلهـام یعتبر دائمـاً العامل الوحیـد المهم لإدراک الحقائق، وحین یبلغ العلماء حقیقـة علمیـة تحتاج إلی إثبات، فانّهم یـدرکون تلک الحقیقة بوحی من الإلهام علی حدّ تعبیر «برجسون». «۱» و الإعتقاد بالحیاة بعد الموت من هذه الإلهامات الفطریة.

المشی فی المتاهات

رغم أنّ الإلهامات الفطریـة تساعد الإنسان فی کشف أسـرار الحیاة الآخرة بعد الموت، إلّاأنّها مالم توجه بصورة صـحیحة فانّها تصـبح هالـة من الخرافـات و الأسـاطیر الغریبـة، ألا ـ تری إلی الکهنـة و الشـعابذة کیف کانوا یـدفنون الفتیات الجمیلات إلی جوار الملوک و السـلاطین فی أفریقیا و المکسـیک. یبدو أنّ هناک بوناً شاسـعاً بین الدنیا المعاصـرة و تلک التی کانت قبل سـتة آلاف سنة. لم یکن هنـاک من وجود لهـذه الأـدوات و الوسائـل الفلزیـة المتنوعـة، حیث کـانت تقتصـر حیاة الإنسان علی الحجر والخشب والعظام وجلود الحیوانـات، ومـا أصـعب العیش فی ظـل هـذه الوسائـل فقـط، ولکن مع ذلـک کانت تلک الحیاة مقارنـة بما نحن علیه أکثر هـدوءاً و إسـتقراراً، فلم یکن هنـاک صوت للسـیارات الفخمـة و لا ـ ضوضـاء و صـخب لانفجـار القنابـل و لا ـ زئیر للطـائرات التی تکسـر حاجز الصوت، فقـد کانت حیاة- کالموت- غایة فی البساطة دون أی تعقید! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۳ بالمناسبة لا ندری ما هو الشعور الـذی کان یسود الإنسان آنـذاک تجاه الحیاة و الموت، فلو کان یحسن الکتابة لعله دوّن جانباً من مشاعره و خلفها لأبنائه المعاصـرین ممـن یـدفعهم حبّ الاطلاع للوقـوف علی هـذا الأـمر، غیر أنّ المؤسـف له لم یحصـل هـذا العمـل حیث لم یکن الخـط و الکتابـة قد أخترعت بعـد، مع ذلک فإنّ و الکهوف و أعماق الأرض قد حفظت کنوزاً قیّمة من آثار حیاة الناس آنذاک، و کما أشـرنا فی البحث السابق فإنّ هذه الآثار- و لاسیّما کیفیة القبور التی خلفّوها- تفید أنّهم کانوا یؤمنون بالحیاة ما بعد الموت، و لهذا السبب کانوا یضعون وسائل موتاهم و أدواتهم معهم فی التراب، علی أمل الاستفادة منها بعد العودة للحیاة ثانیة. أمّا إعتقاد الإنسان بالقیامة بعد دخوله عصر التأریـخ (عصـر ظهور الخط وإکتشاف الفلزات فما لاتتطرق إلیه شائبـة و علی درجة من الوضوح لا إبهام فیه وقد ثبت ذلک فی جبین تاریخ الامم والشعوب. و کل ذلک- کما ذکرنا آنفا- یفید إمتزاج هذه العقیدة بالفطرة البشریة.

الانحراف عن الفطرة و التخبط فی المتاهات

عـادة مـا تبعث «الإلهامات الفطریـة» الإنسان دائماً علی شـکل دافع تلقائی باتجاه مختلف المسائل التی تحتاجها روحه وجسـمه، ولو لم تکن هـذه الإلهامات فطریـة، و أنّنا لا نکشف الأشـیاء إلّامن خلال الإختبار و التجربـة والعقل لتعقدت أعمالنا بهذا المجال. فالتنسـیق و التعاون بین هـذین الجهازین (الإلهامات الفطریـة والکشوفات العقلیـة و التجربیة) أدّی إلی هذه السـرعة التی بلغها الإنسان فی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۴ مسیرته نحو المدنیـة و الکمال. ولکن لاینبغی الغفلة عن أنّ الاسـتنتاج الصـحیح من هذه الإلهامات الفطریة إنّما یتوقف دائماً علی نمط تفکیر الإنسان و ما یـدور فی ذهنه، یعنی لو کان هناک بعض الأفراد الذین یعیشون الضـعف و العجز من حیث التفکیر و العلم فإنّ إلهاماتهم الفطریـة سـتبدو علی هیئـة منحطـة و ناقصة وأحیاناً مقلوبة. بعبارة أخری لابدّ من سـقی شـجرة الإلهامات

الفطريـة بماء العلم على الدوام لتؤتى أكلها كل حين، و إلّافإن تلك الإلهامات سـتكون مشوبة بأنواع الخرافات و الأباطيل، و قد تعطى أحيانـاً نتائـج معكوسـة. و المثـال الواضع الـذى يمكننا الاستشـهاد به فى هـذا الموضع هو «الغريزة الجنسـية» التى تعتبر نوعاً من الإلهام الطبيعى والفطرى «لحفظ النسل» والتى تدفع بالإنسان لحفظ نسـله، ولكنّها إن إمتزجت بالأفكار الوضعية والأخلاق المنحّطة، لأصبحت بؤرة فساد و فاحشـة قاتلة للنسل، يعنى بالضـبط يحدث عكس المطلوب، من جانب آخر فإنّ كافة أقوام العالم تضع بعض المقررات و القوانين لعقـد الزوجيـة بغيـة عـدم تزلزل نسـلها بفعـل الفوضـى الجنسـية، و تصـدع كيانهـا و نظامها الاجتماعى، إلّاأنّ هـذه المقررات والقوانين قد تكون على درجة من الصـعوبة و التعقيد التى تفرزها حالة ضـيق النظر والتخلف الفكرى بحيث تسوق الأفراد نحو مقاطعة الزواج و الإنغماس فى الفاحشـة، و كلاهما يهـدد قضـية حفظ النسل، و بناءاً على هـذا فانّ الزعامة الخاطئة للغريزة الجنسـية إنّما تعطى نتيجة معكوسة فى حفظ النسل. والقضـية كذلك بالنسبة للحاجات الروحية والإلهامات الفطرية المتعلقة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۵ بها، مثلًا يبحث الإنسان- على ضوء إلهام فطرى- عن خالق العالم، إلّاأنّ قصـر النظر و الجهل و التخلف الفكرى قد يقذف به أحياناً فى مخالب «التشبيه و القياس» و ذلك لأنّ هذه هى سـجية محدودى الفكر حيث يجعلون أنفسـهم محوراً لكل شـىء فيقيسون كل شىء و يشـبهونه بهم، و إثر هـذه التشبيه و القيـاس يقـدمون على عبـادة كل شـىء سوى «الاله الحقيقى» من قبيل الحشـرة المصـرية إلى الفيل الهندى بصفتهما الإله الذى ينبغى أن يعبد على حدّ تعبير المؤرخ المشهور «ويل دورانت». «۱» و الأعجب من ذلك ما أخبرنا به بعض المسافرين القادمين من اليابان أنّهم رأوا بأم أعينهم المعابد التى تضم الأوثان الصغيرة و الكبيرة التى تضم بعض الأصنام بصورة «آلات تناسلية للرجل و المرأة» فيقوم البعض بعباداتها و أداء مراسم التقديس لها! و قد طبعت بهذه الأشـكال قضية المعاد و القيامة التى تبناها الإلهـام الفطرى لمساعـدة الإنسـان و مهـد السبيـل أمامه بهـدف التوجه العقلانى لعالم ما بعـد الموت، لأنّ إنعكاس شـعاع هـذا الإلهام الفطرى من الزجاجـات المعوّجـة لأفكـار النـاس قصـارى النظر أدّى إلى تفـاقم الإنحرافات التى غيرت بالمرة وجه هـذه القضـية. و فى الواقع فإنّ التشبيه و القياس المـذكور جعل البشـرية تعيش الخرافات العجيبـة التى تفوق التصور و الخيال إزاء قضـية القيامة، فكان لابدّ من إيداع كافة أدوات الإنسان و وسائله التى يحتاجها فى القبر ظناً بأنّ الحياة فى ذلك العالم هى عين هذه الحياة على جميع الأصـعدة و النواحى.

خرافات مضحكة و مؤسفة!

إنّ هـذا النمط من التفكير الخرافى قد أفضـى طيلة التاريخ إلى الأعمال المؤسـفة و المضـحكة أحياناً. على سبيل المثال كان سائداً بين أهل الكونغو دفن إثنتى عشـرة فتاة جميلـة على قيـد الحياة مع زعماء القبائل حين موتهم بهـدف دفع الأسـقام والسأم الـذى يعانونه فى ذلك العالم. أو أنّ بعض أهالى المكسيك كانوا يدفنون الفكاهى (أو ما يصطلح عليه بالفنان الكوميدى) مع رئيس القبيلة ليحول دون تكدر صفو خاطره فى تلك الدنيا، كما كانوا يأدون أحياناً بعض الكهنة مع زعمائهم ليكونوا مستشاريهم فى المسائل الدينية فى ذلك العالم! «۱» كمـا كـانت بعض الأقوام إلى عـدم دفن ثيـاب الأموات و تعليقها على شـجرة ليقوم بارتـدائها الأموات فوراً بعـد بعثهم فلا يمتعظوا من العرى! أما تحنيط المصـريين القدماء لأجساد الموتى فليس له من فلسفة سوى الاستفادة من ذلك لجسد بعد عودة الروح، فقـد كـان التحنيـط يتم بهـدف الحيلولـة دون تعفن جسـد الميت و تفسـخه، حيث كانوا يجففون جسـد الميت ببعض المواد الكيمياية المعنية، فإذا جف الجسد بصورة كاملة غطوه بعدّة أشرطة كتانية ملطخة بمواد صمغية خاصة، و كان يلزم ذلك العمل مئات الأمتار من الكتان، ثم يضـعونه فى توابيت خاصـة، و أحياناً فى عـدّة توابيت أخرى و يرسـمون بعض النقوش الرائعة على التابوت الكبير. والجدير بالذكر إن تحنيط الجسد قد يتطلب أحياناً سـبعين يوماً! طبعاً لم يقتصـر التحنيط على مصر، إلّاأنّ المصريين برعوا فى هذا العمل بحيث تشاهـد الحنوط المعاد و عـالم الاخرة، ص: ۳۷ المصـرية بوضوح اليوم فى المتـاحف العالميـة و قـد بقيت هـذه الحنوط على صورتها السابقـة دون أن يعتريهـا أدنى تغير رغم تقـادم العصور و الأزمـان على تلـك الأجساد المحنطـة. «۱» كان أهل المصـر يغطون جـدران

المقابر بالصور التى تشرح الأعمال اليومية للشخص الميت و خدمه و شغله فى الدنيا، فمثلًا فى زاوية من الصورة نشاهد العمّال الذين يخبزون الخبز أو الـذين يريقون الشراب والخمر فىالآنية، و فى موضع آخر الخدم الـذين يذبحون الشاة أو البقرة أو الذين يخرجون الأسماك من النهر، و فى مكان آخر يحلبون البقر ويطبخون الطعام. «۲» و كأنّهم أرادوا الإبقاء على سرور أرواح الأموات من خلال تجديد ذكرياتهم الماضية. فكل هذه الأمور تشير إلى أنّ أتباع العقائد المذكورة كانوا يرون الإنتقال إلى العالم الآخر بمثابة الأسفار فى هذه الدنيا التى ينبغى أن تشمل كافة تفاصيل ومقررات هذه الحياة. و الواقع يبدو هذا الموضوع أشبه بالطفل الذى يلد من رحم أمّه و كأنّه يعلم بلوازم السفر خارج الرحم فيصطحب معه مقداراً من الدم فى جوف الرحم بهدف عدم الموت جوعاً بعد القدوم إلى هذه الدنيا، فهل هذا الاسلوب من التفكير صحيح؟!. لكن و على كل حال فإنّ وجود مثل هذه الخرافات و الإنحرافات إن دلّت على شيء فإنّما تدلّ على إمتزاج الإلهام الفطرى بالجهل و عدم التعقل، وفى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۸ نفس الوقت فإنّه يختزن حقيقة تتمثل بإيمان البشر بالقيامة على ضوء الإلهام الباطنى، و إن إتخذ هذا الإيمان طابع الخرافة بفعل قصر النظر وضيق الأفق. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۳۹

نوافذ على العالم الآخر

كيف أزالت الأبحاث العلمية الحديثة أغلب الصعوبات التى كانت تبدو ماثلة فى طريق الحياة بعد الموت و التى كان يتصورها بعض ضعاف التفكير وضيقى الأفق أنّها من المحالات؟ فقد طرب ذلك الإعرابى فرحاً حين عثر على عظم رميم لإنسان لعله كان فريسة لحيوان مفترس، أو إستسلم للموت إثر موته عطشاً فى صحراء الحجاز القاحلة فصرخ من أعماقه «لأخصمن محمداً» و أثبت له إستحالة ما يزعم بخصوص إحياء الأموات. و لعله قد حدّث نفسه قبل ذلك: هل هناك من رأى أو سمع بفاكهة متعفنة ومن ثم فاسدة و جافة قد عادت فاكهة طرية غضة من جديد؟ أم هل هناك من سمع عودة هذا اللبن الذى ترتضعه الناقة من ثدى أمّها و قد أصبح جزءاً من لحمها و عظمها لبن مرّة أخرى و عاد إلى الثدى؟ ثم إنّ هذا العظم الخاوى اليوم سيصبح غداً تراباً ثم تنثره العواصف الرملية لهذه الصحارى الواسعة هنا و هناك بحيث لايبقى منه أدنى أثر، فأى عقل يرى أنّه سيعود ثانية على هيئة طفل جميل و فتى قوى و كهل فطن؟ إنّ مثل هذا الكلام لاينطلى سوى على المجانين! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۰ «وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إنَّكُمْ لَفى خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ...» «۱» و هكذا كانت مسألة الإيمان باللَّه الذى لا يُرى تعدُّ من أعقد المشاكل التى ثقلت على أفكار أهل الجاهلية رغم سماعهم لزمزمة القيامة التى كانت تنبعث من داخل فطرتهم، إلّاأنّ ضوضاء جهلهم وصخبه كان يصادر لطافة تلك الزمزمة و يفقدها فاعليتها فى أنفسهم و لعل هؤلاء لايعلمون أنّ هذه التمرة الجافة والمتعفنة التى ضاعت فى طيات التراب قد تكون أصبحت جزءاً من الأرض عشرات المرات ثم ظهرت على غصن نخلة بعد أن إنطلقت من جذورها فنمت وتفتحت لتصبح ثمرة لذيذة طرية ثم جفت و وقعت ثانية على التراب، أو لبن النافة الذى أصبح لمرات جزءاً من رضيعها و ما إن مات و عاد تراباً حتى عاد إلى التراب فمر بجذور نبات أو شوكة ليصبح جزءاً من بدن ناقة أخرى ثم جرى فى عروقها لينتقل إلى ثديها و بالتالى يعود لبناً جديداً! و بالطبع فإنّ هذا الفكر الجاهلى الذى يرى إستحالة عودة الكائنات الحيّة وعدم إمكانية إعادة المعدومات لم يسود عقل ذلك الإعرابى فحسب، بل قد يتجلى ذلك بصورة أخرى فى عقل فليسوف ليرى قضية «إعادة المعدوم» لو كانت هناك قيامة و معاد و إعادة المعدوم محال! إلّاأنّ الرقى و التكامل الذى بلغته العلوم الطبيعية- و خلافاً لما كان يتوقعه أصحاب النزعة المادية- قد أزاح الستار عن بعض الأسرار بحيث إتضحت على ضوء ذلك قضية المعاد و الحياة الأخرى بعد الموت بما لايدع مجالًا للشك. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۱ و فى الحقيقة فإنّ أعلام العلوم الطبيعية كالباحثين الذين يقفون كل يوم فى حفرياتهم على آثار جديدة تتعلق بالحضارات السابقة طبعاً قد يبذل هؤلاء الباحثون و المنقبون جهودهم بالبحث عن الأشياء القديمة والتحفية لغرض تحقيق بعض الأرباح المادية، لكن من المسلم به أنّ هناك آثاراً أخرى لهذه الجهود و التى تتمثل بالوقوف

على كيفية ظهور المدنيات السابقة و مدى مهارة بناء تلك المدنيات. توضيح ذلك: دلّ تقدم العلوم التجريبية لأول مرّة على عدم وجود الفناء المطلق والعدم التام بتاتاً بالنسبة لمواد العالم و الذى كان يستحوذ على عقول الكثير من القدماء، فقد أثبت العالم الفرنسى المشهور «لافوازيه» إنّ أى مادة فى الكون لا تفنى، بل مواد العالم تتحول دائماً من شىء إلى آخر، فلو أحرقنا شجرة ونثرنا رمادها فى الهواء، أو أشعلنا مقداراً من البنزين بأكمله بحيث لا- تبقى ذرة منه، فليس هناك أى فارق يحدث فى المواد الموجودة فى العالم، و على أساس الفرض الأول فإنّ ذرات الشجرة تحللت و انتشرت فى الأرض والهواء فأصبح جزء منها رماداً و آخر تبدل إلى غازات كاربونية (مركب من كاربون الشجرة و اوكسجين الهواء) و لو توفرت الوسائل التى تقوم بجمعها من أتون أجزاء الأرض والسماء و فصلنا عنها اوكسجين الهواء ثم ركبنا بعد ذلك جميع الأجزاء لعادت تلك الشجرة الأولى دون أن ينقص منها حتى واحد بالألف من الغرام، و فى الفرض الثانى (الإحراق التام للبنزين) يتبدل جميعه إلى غازات يمكن إعادتها إلى البنزين الأول ثانية دون أى نقص من خلال جمع تلك الغازات و ترتيبها من جديد، و عليه فقد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۲ تقودنا حالة عدم الدقة التى نمارسها فنطلق جزافاً أنّ هذه الأشياء قد فنت، فى حين ليس هنالك شىء يفنى بل يتحول من شىء إلى آخر. و الواقع هو أنّ هذه العملية بالضبط كتبديل النقود من عملة إلى أخرى باسعار ثابتة- من قبيل تبديل الدولار إلى دينار- فلم يحصل سوى تبدل شكل العملة و إلّا فقيمتها ثابتة ويمكن إعادة العملة الأخيرة إلى سابقتها فى أى وقت، و هذا ما عليه الحال بالنسبة لمواد العالم التى تتحول من شكل إلى آخر. و على هذا الأساس ففى قضية تشتت ذرات بدن الإنسان ليس هنالك شىء يفنى و يزول و قد ادخر فى صندوق توفير عالم الطبيعة ويمكن سحبها فى أى زمان. طبعاً هنا مسألة أخرى مطروحة و هى أنّ هذه الأجزاء قد تصبح أحياناً جزءاً من بدن إنسان آخر و يبدو أنّ ذلك يسبب بعض المشاكل بخصوص إعادة حياة الموتى، حيث يمكن أن تتصارع عدّة أرواح بغية الحصول على بعض الأجزاء المعينة حيث تدعى كل روح أنّ ذلك الجزء لها، إلّاأنّنا سنرى قريباً أنّ هذا خطأ محض و ليس هنالك أى صراع من هذه الناحية، و حتى لو فرض أنّ إنساناً إلتهم بدن إنسان آخر فليس هنالك أدنى مشكلة فى أمر معادهما. على كل حال فإن حسابات لافوازية صحيحة فى كافة المواضع سوى فى موضع واحد تفقد فيه المادة وجودها تماماً دون أن تتبدل إلى مادة أخرى وذلك فى إنقسام الذرات و الإنفجارات الذرية حيث تتحول فيها المادة إلى طاقة، و يعتبر أول من إكتشف ذلك لأول مرة «مادام كورى» و زوجها «بير كورى» أثناء مطالعتهما للأجسام الراديو كتيفية (الأجسام ذات التشعشعات الذرية و التى تكون ذراتها فى حالة تآكل وزوال). فقد إكتشفا عام ۱۸۹۸ فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۳ مختبرهما فى باريس عنصراً جديداً يعرف بالراديوم و الذى يتصف بخاصية عجيبة تتمثل بفرزه دائماً للحرارة و الضوء، ثم توصل العلماء بعد عدّة تحقيقات فى هذا المجال إلى أنّ ذرات الراديوم فى حالة تآكل و زوال على الدوام، و فى الواقع فإنّ هذه الأجسام إنّما تفقد جزءاً من وجودها حين تنبعث من باطنها تلك الطاقة الحرارية و الضوء، و قد أدّى الإكتشاف الكبير إلى تعديل قانون بقاء المادة للعالم لافوازية فحلّ محلّه قانون «بقاء المادة- الطاقة»؛ أى ثبت أنّ مجموع مادة العالم و طاقته ثابتة ليست متغيرة و لاينقص منها مثقال ذرة، فتحول المادة إلى مادة أخرى و الطاقة إلى طاقة أخرى و المادة إلى طاقة ممكن، أمّا الفناء و العدم فليس له من سبيل إلى هذا العالم. و بناءاً على ما تقدم فليس فقط ذرات وجودنا فى هذا العالم لا تزول فحسب، بل هى محفوظة فى هذا الصندوق الكبير إلى جانب أفعالنا وأعمالنا و أقوالنا وتصرفاتنا و حتى أمواج أدمغتنا المغناطيسية التى تمثل بأجمعها صوراً وأشكالًا مختلفة للطاقة حين التفكير، و لو كانت لدينا الأجهزة و الوسائل الكافية لأستطعنا سحب كافة الأمواج الصوتية لأسلافنا ودورهم فى الحياة. و نعلم إنّ هذا العمل قد حصل بصورة مصغرة، حيث تمكن العلماء وبالاستفادة من بعض الأمواج الصوتية المتبقية على الظروف الخزفية لما قبل ألفى سنة حيث يحيون أصوات النحّاسين آنذاك و يسمعها الجميع. «۱» و تشير المطالعات على بدنة هذه الظروف الخزفية أنّه حين صنعها قد انتقشت الأمواج لصنّاعها عن طريق رعشات أيديهم على البدنة و بمساعدة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۴ ذلك تعود أصواتهم. أو ليست مثل هذه الأمور خطوات بارزة عريضة من أجل إثبات القيامة على ضوء الدليل العلمى! فلو كان ذلك الإعرابى حياً اليوم وإجتاز بعض المراحل الدراسية العليا لما كان مستعداً لأن يأتى بذلك

العظم الخاوی لیثبت إستحالهٔ المعاد. بل لو لم یجتاز ذلک الإعرابی بعض المراحل الدراسیهٔ العلیا و إکتفی بمشاهـدهٔ أجهزهٔ تسـجیل الأـصوات و إلتقاط الأفلام السائدهٔ فی عالمنا المعاصـر، لما أمکنه کـذلک إنکار المعاد. أفلا یـدعونا ذلک إلی الإذعان علی عزار ما صرّح به آدولف بوهلر الکیمیـائی المعروف قائلًا: «إنّ کـل قـانون یکتشـفه الإنسـان یقرّبه خطوهٔ إلی اللّه، و کـل قانون یکتشـفه یقرّبه خطوهٔ من القیامـهٔ و الحیاهٔ الآخرهٔ بعد الموت». *** المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۴۵ «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاکُمْ عَبَثاً وَأَنَّکُمْ الَیْنَا لَاتُرْجَعُون» «۱»

القیامهٔ تهب الحیاهٔ نکهتها

لاـ شک أنّ للإیمان بالقیامـهٔ و البعث آثاره فی شـکل الحیاهٔ البشـریهٔ، و لو لم تکن هناک من حیاهٔ بعـد الموت لکانت الحیاهٔ فی هـذا العالم جوفاء و تافهـهٔ لا قیمـهٔ لها. کان صوت حرکهٔ الماء المنحدر بسـرعهٔ علی الأحجاز المبعثرهٔ فی جرف النهر و الذی یتخذ أشـکالًا حلزونیـهٔ حول الأشـجار کصوت وقع الأقدام المعروفهٔ التی تداعب قلبی و مشاعری فأشـعر بالسـکینهٔ و الاسـتقرار، کانت لحظات ثمینهٔ بالنسبهٔ لی سیما أنّها کانت فرص نادرهٔ، و لعلی سـمعت کراراً من الکبار ذلک البیت الـذی أنشـده الشاعر المعروف حافظ الشـیرازی حین تقع أعینهم علی عیون المیاه الجاریهٔ و الینابیع و الأنهار و الذی یخاطب فیه نفسه: أن إجلس علی حافهٔ النهر و انظر تصـرم العمر و کأنّه یوحی إلینا بالاکتفاء بهـذه البشارهٔ حول نهایـهٔ العالم- فکانت هـذه الکلمات بمثابـهٔ نسـیم الربیع المعتدل الذی یهب علی شـغاف قلبی، فرأیتنی أکرر تلـک الکلمات مع المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۴۶ نفسـی، فشعرت و کأنّی طرحت حملًا ثقیلًا عن روحی و تنفست بکل حریهٔ، رغبت آنذاک بأن یکون لی جناحان فأحلق بهما کالطیور التی کانت تطیر وترفرف بأجنحتها فوق رأسی، ولکن لما کانت الحیاهٔ تقتضـی عـدم إسـتقرار الذهن و البال فقد دار فی خلدی هذا الهاجس، رغم أنّ تشبیه إنقضاء العمر بمرور الماء یمثل أروع مثال یمکن بیانه بالنسـبهٔ للحرکـهٔ العامهٔ و سـرعهٔ حرکهٔ عالم الحیاهٔ بل عالم الوجود الذی یأبی التوقف و السـکون، إلّاأنّی فکرت مع نفسـی لیت شـعری مـا هی البشـارهٔ التی یحملها تصـرم العمر لنکتفی بها کدلالـهٔ علی إنقضاء العالم. لنفرض أنّی قطرهٔ من ملایین قطرات ماء هـذا النهر و قـد نبعت من عین حسب قوانین الخلقـهٔ و قـد إنـدفعت خلاـل هـذه الأحجـاز و الاشـجار، ولکن مـا عسـانی أبلغ فی نهایهٔ المطـاف، قطعـاً لاـیمکننی السیر إلی الأبـد ... فـالتفکیر بالمسـتقبل المجهول یؤرقنی، فهل سأتیه فی مسـتنقع متعفن ملییء بالحیوانات الوضـیعهٔ ... ما هذه البشارهٔ! و هل تبخرنا وسط الصـحراء القاحلهٔ آخر هذه السـهول الواسعهٔ المترامیهٔ الأطراف یعد فخراً! أم سأعود مرّهٔ أخری إلی ذلک البحر الواسع الـذی نبعت منه فی البدایـهٔ دون أی هـدف فأعیش حیاهٔ مکررهٔ و جوفاء! یاله من ألیم تصـرم العمر هذا الذی آخره مثل تلک الأمور! سأغوص فی أعماق الأرض إلی جوار جذور شـجرهٔ و علی ضوء قانون «إسمز» أعبر قوهٔ الجذب الأرضیهٔ فأتسلق الأغصان بسرعهٔ و أتنقل بین العروق اللطیفهٔ الجمیلهٔ و الزهور العطرهٔ فأصبح فاکهٔ فانهمک فی صنع نفسی حتی أنضبح فتنقطع حاجتی إلی الغصن ثم أهبط من غصن الشـجرهٔ المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۴۷ کرائد الفضاء الذی یقذف بصاروخه إلی کرات العالم، فـاقع فی حضن إنسـان مفکر و عـالم جلس تحت الشـجرهٔ و هو مشـغول بابـداع مؤلف قیّم أدبی وعلمی و أخلاـقی و فلسـفی. فأجلب بلطـافتی و طراوتی إنتبـاه ذلـک العالم حتی أصبـح جزءاً من بـدنه فأواصل سـعی و جهـدی فی دمه و عروقه و أخترق الأغطیـهٔ الرقیقهٔ والحساسهٔ لدماغه فاتحول إلی أمواج فکریهٔ مبدعهٔ لخلق لوحهٔ أدبیهٔ وفلسـفیهٔ رائعهٔ أو أتحول إلی إکتشاف علمی ممیز، ثم أصبح أثراً خالداً بعد أن یسـطر فی قلمه علی صفحات کتابه، و هکذا أکتسب صبغهٔ أبدیهٔ فاوضع فی المکتبات فاحظی باستفادهٔ الجمیع. فلو کان الأـمر کـذلک لکـان هـذا التصـرم دافعـاً لی نحو النشـاط و الحیویـهٔ، وذلک لأنّ قطرهٔ ماء لا قیمـهٔ لها قـد إختلطت بوجود أکمل حتی تحولت آخر المطاف إلی أثر خالـد. فأیـهٔ بشارهٔ و فخر و إعتزاز أعظم من هذا! أما إن کان مصـیری الفناء فی المسـتنقعات المتعفنهٔ أو التبخر أو التطایر فی الهواء أو العودهٔ العابثهٔ إلی البحر فیاله من مصیر مؤلـم و مفجع. فهل هناک من فارق بین مصیر أولئک الذین یرون الموت هو نهایـهٔ الحیـاهٔ ومصـیر تلـک القطرهٔ من الماء؟ فهل یمکن أن یکون هناک من معنی صـحیح لحیاتهم و مماتهم؟ هل الإقرار

بأصل المعاد و مواصلة الإنسان لتكامله بعد الموت و دخوله لعالم أسمى و أرفع لايمنح حياة الإنسان هدفاً و نماية؟ و يخرجها من عبثيتها؟ و من هنا نلاحظ أنّ عبثية الحياة من أهم القضايا التى تزعج إنسان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۸ عصر الفضاء، و أفضل شاهد حى على ذلك الشعور المزعج هو ظهور بعض المدارس- إن أمكن تسميتها كذلك- الفلسفية الحديثة كالمدرسة المادية. و يعترف العلماء و المفكرون الذين يمتكلون رؤية صحيحة تجاه البلدان الصناعية التى رأوها أنّ شعوب تلك البلدان قد تغلبوا على مشاكل البطالة والأمراض و الكهولة و العجز و التعليم من خلال المعامل و المصانع الضخمة والإمكانات الصحيحة الهائلة و الأجهزة الثقافية إلى جانب الضمان و التقاعد و ما إلى ذلك، فالواقع هو أنّ حياتهم و حياة أولادهم مضمونة منذ الولادة حتى اللحظات الأخيرة للموت، مع ذلك فهم يألمون من عبثية الحياة ويرون أنفسهم يعيشون الخفة و الطيش. و لعل سر التنوع الذى ينشده عالم الغرب و مبادراتهم العجيبة هو الهروب من التفكير بشأن هذا الطيش و العبثية. و قد نلمس هذه الحقيقة فى تعبيرها الفلسفى ضمن المدرسة المادية التى تقول: ينفرد الإنسان من بين سائر الكائنات بإدراكه لمفهوم الوجود والعلم بوجوده، و كما كان الوجود أمراً بديهياً للإنسان فإنّ العدم يسود ذهن الإنسان مقروناً بتصوره للوجود، ففى الوقت الذى نشعر فيه بوجودنا أو وجود شىء آخر، كذلك من الواضح لدينا عدمنا أو عدم الشىء الآخر، و على هذا الأساس فالإنسان يشعر بوضوح بعدمه كما يشعر بوجوده، و ما إضطراب الإنسان و قلقه إلّانتيجة لهذا الشعور بالوجود و العدم، و على حد تعبير «سارتر»- العالم الوجودى- من هنا يتضح عبث الوجود و خوائه: لماذا جئنا للوجود، و ما سبب وجودنا؟ (ليس لدينا من إجابة على ذلك) ... فحين لايرى الإنسان من سبب لوجوده يشعر بغربته فى هذه الدنيا، إنّه يشعر بانفصاله عن سائر الأشياء و الأفراد، و الخلاصة فإنّ وجوده زائد لايرى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۴۹ لنفسه من موضع مناسب له. «۱» فلو كان للجنين فى بطن أمّه من علم و ذكاء دون أن يكون له حظ من علم خارج الرحم و فكر فى العيش فى ذلك الوسط لما تردد فى إتباع مدرسة سارتر. إنّه سيرى تلك الحياة المحدودة و المزعجة التى تدار بشكل تبعى لا تحمل أى هدف و غاية و عبثية تماماً، أمّا إن علم أنّه جاء من هناك ليستعد إلى حياة أخرى أوسع و أشمل، و أنّ هذه المدّة هى فترة تربوية خاصة لايمكن بدونها التمتع بحياة مستقله، و آنذاك سيرى معنى للحياة فى فترة كونه جنيناً. و لو أيقنا بأنّ المنزل الذى ينتظرنا لاينطوى على العدم، بل هو وجود بمستوى أرفع و إستمرار لهذه الحياة بآفاق أوسع و أنّ كافة الجهود والمساعى ستنتهى بالتالى إليه، فمن المسلم به أنّ الحياة ستخرج على هذا الأساس من عبثيتها و طيشها و تتخذ لنفسها مفهوماً جدّياً واضحاً. و بناءاً على هذا لابدّ من القول: إنّ الأثر الأول للإيمان بالحياة الآخرة بعد الموت و القيامة هو منح الهدفية و الغائية لهذه الحياة و إخراجها من العبثية. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۱

عامل تربوى مؤثر

عامل مؤثر واقى و عامل محرك قوى

كان أحد الشباب المتعلمين يقول: «أعتقد أنى أتمتع بضمير قوى، و لما كان ضميرى قوياً فإنّى ملتزم بأصول الحق و العدل، و من هنا فلا أرى فى نفسى من حاجة إلى الدين و التعاليم الدينية، فكل ما من شأنه أن يمنحنى الدين فى ظلّ الإيمان باللَّه و الخوف من العقاب فى الدار الآخرة إنّما حصلت عليه فى ظل ضميرى الحى. و عليه أفلا تعتقدون أنّ الدين ضرورى بالنسبة لُاولئك الأفراد دونى درجة و الذين لايمكن إصلاحهم و يأكل بعضهم البعض الآخر دون إستنادهم إلى إيمان قوى و راسخ بالدين، أضف إلى ذلك فالإيمان قد لايستطيع أحياناً إصلاحهم، بل هم يعمدون إلى الحيل الشرعية بغية مواصلة أعمالهم الخاطئة وتحقيق بعض المنافع». طبعاً إنّنا نعلم بأنّ هذا الأسلوب من التفكير لا يقتصر على هذا الشاب، فهناك من بين الفلاسفة و المفكرين من يرى نفسه فوق الدين، و يعتقد أنّ الدين وسيلة تربوية مؤثرة بالنسبة للأفراد فى المستويات المتدنية، بينما هم فى غنى تام عن هذه التعاليم! لكنهم كأنّهم قد

غفلوا أنّ أعظم الجنايات المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۲ و الجرائم إنّما ترتكب على الدوام من قبل كبار الشخصيات و العلماء الأفذاذ و الأفراد من ذوى المستويات العالية، فهم الذين يصنعون القنابل الذرية والهيدروجينية، و هم الذين يخططون للحروب الألكترونية و بالتالى هم الذين يعينون خرائط الاستعمار السياسى و الاقتصادى للبلدان. و الخلاصة فهؤلاء العلماء و المفكرون هم الذين كانوا أداة طيعة بيد قوى الدنيا الشيطانية و هم الذين رسخوا دعائم الاستعمار و الاستبداد والغطرسة من خلال بيعهم لمعلوماتهم و إبداعاتهم و إستعداداتهم العالية، ولايختص هذا الموضوع بعالمنا المعاصر، فالأزمنة الماضية هى الاخرى كذلك حيث يطالعنا الكثير من الأفراد دائماً الذين يقفون إلى جانب الفراعنة ممن على غرار هامان وقارون العالم المقتدر الثرى و هو ابن عم موسى و ممثل فرعون فى بنى إسرائيل و قد كانت له ثروة طائلة يرى أنّه جمعها بعلمه وقدرته، كما كان العديد ممن على شاكلة عمروبن العاص و أبى هريرة إلى جانب معاوية. و بناءاً على ما تقدم فقد تكون حاجة العلماء و المفكرين و ذوى الاستعداد والمستويات العالية إلى الدين أكثر من غير هم بكثير، فهم الذين يسطيعون إشعال الدنيا أو سوقها إلى الصلح و السلام. أمّا الأفراد من ذوى المستويات المتدنية فعادة ما يأتمرون بأوامر هؤلاء فهم إلعوبة بيدهم و ضررهم أقل بكثير إذا ما قارننا انحرافهم بمن سبقهم. *** و لو آمن هؤلاء- و بصورة عامة كافة لبشرية- بأنّ الموت ليس نهاية الحياة، بل هو بداية حياة جديدة و كل ما فى هذه الحياة الدنيا هو مقدمة لها لاكتسب كل شىء طابع الأبدية، و سوف لن تفنى الأعمال و الأقوال والحسنات والسيئات، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۳ و هذه هى الأمور التى ترسم معالم حياتنا الخالدة التى تنتظرنا فإمّا تمنحنا الطمآنينة و السعادة أو الاضطراب و الشقاء، و الأمر بالضبط كالجنين إن كان له عقل و قد قصر فى صنع نفسه خلال تلك المدّة القصيرة من عمره فى بطن أمّه و التى تعتبر فترة بناء الجسم و الروح، فإنّ عليه أن يتحمل العواقب الوخيمة لعمر مديد (قد يستغرق مئة سنة مثلًا) و يذوق الألم والمعاناة و هكذا الحال بالنسبة للإنسان إنّ قصر فى صنع نفسه و تهذيبها فى هذه الحياة الدنيا و كبّدها مختلف العيوب و الأمراض الأخلاقية و النفسية فإنّ عليه أن يتحمل العذاب الأليم و شدته فى عالم ما بعد الموت. و من شأن هذا الإعتقاد أن يقلب حياة الإنسان رأساً على عقب، كونه يشكل درساً تربوياً عالياً ينهض بتربية روح الإنسان و نفسه، و يحول دونه ودون كل تلك الجنايات التى يمكن أن تصدر من إنسان مادى يعتقد أنّها تفنى و تزول جميعاً بفنائه و زواله. فالإعتقاد بعالم ما بعد الموت و بقاء أثر أعمال الإنسان يمكنه أن يكون عامل وقاية متين إزاء الذنوب و المعاصى، كما يمكنه أن يكون عاملًا مقتدراً للحركة و للحث على الاستثمار المادى و المعنوى فى سبيل خدمة الخلق. لا شك أنّ آثار الإيمان بعالم ما بعد الموت ليفوق بدرجات دور المحاكم وقوانين العقوبات الاعتيادية و المكافئات و التشجيعات العادية فى إصطلاح الأفراد الفاسدين و المنحرفين و تشجيع الأفراد المضحين و المجاهدين، وذلك لأنّ من خصائص محكمة العدل الإلهى فى القيامة هو خلوها من الاستئناف والتمييز و لا الواسطة، كما لايمكن تشويش أفكار القضاة من خلال طرح الوثائق المزيفة و ممارسة الكذب و الخداع، كما تخلو من الروتينيات و التشريفات التى تدعوا إلى الإطالة، بل و كما سنذكر ذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۴ بصورة مفصلة أنّ الثواب و العقاب فى ذلك العالم يشبه إلى حدّ بعيد الآثار والخواص الطبيعية؛ يعنى كما لايخطىء الدواء الشافى أو السم القاتل فى تأثيره و لا تجدى الرشوة و التوصية عليه شيئاً و لا تغيّر من تأثيره، فإنّ أفعال الإنسان و أعماله بنفس هذه الكيفية فى العالم الآخر بعد الموت، هذا من جانب. و من جانب آخر فليس هنالك من معنى للتشجيع فى المحاكم العادية لهذا العالم- التى تنطوى على آلاف العيوب- مثلًا إذا لم ينتهك فرد حرمة القانون لخمسين عاماً ولم يرتكب و لو مخالفة صغيرة، فليس هنالك من ثواب لالتزامه بالقانون، يعنى ليس هناك من ثواب ليعطيه. و عليه فالضمانة الإجرائية لهذه القوانين أحادية الجانب: أى أنّه يتّجه دائماً صوب من ينتهك حرمة القانون، لاصوب ذلك الذى يحترم القانون ويلتزم به، والحال ضمانة التطبيق فى الدين ثنائية، فهناك كفة الثواب التى تعدل بثقلها كفة العقاب. فمما لاشك فيه أنّ من يؤمن بذلك العالم يكون غاية الجدية فى إصلاح نفسه و الإتيان بمختلف الأعمال الثقيلة و المعقدة، و كذلك و على غرار الفرد العالم بخصائص الأدوية المشفية و القاتلة فهو شديد الرغبة فى الأول عظيم الخشية من الثانى، فإذا ما أراد أن يقدم على عمل مهما كان حسب آثار ذلك العمل وتمثلها أمام عينيه. و هكذا يكون فى حالة مراقبة تامة و دقيقة

دائميـة على نفسه، بحيث يسـيطر عليها و يحول دونها و دون مقارفـة الجرائم و الجنايات و المفاسـد.*** إنّ الإيمان بهذه الحقيقة يبلغ بالإنسان درجـة يجعله يقول: «وَ اللَّهِ لَأَنْ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۵ أَبِيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجَرَّ فى الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَ غَاصِباً لِشَىءٍ مِنَ الْحُطَامِ» «۱» و مثل هـذا الفرد يحمى حديدة و يقربهـا من أخيه- ذلـك الأـخ الـذى سأله الزيادة من بيت المال و التمييز بين الأفراد فى العطاء- فيضـج منها ويصـرخ، فيخاطبه ناصـحاً «أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيـدَةٍ أَحْمَاهَـا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ، وَ تَجُرُّنى إِلَى نَارٍ سَـجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَـبِهِ» «۲» و لمـا إقترح عليه بعض الأـفراد من قصـار النظر ترسـيخ دعائم حكومته من خلال التمييز العنصـرى بين صفوف المجتمع الإسلامى قال: «أَتَأْمُرُونِّى أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بَالْجَورِ فِيْمَنْ وُ لِّيْتُ عَلَيْهِ! وَاللَّهِ لَاأَطُورُ بِهِ مَا سَـمَرَ سَمِيرٌ، وَ مَا أَمَّ نَجْمٌ فى الَّسمَاءِ نَجْماً» «۳» حقّاً كيف ستصـبح الدنيا لو أضاء بصيص من الإيمان القاطع فى قلوب كافـة زعمـاء العـالم و الأـفراد من بنى البشـر؟ فهـل سـيبقى فيهـا من أثر لهـذه الأنانيـات و الاسـتبدادات و الظلم والانتهاكـات و التجاوزات؟ *** و من هنا تسعى كافـة الأديان السـماوية لبـذل كافـة الجهود من أجل تربيـة الأفراد و إصـلاح المجتمعات من خلال إحياء الإيمان بعالم ما بعـد الموت فى قلوب الناس، و لاسيّما القرآن الكريم الذى أفرد جزءاً مهماً للمسائل التربوية من خلال سـلوك هـذا السبيل، و عليه فليس من العجيب أن ترد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۶ الإشارة إلى هذا الأمر لأكثر من ۱۴۰۰ مرّة فى القرآن، و إليك بعض تلك النماذج. ۱- صرّح القرآن الكريم بأنّ الإيمان و اليقين القطعى بذلك اليوم العظيم يكفى فى تربية الإنسان، بل للظن أيضـا دوراً عظيماً بهـذا الشأن: «الا يَظُنُّ اولَئِكَ انَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوم عَظِيم* يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ» «۱» ۲- أكد القرآن الكريم فى مختلف المواضع أنّ «الأمل» و «الرجاء» بـذلك العالم يكفى الإنسان فى عـدم الطغيان و ترك اللجاجـة إزاء الحق و الإتيان بالعمل الصالـح، و هنـا ينبغى الالتفـات إلى أنّ القطع و اليقين لم يتطرق إلى مفهوم الأمـل و الرجـاء «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَـلْ عَمَلًا صَالِحاً» «۲» «وَقَالَ الَّذِينَ لَايَرْجُونَ لِقَائَنَا لَوْلَا انْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرى رَبَّنا» «۳» ۳- ورد فى القرآن الكريم أنّ لأعمال و أقوال الإنسان صفـة الأبديـة، وكلها ستحضـر يوم القيامة و تكون مع الإنسان: «يوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَـراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» «۴» كما أكّـد فى موضع آخر: «وَوَجِـدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِـراً» «۵» و هكـذا يتبلور فى أعمـاق روح الإنسـان؛ الإنسـان الـذى يؤمن بالحياة بعد الموت قبس كبير من الشعور بالمسؤولية تجاه جميع أحداث الحياة ووقائعها.*** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۷

القيامة فى باطنكم

إنّ هـذه المحكمـة التى يتحـد فيهـا القاضـى و الشاهـد و منفـذ الأحكـام والتى تسـتقر فى أعمـاق أرواحنا جميعاً هى نموذج حى على محكمة العدل الإلهى فى القيامة و البعث. و اليوم حين يراد إنشاء بناية أو مصـنع فانّهم عادة ما يصـنعون مسبقاً نموذجاً مصـغراً يشتمل على كافة مشـخصات و مواصـفات تلك البناية الضـخمة أو المصـنع الكبير ليكون مثالًا و نموذجاً يحتذونه فى عملهم وهو ما يصـطلح عليه بالمجسـمة. و الإنسان أعجوبة عالم الخلقة هو مجسمة صغيرة جدّاً و مختصرة للعالم، مع فارق هو أنّ هذه المجسمة قد أعدت بعد كل ذلك، لأنّ صانعها ومصممها لم يعدها على غرار الصانعين من الأفراد بهدف تلافى الأخطاء بسبب علمهم المحدود، فالمفروغ منه أنّ الصغر و الكبر يجرى علينا بفضل محدوديتنا، بينما هما سيّان بالنسبة لمن كان مطلقا و لامتناهياً فى علمه وقدرته. و العجيب فى هذه المجسـمة الإنسانية أنّها حملت نموذجاً دقيقاً لكل شـىء بما فى ذلك الأسـرار و القوى و العجائب و الدوافع و المنظومات و الكواكب والحيوانات بخلقها و طبائعها و الملائكـة بروحياتها و هكذا كل شـىء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۸ قد أختصـر فيها، و ما أروع تلك العبارة التى وردت فى الشـعر الـذى ينسب إلى أميرالمؤمنين على عليه السـلام أنه قال: «و تزعم أنّك جرم صـغير و فيك إنطوى العالم الأكبر!» لقد ظهر اليوم مشـروع للاسـتفاده من المايكروفيلم فى مكتبات العالم الضـخمة بهدف حل مشكلة مكان الكتاب، فمثلًا يمكن حشـر كبـار المكتبـات فى صـندوق من خلال اسـتعمال أفلام غايـة فى الصـغر، فإذا برزت الحاجـة كبّروا تلك الأفلام بمجاهر خاصـة ليتمكنوا من مطالعـة مايريـدون، و كأن هـذا الإنسان بمثابـة ذلك المايكروفيلم لمكتبة الخلق العظيمة، و كفاه ذلك فخراً. و هذا تشبيه

رائع بين كبير العالم و صغيرة و الذى أخذ يتضح أكثر فأكثر بوسطة التطور و التقدم الذى أحرزه العلم، و إنّنا لنرى نماذج أصغر من ذلك فى سائر موجودات العالم. البنية المذهلة للذرة هى مجسمة للمنظومة الشمسية العظيمة بتلك السيارات و الحركة الدورانية العجيبة، و المنظومة الشمسية بدورها مجسمة للمجرّات و كذلك بُنية الخلية التى لايمكن الوقوف على جماليتها و روعتها إلّا بالمجهر مجسمة لبُنية الشجرة و الحيوان و الإنسان. البذرة الصغيرة للزهور و الخلية الحيّة الكامنة إلى جوار كل نواة، والنطفة الصغيرة المعلقة فى صفار البيضة، كل واحدة منها نموذج لطيف وجميل لباقة ورد أو شجرة عملاقة مثمرة أو دجاجة جميلة، فكل ما كان فى تلك النماذج موجود فى هذه و لابدّ أن يكون كذلك، أو ليس عالم الوجود وحدة واحدة متصلة مع بعضها؟ إن هذا التشابه بين العالم الصغير (الإنسان) و العالم الكبير يجعلنا نلتفت إلى أنّ كل ما فى العالم الكبير يوجد نظيره فى الإنسان، و العكس بالعكس، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۵۹ فما كان فى الإنسان يلفت نظرنا إلى وجود شبيهه فى العالم الكبير (إحتفظ بهذا فى ذهنك). *** يوجد فى باطن الإنسان محكمة صغيرة يصطلح عليها اليوم «الوجدان» ويسميها الفلاسفة «العقل العملى» و وردت على لسان الآيات القرآنية باسم «النفس» أو «النفس اللوامة» و يطلق عليها العرب إسم «الضمير»، و حقاً إنّها لمحكمة عجيبة لا تعدلها كافة محاكم الدنيا بكل أجهزتها وأبهتها وعرضها وطولها. محكمة يتحد فيها «القاضى» و «الشاهد» و «منفذ الأحكام» و «الحاضر» وهو ما اصطلحنا عليه بالوجدان. و هذه المحكمة و خلافاً للمحاكم الصاخبة التى قد تطلب أصول المحاكمات فيها خمس عشرة سنة، فهى لا تحتاج إلى الوقت، نعم قد تطلب ساعة أو دقيقة أو لحظة ليتم فيها كل شىء. ليس هنالك من سبيل للاستئناف و التمييز و إعادة النظر و الديوان العالى والتى تفيد جميعاً عدم الوثوق بممارسات المحكمة السابقة إلى هذه المحكمة، فلأحكامها مرحلة واحدة فقط، ولاغرو فالثقة و الإعتماد هى الحاكمة هنا. ليس فيها الانحرافات التى تشوب أعمال القضاة فى المحاكم الرسمية من قبيل الخوف من المسؤولين و الانفعال بالوصايا و الوساطات و إصدار الأحكام لصالح هذا و ذلك بعيداً عن العدل و الإنصاف و الإغترار بالرشوة والأموال و ما إلى ذلك، نعم، العيب الوحيد فى هذه المحكمة أنّه يمكن إستغلال صفائها وطهرها و بالتالى خداعها و تصوير الحق لها باطلًا و العكس المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۰ بسبب عدم عصمتها و محدودية علمها و معارفها مهما بلغا. و من هنا نقول إنّ الضمير بمفرده لايمكنه أن يحّل محل الدين، مع ذلك فلعل إنحرافه لايتجاوز الواحد بالألف مقارنة بالانحرافات التى تخترق المحاكم البشرية. *** و من مميزات هذه المحكمة أنّها تعاقب المجرمين و كذلك تكرم المحسنين، خلافاً للمحاكم الرسمية التى لا أحظى فيها بكلمة شكر ولو إلتزمت لمئة سنة بالقوانين و لم أنتهك حرمتها، بل حتى لو خلت صحيفة أعمالى من أدنى مخالفة، فمثل هذه المحكمة ليس من شأنها التعامل مع الأعمال الحسنة و تقتصر وظيفتها على معالجة الأعمال السيئة. القضية الأخرى التى تميز هذه المحكمة عمّا سواها هو أنّ عقابها ينبعث من باطن الإنسان و هو على درجة من الشدّة و الألم بحيث قد تضيق الدنيا برحابتها وسعتها على هذا الإنسان فتكون أضيق عليه حتى من الزنزانة الإنفرادية. قد يكون ذنب الإنسان أحياناً كبيراً للغاية فيشتد عذابه حتى يكاد يعيش الجنون، بل قد يعانى من و طأة ذلك العذاب حتى يتمنى معه الإعدام أملًا فى الخلاص من لهيب ذلك العذاب الذى قد لا تطيقه الجبال بينما لايراه من أحد. إلى جانب ذلك فإنّ ثواب هذه المحكمة أيضاً على درجة من الجلال والعظمة بما لايمكن وصفه و هذا ما نصطلح عليه بسكينة الضمير حيث ليس لدنيا مفردة أخرى تبلغ ذلك الوصف. يقال: إنّ أحد أسباب إتساع الأمراض النفسية فى عصرنا يعزى إلى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۱ إستفحال الخطيئة فى أوساط المجتمعات المعاصرة، فالآثمون مهما تخلصوا من بعض الأمور فإنّه لايسعهم الخلاص من عذاب الضمير و تأنيبه، و ما هذه الأمراض النفسية المختلفة إلاـ إنعكاسات لذلك العذاب و التأنيب. إنّنا لنعرف الكثير من الشخصيات السياسية المعروفة التى تفقد جميع قواها و طاقاتها خلال مدّة قصيرة و تستسلم للموت لمجرّد سقوطها ممّا كانت تحظى به من مقامات و مناصب. و لعل أحد العوامل المهمّة لذلك هى أنّهم حين كانوا يتصدون للأعمال لم يكونوا يصغون لصوت الضمير- تجاه المخالفات التى كانت تسود حياتهم- أمّا الآن و قد تبخر ذلك الصخب و النشاط فقد أخذت محكمة الضمير تشدد خناقها عليهم فأخذوا يترنحون على ضربات عذابها الموجع. هذه بعض النماذج البسيطة التى تتميز بها هذه المحكمة العجيبة والتى أسميناها الضمير.

*** فهل یمکن التصـدیق بوجود مثل هذه المحکمهٔ و بهذه الأجهزهٔ لدی هذا الإنسان الصـغیر بینما تنعدم مثل هذه المحکمهٔ فی هذا العالم الواسع من أجل النظر فی أعمالنا صالحها و طالحها؟ أو لا تلفت نظرنا هـذه المحکمهٔ الصـغیرهٔ إلی باطن هذا العالم العظیم الذی یضم محکمـهٔ عظیمـهٔ تسع هـذا العالم و بعظمـهٔ خالقه الجبار، و التی لا تعرف للعیب و النقص من حـدود، و لابدّ أن یحضـرها الجمیع یوماً لیری ما بـدر منه من أعمال ربّما یکون نساها إلّاأنّها محفوظـهٔ هناک حیث لایضـیع شـیء و لاینسـی شـیء، و عقابها نار أرعب و أوجع من نـار الضـمیر و ثوابهـا أکـبر و أعمق من ثوابه و لکـل حسب سـعیه و عمله؟ المعـاد و عـالم الاـخرهٔ، ص: ۶۲ قطعاً مثل هـذه المحکمـهٔ کائنـهٔ فی ذلک العالم الکبیر و التی یمکننا تسـمیتها بضـمیر العالم. *** و لعل هـذا هو السـبب الـذی قرن محکمهٔ الضـمیر بالحـدیث عن البعث والقیامهٔ العظیمهٔ التی وردت فی القرآن الکریم: «لَا أُقْسِمُ بِیَوْمِ الْقِیَامَهِٔ* وَ لَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَهِٔ* ایَحْسَبُ الِانْسانُ الَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ* بَلَی قَادِرِینَ عَلَی أنْ نُسَوِّیَ بَنَانَه» «۱». فقد قرنت المحکمتان مع بعضهما فی هذه الآیات القرآنیهٔ. *** المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۶۳

القیامهٔ ردود علی الألغاز

اشارهٔ

لو قطعنا رابطهٔ هذه الحیاهٔ من عالم ما بعد الموت، لأصبح کل شیء علی هیئهٔ لغز و لتعذر علینا الردّ علی أکثر التعلیلات.

العالم فی عین فرخ!

نرید أن نتعرف علی مفهوم الحیاهٔ و الماضـی و المسـتقبل و کذلک عالم الوجود من زاویهٔ نظر «فرخ» لم یخرج لحدّ الآن من البیضهٔ و یری العالم: «آه! یاله من سـجن صـغیر، لا أسـتطیع تحریک یـدی و رجلی ... لا أدری لم خلقنی خالق العالم لوحدی، و لم خلق الدنیا بهذا الصـغر والضـیق، ماذا ینفعه سـجن وحید، و ما عساه أن یحل مشـکلهٔ؟ لا أدری مم صنع جدار هذا السجن، کم هو محکم و أصم لعل سـرّ ذلک عـدم سـرایهٔ موج العدم المخیف من خارج هذا العالم إلی داخله، لا أدری .... آه! لقد نفد غذائی الرئیسـی من الصـفار (المـح) تماماً و الآن أتغذی علی الزلال، و لعله سـینفد سـریعاً فأموت جوعاً و تنتهی الدنیا بموتی، یاله من عبث ولغو و دون طائل خلق هذا العالم مع ذلک فهو یسـتحق منّی الشـکر، فقد منحنی العزّهٔ حیث خلقنی وحدی و أنا صـفوهٔ العالم! المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۶۴ قلبی هو مرکز هذا العالم و أطراف بدنی هی شـماله و جنوبه و شـرقه وغربه! ... إنّی لأشعر بالفخر و الإعتزاز من تصور هذا الأمر، لکن ما الفائـدهٔ فلیس هنالک من یشاهد کل هذا المجد و یبارک لهذا الموجود صـفوهٔ الخلق! آه لقد برد الجو فجأهٔ (لقد نهضت الدجاجهٔ بضع لحظـات من البیضـهٔ من أجـل الحب و الماء) لقـد إجتاح البرد الشدیـد جمیع محیط السـجن و قـد دبّ فی عظمی، آوه، إنّ البرد یقتلنی، لقـد شع نور عظیم من حدّ العدم فی باطن هذا العالم فأضاء جدران سـجنی، أظن قد حانت اللحظهٔ الأخیرهٔ للدنیا و قد أشـرف کل شـیء فی هـذا العالم علی نهایته، أنّ هذا الضوء الشدید المؤذی وهذه البرودهٔ القارسهٔ تکاد تقتلنی. آه! کم کان عبثیاً هذا الخلق و سریعـاً لاهـدف له و لاطائل من وراءه، ولادهٔ فی السـجن، و موت فی السـجن، ثم لا شـیء! ... بالتالی لم أفهم «من أین جئت، و کیف کـان!» ... آه! یـا إلهی، لقـد زال الخطر (عـادت الدجاجـهٔ ثانیـهٔ لتنـام علی البیضـهٔ) بـدأت تـدبّ الحرارهٔ فی عظمی، و قـد زال الضوء الخاطف و القاتل، أشـعر باطمئنان کبیر، کم هی لذیـذهٔ هـذه الحیاهٔ! یا ویلی زلزلهٔ! أصـحبت الدنیا کن فیکون (تقوم الدجاجهٔ بتقلیب البیوض تحت أقـدامها للحصول علی حرارهٔ متساویهٔ) لقد هز جمیع عظامی صوت ضـربهٔ قویهٔ مرعبهٔ، إنّها لحظهٔ نهایهٔ الدنیا و سـینتهی بعدها کل شیء، أشعر بالدوار و أعضاء بدنی ترتطم بجدار السجن، و کأنّه قدر لهذا الجدار أن یتحطم و یقذف بعالم الوجود بغتهٔ فی وادی العـدم الرهیب ... إلهی ما الـذی یحـدث! آه! یاإلهی، لقـد حسـنت الأوضاع وها أناذا أشـعر بالإسـتقرار؛ فقد زالت المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۶۵ الزلزلـة، و عاد كل شـىء إلى سـكونه، لم يكن لهـذه الزلزلـة من أثر سوى أنّها غيرت قطبى العالم فقد أصبح القطب الشمالى جنوباً و الجنوبى شمالًا! إلّا أنّ الأوضاع أصبحت أحسن من السابق، شعرت لمدّة بحرارة شديدة فى رأسى و على العكس كان البرد دبّ فى يـدى و رجلى، و الآن عاد الاعتـدال و التوازن. كأنّها لم تكن زلزلـة، بل كانت حركـة للحياة! (مرّت عـدّة أيّام على هـذه الحالـة) آه! لقـد نفـد غـذائى تماماً، حتى أنّى لعقت كل ما فى جـدار السـجن ولم يبق شـىء ... خطر، هـذه المرة، جـدى ... إنّها نهاية الـدنيا، و قـد فغر الموت والفنـاء فاه على مقربـة منّى. حسـناً دعنى أموت، لكن لم يعلم بالتالى الهـدف من خلق هـذا العالم و من هـذا المخلوق السجين الوحيد؟ ياله من عبث! كم هو لغو! لا طائل من وراءه! ولادة فى السجن و موت و فناء فى السجن، «لست راضياً بهذه الخلقـة، كانت مفروضـة!». آه! إنّ الجوع قـد أخـذ مأخذه منّى، لقد فقدت توازنى و الموت يلاحقنى، كأنّ هذا السـجن بكل بؤسه هو أفضـل من العـدم، جـاءنى خـاطر، كـأنّى بصوت ينطلق من أعمـاقى إضـرب بمنقـارك و بشـدّة جـدار السـجن! يالها من فكرة خطيرة! أفيمكن ذلك. هـذا إنتحار، هذا آخر الدنيا، هنا الحد الفاصل بين العدم والوجود ... لكن لا، لعل هناك خبراً آخر و أنا لا أعلمه ... أنا محكوم بالموت، دعنى أموت بعد جهد. لقد إشـتد هذا الصـراخ فى أعماقى و هو ينادينى حطم الجدار ... آه! لعلى أمرت بقتل نفسـى ... على كل حال ليس لى من سبيل سوى طاعة ذلك النداء الباطنى (هنا يشـرع الفرخ بالضرب بمنقاره الغطاء الشفاف للبيضة). إضرب بقوة ... بقوة أشـد ... لا ـ تخف! أكثر قوة! ... المعـاد و عالم الاخرة، ص: ۶۶ آوه! تحطم جـدار الوجود و العـدم، مرّت من هذه النافذة عاصـفة إلى باطنها، لا نسيم لطيف و منعش، لقد تجددت حياتى! لقد تغير كل شـىء، إنّ الأرض والسـماء فى حالة تبدل و تغيّر، لابدّ من الطرق بقوة أكثر! لابدّ من تحطيم هذا السجن تماماً ... آه! يا إلهى ياله من جمال! ... ياله من ساحر! ... ياله من واسع! ياله من كبير! يالها من كواكب رائعة! ياله من ضياء لطيف! إن عينى تمتلىء بالضوء، يالها من أزهار! يالها من أنغام! ... أى أمٍّ حنونة لدى! ... ما هذه الأطعمة المتنوعة و المختلفة! ... ما أكثر مخلوقات اللّه! ... آه كم أنا صغير و هذا العالم الكبير! كيف أكون مركز العالم! لست أكثر من ذرة غبار معلقة فى فضاء واسع ... الآن فهمت لم يكن ذلك المكان سـجناً، كان مدرسة، كان مؤسـسة تربوية، كان وسطاً تربوياً عظيماً أعـدنى للعيش فى هـذا العـالم الواسـع الجميـل، الآـن بـدأت أفهـم المعنى الـذى تنطـوى عليـه الحيـاة، و مـا هـدفها و مـا هى برامجها ومشاريعهـا، الآن أسـتطيع القول بقوة كم كانت قياساتى بسـيطة بينما كبيرة جـدّاً هى مفاهيم هـذا العالم، و قـد كنت فى حلقـة صـغيرة ضمن سلسـلة طويلة، و هنـاك حوادث لا تعرف بدايتها من نهايتها، و الحال كنت أرى كل شىء منحصراً فى تلك الحلقة التى تخلص فيها البداية و النهاية. الآن عرفت أنّى فرخ صـغير، و أصغر ممّا يتصور. *** كان ذلك شكل عالم الوجود على ضوء رؤية فرخ سجين. أفلا نتصور كـذلك هو الأمر لهـذا العالم الذى نعيش فيه إزاء العالم الذى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۷ يعقبه؟ هل هناك دليل يقوم على نفى ذلك؟ لقد صور التأريخ مدى الإيرادات الضخمة التى طرحتها المدارس المادية إزاء خلق الإنسان، وبصورة عامة خلق العالم و كذلك المصائب و المعاناة و الآلام و الويلات التى يواجهها الإنسان طيلة عمره القصـير، و أفضل نموذج على ذلك ما أورده الشاعر العربى المادى النزعـة المعروف «إيليا أبو ماضـى» و الـذى يختتم فيه أحـد أشـعاره باللازمـة «لست أدرى». كما نشاهـد شبيه ذلك فى أشـعار الشاعر الفارسـى المعروف «بهمنى». إلّاإنّنا نعتقـد بأنّ أغلب هـذه الإشـكالات هى وليدة المطالعات المحدودة فى الدنيا المادية لهذا العالم و الانقطاع عن الحياة القادمة و عالم ما بعد الموت، وهى بالضـبط كتلك التى أوردها الفرخ الذى لم يخرج بعد من بيضته، و قـد مرّ علينا جانب من شـعوره و حسابه للأمور. طبعا إذا أغضضـنا الطرف عن القيامـة و حياة ما بعد الموت فسوف لن نمتلك إجابة على كثير من التعليلاـت، أمّا إن نظرنا إلى هـذه الحياة بصـفتها حلقـة تكامليـة وسط سلسـلة طويلـة من التكاملات لتغير الحال و لحلت أغلب المسائل العالقة من خلال إرتباط حاضـر الحياة البشـرية بمستقبلها، و أمّا قولنا أغلب المسائل- لاجميعها- فذلك لأنّ بعض هذه المسائل من قبيل الآلام و المصائب و الويلات إنّما تنبثق عادة كنتيجة لأعمالنا أو نظامنا الاجتماعى الفاسد أو الحركات الاستعمارية أو الضـعف و الوهن و الكسل، وهى الأمور التى ينبغى التفتيش عن عواملها فى كيفيـة الأنشـطة الفردية والاجتماعية و العمل أجل إزالتها.
*** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۶۹

القيامة فی الكتب السماوية

اشارة

جهد «اليهود» إثر غرقهم في الماديات وسجودهم للثروة في محو آيات القيامة ليتسنى لهم مواصلة أعمالهم دون تأنيب من ضمير. و أمّا «النصارى» فقد إقتعلوا الآثار التربوية للإيمان بالقيامة على ضوء مسألة الفداء و الخلاص بواسطة السيد المسيح عليه السلام و صكوك غفران القساوسة. لقد تضمنت رسالة الأنبياء و المفكرين إلفات إنتباه الإنسان إلى أمرين والإجابة على لغزين؛ هما بداية الخليقة و نهايتها و بعبارة أخرى «المبدأ» و «المعاد». و من المسلم به أنّ فهم معنى الحياة لايتيسر دون فهم الأمرين المذكورين، و كذلك يتعذر دون فهمهما المعرفة الواقعية للعالم. و التربية بمعناها الحقيقي- يعنى التربية التي لا تقتصر على التشريفات وآداب الضيافة و أسلوب تناول الطعام و مجاملة الأصدقاء و ما إلى ذلك، بل تلك التي تتجاوز سطحية الحياة و تغوص في أعماق حياة الإنسان وروحه- فنحتاج إلى حلّ هاتين المسألتين؛ يعنى الإلتفات إلى جهاز المراقبة الذى يحكم الإنسان و التوجه إلى الثواب و العقاب و تكامل الإنسان و سقوطه المعاد و عالم الاخرة، ص: ٧٠ على ضوء أعماله. و عليه فليس هناك أى كتاب سماوى و لا نبى إلّاوقد إستندت دعوته إلى الموضوعين المذكورين، ولكن دفع الجهل و قلّة العلم بالكتب و إمتداد يد التحريف إلى الكتب السماوية قد شوه صورة القيامة عن واقعها الصحيح. و لا بأس أن نعرض هنا إجمالًا إلى مضامين تلك الكتب وتسليط الضوء على بحث القيامة الوارد فيها بغية إحراز بعض الفوائد.

الكتب التاريخية بدل الكتب السماوية

ينبغى الإلتفات هنا إلى أنّ الكتب المقدسة لليهود و النصارى اليوم هى كتب مقدسة فقط كما يرونها، لا أنّها كتب سماوية، و من هنا فهم لايصطلحون عليها بالكتب السماوية، فإنّنا لانجد يهودياً و لانصرانياً واحداً يقول أنّ هذا الكتاب هو ذلك الوحى السماوى الذى نزل على موسى وعيسى عليهما السلام، بل يعترف الجميع بأنّ هذين الكتابين قد خطّا بعد هذين النبيين العظيمين من قبل حواريها و أتباعهما و إن تضمنت هذه الكتب شيئاً من الوحى السماوى، و من هنا فقد ورد فيها الكلام عن سيرة المسيح عليه السلام و موسى عليه السلام و حتى الحوادث التى وقعت بعدهما. توضيح ذلك: العهد القديم (الكتاب المقدس لليهود) و يشتمل على ٣٩ كتاباً خمسة منها المسماة بأسفار التوراة، فنقرأ على سبيل المثال فى الفصل الآخير من السفر الخامس- و الذى يسمى بسفر التثنية- فموسى عليه السلام عبداللَّه و قد المعاد و عالم الاخرة، ص: ٧١ توفى حسب قول اللَّه فى أرض «مواب» و قد دفن فى أرض مواب أمام يعور ...» فهذه دلالة واضحة على أنّهم كتبوه بعد وفاة موسى عليه السلام. وسبعة عشر كتاباً منها تسمى «مكتوبات المؤرخين» حيث جاء فيه كما يفهم من إسمه تأريخ الملوك و السلاطين و ما إلى ذلك، و السبعة عشر كتاباً الباقية تحمل عنوان مكتوبات الأنبياء و رسل بنى إسرائيل و سيرتهم و بيان قصار كلماتهم و مواعظهم و مناجاتهم. و أمّا كتاب العهد الجديد (الكتاب المقدس للنصارى) فيشتمل على ٢٧ كتاباً، أربعة منها هى الأناجيل الأربعة و التى كتبت من قبل تلامذة السيد المسيح عليه السلام أو تلامذة تلامذته. و إثنان و عشرون منها هى الرسائل التى بعث بها بولس و سائر رجال النصرانية إلى المناطق المختلفة، و الكتاب الأخير هو مكاشفات يوحنا الذى يشرح مكاشفاته على كل حال فإن هناك فارقاً واضحاً بين العهد القديم و الجديد، و هو كثرة الكلام فى كتب اليهود عن الدنيا وقلّته و ندرته عن القيامة! و الحال ليس الأمر كذلك فى الإنجيل فالحديث يبدو كثيراً نسبياً عن القيامة و العالم الآخر الذى يعقب الموت و الثواب و العقاب، حتى صرّح «المستر هاكس» الأمريكى كاتب «قاموس الكتاب المقدس» قائلًا إنّ أفكار اليهود فى بعض المسائل المتعلقة بعالم ما بعد الموت مجهولة و غير واضحة تماماً. و كل الذى يمكن قوله مع أخذ بنظر الاعتبار الوضع الخاص الروحى لليهود هو أنّهم- اليهود- يشتهرون من بين كافة أقوام العالم بماديتهم وأنانيتهم وركوعهم للثروة دون أى قيد و شرط حتى قيل أن إلههم هو

المعـاد و عـالم الاخرهٔ، ص: ۷۲ المـال، و حين إمتـدت أيـديهم إلى تحريف كلمـات الأنبيـاء و تعـاليمهم فما كان فى الـدنيا وماديـاتها أثبتـوه، و مـا كـان فى القيامـهٔ و عقـاب أصـحاب الـدنيا و الظلمـهٔ و الآثمـهٔ حـذفوه منهـا، فهم لايقتصـرون على تحريف أخبـار العـالم لصالحهم، بل لايتورعون حتى عن تحريف كلمات الأنبياء و الكتب السـماويهٔ! و قد وردت فى القرآن الكريم بعض الآيات التى تشـير إلى طبيعـهٔ اليهود الذين عاصـروا النبى صـلى الله عليه و آله و مدى حرصـهم على الحياهٔ الماديهٔ: «وَ لَتَجِدَنَّهُمْ احْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيوةٍ» «۱» .و هذه هى الروحيهٔ التى تلمس فيهم اليوم كما الأمس، كأنّها أصـبحت جزءاً من دمهم و طبيعتهم على مرور الزمان، و هذا مايفسـر سلوكيتهم وتشـردهم فى الماضـى و مـدى لجـاجتهم فى العصـر الراهن، و لاـنرى أنّهم سـيخرجون من دوامتهم إلّاأن يعيـدوا النظر فى حياتهم و يمدوا يد السـلام إلى شـعوب العالم ولايقتصـرون بالقيمهٔ و القدسـيهٔ على المادهٔ فقط، على كل حال رغم عدم إهتمام كتب العهد القديم بقضـيهٔ القيامهٔ فإنّ هناك تعبيرات واضحهٔ يمكن مشاهدتها بهذا الخصوص، نعرض الآن إلى بعض نماذجها. ۱- نقرأ فى الكتـاب الأول لصاموئيل (الباب ۲ الجملهٔ ۶): «إنّ اللَّه يحيى و يميت و يقبر و يبعث». و العبـارهٔ- كمـا يفهم منهـا- تـدل صـراحهٔ على المعاد الجسمانى إضافهٔ إلى أصل القيامهٔ، فالقبر مكان الجسم الذى يتبدل فيه تراباً، و إلّافالقبر لايضم الروح لتنبعث منه، و هذا يشبه ما ورد فى القرآن: «وَ انَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فى الْقُبُورِ». «۲» ۲- نقرأ فى كتاب يوشع النبى (الباب ۲۶ الجملهٔ ۱۹): «سيحيى موتاک و يريدون أجسـادى، انهضوا يا من سـكنتم فى التراب المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۷۳ وانتبهوا و ترنموا!». فقد وصـفت القيامهٔ فى هذه العبارهٔ بأنّها نوع من الإنتبـاه (شبيه الإنتبـاه من النوم) و هو الأـمر الـذى ورد فى الروايات الإسـلاميهٔ «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا». فتشبيه «الموت» أو «القيامـهٔ» بالإنتبـاه من النوم يعلمنـا كثيراً من الأشـياء سـنتعرض لها لاحقاً إن شاء اللَّه. و لعل المراد بالعبارهٔ أجسادى (رغم أنّ لكل فرد جسـد واحـد) الأعضاء والأطراف المختلفهٔ للجسد، أو الأجساد التى تتغير طيلهٔ العمر و بمرور الزمان. ۳- نقرأ فى مزامير داود (المزمور ۲۳ الجملهٔ ۴ إلى ۶): «سوف لن أخشـى السوء من مشى فى وادى الموت لأنّک معى، سيلحقنى كل إحسان و رحمهٔ و أسكن فى بيت اللَّه إلى أبـد الاباد». حيث تتضح بجلاء من هذه العبارات الرابطهٔ بين الإنسان فى عالم ما بعد الموت و الأعمال التى بها فى هذا العالم، فستتبعه أعمـاله أينمـا حل و لا تنفصل عنه أبـداً. *** و هكـذا تكون قـد وردت إشارات واضـحهٔ إلى يوم القيامـهٔ فى كلمات الأنبياء كداود و يوشع و صاموئيل، إلّاأنّ اليهود تناسوا القيامهٔ و البعث وكأن ليس هنالک من دنيا بعد هذه الدنيا و حياتها الماديهٔ.

القيامهٔ فى الأناجيل

كما ذكرنا سابقاً فإن الأناجيل كانت أكثر صـراحهٔ من غيرها بشأن الحـديث عن القيامـهٔ. و إليک نموذجان منها: المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۷۴ ۱- نقرأ فى إنجيـل يحيى (الباب ۵ الجملهٔ ۲۷- ۲۸): «سـتأتى الساعهٔ التى يسـمع فيها كل من فى القبور ندائه فينهضون، فمن عمل عمل حسـناً له قيامـهٔ الحياهٔ و من عمل عمل سـيئاً له قيامهٔ الحساب». و المراد بقيامهٔ الحياهٔ هو الحياهٔ الخالدهٔ فى النعم الإلهيهٔ التى تمثل ثواب المحسـنين، و المقصود بقيامـهٔ الحساب هو عقاب المسـيئين بمقتضـى حساب اللَّه و عدله. و أخيراً فالعبارهٔ- بالنظر لذكرها القبور التى تمثل موضوع جسم الإنسان- إشارهٔ إلى المعاد الجسـمانى. ۲- وردت إشارهٔ صـريحهٔ إلى قضيهٔ الجزاء و الثواب يوم القيامهٔ فى إنجيل متى- و هو أول الأناجيل- حيث جاء فيه: «سـيأتى الابن فى جلال أبيه و معه الملائكـهٔ و سـيجزى كلا حسب عمله». (إنجيل متى، الباب ۱۶ الجملهٔ ۲۷) و نظير هذه العبارات التى تتحدث عن الثواب و العقاب و الجنّهٔ و النار والحساب فى عالم ما بعد الموت، و هى كثيرهٔ فى كتب العهـد الجديـد و الأناجيل. *** ولكن للأسف فقـد شوه بعض النصارى الآثمين الآثار التربويـهٔ العقائديهٔ والإيمان بالمعاد و القيامهٔ بحيث لم يعد هنالک من دور للعمل الصالح أو السيىء فى الفوز بالحياهٔ الخالدهٔ أو العذاب الدائم، و ذلک من خلال البـدع الخطيرهٔ الـتى ابتـدعوها من قبيـل صـكوک الغفران و أنّ المسـيح عليه السـلام صـلب ليكفر عنهم سـيئاتهم و مـا إلى ذلـک من التحريفات.

القرآن و الآخرهٔ

أول إرشاد

اشارهٔ

لقد كان يوماً بين هذه الذرات المؤلفهٔ لأبداننا مسافهٔ تتجاوز ملايين الكيلو مترات و كانت متناثرهٔ فى كل مكان، فهل يمكن أن ترتبط مع بعضها بعد تشتتها ثانيهٔ بعد الموت؟ لقد حدثت هزهٔ عنيفهٔ فى وسط الوثنيين فقد تزلزلت دعائهم الوثنيهٔ، فقد ظهر دين جديد، دين التوحيد، دين عبادهٔ اللَّه الواحد الأحد و الذى أخذ ينتشر بين الناس بالسرعهٔ و يسيطر على أفكارهم و لاسيّما الشباب الذين إستقطبهم بصورهٔ أعمق من غيرهم. إثر ذلك عقدت الجلسات و الندوات الصغيرهٔ و الكبيرهٔ و نظمت الاجتماعات فى الأوساط العالميهٔ و الأنديهٔ و الأسواق و المسجد الحرام و فى بيوت المشركين بهدف مواجههٔ هذا الدين و الحيلولهٔ دون إنتشاره و نفوذه، و كان كل فرد يفكر فى العثور على نقطهٔ ضعف فى هذا الدين الجديد الذى سدد ضرباته لدينهم القديم. و فجأهٔ إنبرى أحدهم من زاويهٔ فى المجلس ليقول: «هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ اذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمزَّقٍ انَّكُمْ لَفى المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۷۶ خَلْقٍ جَديدٍ* افَترى عَلَى اللَّهِ كَذِباً امْ بِهِ جِنَّهٌ» «۱» نعم كان الإعتقاد بعالم الآخرهٔ و بعث الموتى و وقوفهم للحساب آنذاك هو نوع من أنواع الجنون أو توجيه التهمهٔ للَّهسبحانه، كما أن إنبثاق الحياهٔ من المادهٔ الصماء التى لاروح فيها هو الآخر كان يمثل أمراً جنونياً لايمكن تصوره، و بالطبع لايبدو هذا النمط من التفكير مستغرباً من أولئك الأفراد ممن يعيشون فى «ضلال مبين» و لم يشموا لسنوات مديدهٔ نسيم العلم والمعرفهٔ. إلّاأنّ الطريف ماينبغى معرفته من القيامهٔ التى أحدثها القرآن الكريم بشأن مسألهٔ يوم القيامهٔ، حيث إعتمد الأدلهٔ اللطيفهٔ و الأمثال الرائعهٔ والمنطق السهل والممتنع الذى يجتمع عليه عوام الناس ممن لاحظ لهم من معرفهٔ وعلمائهم و مفكريهم. و لعلك لا تشاهد صفحهٔ من القرآن خلت من ذكر عالم الآخرهٔ و الحياهٔ بعد الموت و المسائل ذات الصلهٔ، و هذا بدوره يوضح الأهميهٔ التى أولاها القرآن لهذه المسألهٔ المهمّهٔ. و بصورهٔ عامهٔ يمكن تقسيم آيات القيامهٔ من حيث الدليل و البرهان إلى سبعهٔ طوائف بحيث تفتح كل طائفهٔ بدورها نافذهٔ على هذه المسألهٔ الكبرى المهمّهٔ و تعد طريقاً واضحاً و مطمئناً.

الطريق الأول: التذكير بالخلق الأول

«أَفَعَيِينَا بِالْخَلقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» «۱» المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۷۷ لقد ذهل ذلك الإعرابى حين وقعت عينه على قطعهٔ عظم متعفن وسط الصحراء، ولم يكن واضحاً أنّ ذلك العظم لرجل قتل فى نزاع قبلى أم توفاه اللَّه سبحانه، ففكر مع نفسه قليلًا: أنّ محمداً يقول بأنّ هذا العظم البالى سيكتسب الحياهٔ مرّهٔ أخرى و يعود الإنسان شاباً حيوياً طرياً، ياإلها من خرافهٔ عجيبهٔ! ... قسماً بهذه الأوثان سأردّ عليه بهذا الدليل المحكم. فحمل ذلك العظم و أسرع يطلب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله فلما رآه قال: «مَنْ يُحيى الْعِظامَ وَ هِىَ رَمِيم» «۲» و هنا نزلت الآيات القرآنيهٔ كحباب المطر فى الربيع على قلب رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لتجيب بمنطق صريح جذّاب: «قُلْ يُحيِيهَا الَّذى أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «۳» «أَوَ لَيسَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم» «۴» كما وردت آيهٔ أخرى شبيههٔ للآيهٔ المذكورهٔ: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ» «۵» *** و الآن نتصفح أوراق تأريخ ظهور البشريهٔ فنعود إلى الوراء لنرى بدايهٔ الخليقهٔ: ... فجأهٔ قذفت من الشمس كتلهٔ ناريهٔ عظيمهٔ أطلق عليها فيما بعد إسم «الأرض» فأخذت فوراً بالدوران حول الشمس، إلّاأنها كانت متقدهٔ المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۷۸ ومحرقهٔ بحيث إذا تأملها الناظر لما احتمل إنّها ستصبح يوماً موضعاً لكل هذه البساتين الغنّاء و الأزهار الجميلهٔ و الشلّالات و الطيور المتنوعهٔ و أفراد الجنس البشرى. و لا ندرى على وجه الدقّهٔ كم مضى على تلك اللحظهٔ، و لعلها تمتد إلى خمسهٔ آلاف مليون سنهٔ! مضت آلاف ملايين السنين و الأرض ساخنهٔ و

محرقة. ثم إتحد غاز الهيدروجين مع الاوكسجين فى أجواء الأرض ليكونا بخار الماء، و بردت الطبقات العليا من الجو بمرور الزمان فاشبعت ببخار الماء فبدأت سيول الأمطار الرهيبة. إلّاأنّ الأرض كانت على درجة من السخونة بحيث لم تخترقها الأمطار، فكانت تتحول بخاراً قبل ملامستها فترتفع إلى الأعلى و هكذا بقيت البحار لسنوات مديدة- ربّما ملايين السنين- تائهة معلقة ما بين الأرض والسماء! فلم يكن لها من سبيل إلى الأرض و لا إلى جو السماء، فكلما حاولت أن تقترب من الأرض لم تدعها الحرارة، و حين كانت تندفع إلى السماء لم يكن لها القدرة الكافية لحل كل ذلك بخار الماء، فكانت دائبة الحركة. إلّاأنّ تلك الحركة أخذت تبرّد الأرض بالتدريج و تحد من جماحها. فعادت المياه إلى الأرض، حيث تقبلتها ودعتها تستقر فى الحفر، لكن لم يكن يسمع فى الكرة الأرضية سوى صوت الرعد و البرق و زئير الشلّالات و أمواج البحار و صرير العواصف. فلم تتفتح وردة و لابرعم، كما لم تكن هناك فراشة تلقح الأوراق و لا- أصوات لرفرفة أجنحة الطيور التى تحلق على شكل أسراب و جماعات لتحطم حاجز الصوت المرعب لتلك المقبرة، لا صوت حشرة و لا تغريد بلبل ... كان الصمت سائداً فى كل مكان! و فجأة حدثت ثورة عجيبة و حادثة فريدة فقد ظهرت أولى الكائنات المعاد و عالم الاخرة، ص: ۷۹ الحية فى البحار، فأخذت النباتات بالانتشار تدريجياً، ثم أخذت إثر ذلك أولى الحشرات الصغيرة و الحيوانات المختلفة تسرح و تمرح فى البحار و اليابسة. لكن إلى الآن لا أحد يعلم السبب الذى يقف وراء ظهور الكائن الحى من المادة التى لاحياة فيها، و كل الذى نعلمه هو أنّ عوامل خفية إتحدت مع بعضها لتكون هذا الإبداع العظيم، أمّا جزئيات ذلك فما زالت من الأسرار التى لم يقف كنهها العلماء لحدّ الآن.*** و بناءاً على هذا فإنّنا نلاحظ بوضوح أنّ أجزاء من بدننا الفعلى كانت سابقاً متناثرة فى زوايا هذه الأرض الواسعة الخالية من الروح و الحياة، ولعل هناك ملايين الكيلو مترات من المسافة بين ذراتها. إلّاأنّ ذلك التناثر وهذه المسافة لم تكن لتمنعها من التجمع يوماً مع بعضها و تشكيلها لبدن الإنسان. فهل من العجب أن يتكرر هذه العمل مرّة أخرى فتتجمع الذرات التى أصحبت تراباً و تناثرت هنا و هناك لتلبس ثوب الحياة و تعاد الخلقة الأولى فإن رأى الإعرابى ذلك الأمر ضرباً من الجنون، فما بالنا نحن الذين نعيش فى ظل هذا التطور العلمى فنراه عملياً يمكن تحقيقه، و هو ما عبّر عنه الفلاسفة بقولهم: «حكم الأمثال فيما يجوز و فيما لايجوز واحد».

الطريق الثانى: تكرر رؤيتنا للقيامة

اشارة

هناك عيب كبير يتخلل نظرتنا على الدوام و هو: لايلفت إنتباهنا عادة فى حياتنا اليومية سوى الأشياء التى تصطدم بها بصورة إستثنائية، أمّا تلك التى نعيشها دائماً و بصورة مرتبة- مهما كانت خارقة و عجيبة و تنطوى على الدروس و العبر- فقلّما تسترعى إليها إنتباهنا! فعادة ما يتجمع الناس حول مشهد أو لوحة أو ثوب مهما كان عديم الأهميّة إن كان متفاوتاً مع مارأيناه لحدّ الآن على أنّه موضوع يثير التعجب و الدهشة، بينما لا تثير مشاعرنا و أفكارنا أجمل و ألطف و أعمق كائنات هذا العالم إن كانت معنا دائماً، إنّنا نعرف الكثير من الأفراد الأفذاذ والخارقين وليس لهم من عيب سوى أنّهم يعيشون بيننا و على مقربة منّا، ومن هنا لا نعير نبوغهم أيّة أهميّة ولا نكترث لأفكارهم السامية و روحهم العالية! و بالعكس فإنّنا نعرف بعض الأفراد العاديين الذين نطريهم بمختلف طقوس الإحترام والإعتزاز، و ما ذلك إلّالأنّهم ماتوا و إنقطعوا عنّا، إنّ هذا نوع من الاسلوب السطحى الساذج فى التفكير، و المؤسف له أنّه يسود كافة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۲ طبقات المجتمع حتى الخواص منهم. لا نريد أن نبتعد عن أصل الموضوع، ففى عالم الطبيعة الذى نعيش فيه نرى كراراً قضية إحياء الموتى، غير أنّها و بسبب تعايشنا معها فهى لا تسترعى إنتباهنا. يحل فصل الخريف، نتجول فى الصحارى و السهول و ما زال كل شيء لحدّ الآن قد إحتفظ بصورته الطبيعية فنرى الأشياء ذابلة و شاحبة، أوراق الأشجار تلفظ أنفاسها الأخيرة و تسعى جاهدة للإلتصاق بأغصان الشجرة وبالتالى تستسلم لرياح الخريف الباردة فتسقط على الأرض، الأغصان هى الاخرى تعيش حالة

الجفاف و الذبول و كأنّ الحياة لم تدبّ فيها أبداً، فإذا لاحت بوادر فصل الشتاء تسلطت عوامله الطبيعية لتحيل الأشجار إلى جثث هامدة عارية يسودها الصمت التام فلا من طراوة و لا ورق و لا ورد و لا ظل، و لم يبق منها سوى ساق أجرد أشبه بجهاز عظمى مهموم لاروح فيه ولا حركة كالعظام النخرة التى تبقى من أجساد الأموات. و لعل هذه الصورة تتجلى بوضوح فى الصحارى القاحلة القفراء كصحراء الحجاز- التى لا تصلها سوى مياه الأمطار الموسمية- فهى تبدو فى فصل الشتاء بالضبط كالمقابر القديمة و المتروكة، حتى، صوت البوم لا- يسمع فيها بصفته الرفيق الحميم لمثل هذه الأماكن! ثم لايلبث ذلك طويلًا تلوح آفاق فصل الربيع بنسيمه الحيوى و أمطاره المناسبة و حرارته المعتدلة الخلّابة وبالتالى بجميع بركاته التى تجعل الأرض تتنفس الحياة لتدب فى تلك العظام الخاوية للأشجار، كما تفيض الحياة و الحركة و النشاط على تلك الصحارى القفار التى كانت تفوح منها رائحة القبور القديمة و المتروكة، وأخيراً فإنّ قيامة عظيمة تقوم لتجتاح أنحاء عالم الطبيعة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۳ لا شك إنّ موت الطبيعة و بعثها الذى نشاهده كراراً طيلة سنوات عمرنا، ما هو إلّانموذج حى لقيامة البشرية و بعثها للحياة ما بعد للموت. فما الفارق فى ذلك، فقانون الموت و الحياة واحد فى كل مكان. فلو لم تكن هناك من حياة بعد الموت، لما إنبغى أن تستثنى الأراضى الموات من هذا القانون. و إن كان ممكناً، فهو ممكن كذلك بالنسبة لأفراد البشر. فإذا لم يكن هناك أى أثر للحياة فى تلك الصحراء الجافة بالأمس، حتى لا يسمع فيها صوت البوم الشغف بذلك المكان فيسارع للهرب منه، بينما إخضرت و غرقت فى الحياة و النشاط و الحركة اليوم بفعل إرتفاع درجة حرارة الجو و هبوب الرياح المعتدلة و هطول بعض الأمطار، فما بالنا لا نعمم هذا القانون على موت الإنسان و حياته، حقاً ما الفارق بين هذين الأمرين. هذه هى إحدى صور القيامة التى نمرّ عليها دائما مرور الكرام.*** و قد تعرض القرآن الكريم على لسان العديد من الآيات إلى هذه الحقيقة بهدف الإرشاد إلى قيامة الناس، فقد جاء فى بعض الآيات: ۱- «وَ اللَّهُ الَّذى ارْسَلَ الرّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ الى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ» «۱» . و كما نلاحظ فإنّ قيامة البشرية قد قورنت بقيامة عالم النبات. ۲- «وَ نَزَّلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَانْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصيدِ* وَ النَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْع نَضِيدٍ* رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَاحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذلِكَ الْخُرُوجُ» «۲» .المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۴ ۳- «وَ تَرَى الأَرْضَ هَامِدةً فَاذَا انْزَلْنا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَانْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ* ذَلِكَ بِانَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ انَّهُ يُحيِي الْمَوتى وَانَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير» «۱». و بهذا الشكل أصبحت قضية الحياة بعد الموت على هيئة أمر حسى وملموس يتكرر أمام العين كل سنة، بعد أن كانت تراه الجاهلية أمراً محالًا وغير معقول و حتى جنونى.

الردّ على إشكال مهم

قد يرى البعض أنّ هناك إشكالًا مهماً يمكن طرحه بهذا الخصوص و هو: هناك بون شاسع بين حياة الإنسان بعد الموت و تجديد الحياة بالنسبة للأرض الميتة فى فصل الربيع، لأنّنا نعلم أن ليس هنالك من موت حقيقى بالنسبة لمثال الأرض و النبات، كل ما هنالك، هو إندثار لجذوة الحياة، فالأشجار لن تموت قط فى فصل الشتاء، بل هناك سبات، بينما بصيص الحياة موجود فى جوف الجذر و الغصن و الساق، و من هنا فهى تفرق عن الشجرة الجافة واليابسة، أضف إلى ذلك هناك موت ظاهرى للأرض لا واقعى حيث هنالك البذور الحيّة للنباتات التى تتخللها فإذا توفر المحيط اللازم أخذت بالنمو و الظهور، فلو خلت تلك الأرض من البذور لما دبّت فيها الحياة و لو هطل عليها المطر لآلاف السنين و هذا يختلف تماماً و الموت الحقيقى لبدن الإنسان. و للإجابة على هذا الإشكال لابدّ من الإلتفات إلى أمرين: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۵ ۱- لابدّ من التوقف عند بذرة النبات أو نواة الشجرة بفضلها خلية حيّة ليس أكثر فكيف تتبدل إلى مئات الأغصان و السيقان و الجذور و الأوراق الحيّة؟ ألم تنبثق من هذه الأتربة الهامدة الميتة و ذرات الأرض و قطرات الماء و اوكسجين الهواء و هيدروجينه و كل هذه المواد أموات عالم الطبيعة، لتشكل نفسها و تصنع كائنات حيّة من تلك الموجودات الميتة؟ أو لم تكن هذه الشجرة و ذلك البرعم و النبات الذى يحركه هبوب الرياح و ما إلى ذلك، ألم تكن كل هذه الأشياء لبضعة أيام أو عدّة شهور قبل تلك الذرات الميتة الهامدة فى التراب و قد أصبحت اليوم بهذا الشكل؟ أفنجانب الواقع بأن

قلنا الأرض الميتة قد تبدلت إلى أرض حية؟ جدير بالذكر هو أنّ القرآن الكريم لايقول الأشجار الميتة تصبح حيّة (لأنّها لم تمت) بل يقول: الأرض الميتة و ذرات التراب تصبح حيّة! ۲- لو ألقينا نظرة على بداية إنبثاق الحياة فى الكرة الأرضية، لأتضحت المسألة أكثر فأكثر، لأنّ الأرض كانت محرقة فى البداية و لم يكن فيها أى كائن حى، ثم بدأ عصر السيول و الأمطار، و اتحد عنصر الهيدروجين الخانق بالاوكسجين و أخذت السيول و الامطار تضرب الأرض لملايين السنين حتى بردت و استوت، فلما توفر المحيط اللازم للحياة، دبّت فيه بدايات الحياة وظهرت من تلك المواد الميتة للأرض بطريقة تنطوى على الأسرار التى ما زالت خافية على العلماء، و هكذا إكتسبت تلك الأرض الميتة الحياة. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۷

الطريق الثالث: معاد الطاقة وقيامتها

اشارة

إنّنا نرى بأم أعيننا قيامة كلما أشعلنا كبريتاً و تحررت منه طاقة حرارية خاصة، فالحرارة التى ربّما إنفصلت عن الشمس قبل خمسين سنة و قد ظن الجميع أنّها فنت، بينما إدخرت بصورة خفيفة فى جوف عود الثقاب و قد قامت قيامته الآن.* و الطاقة الحرارية المنبعثة من قطرة النفط أو البنزين التى نشعلها قد تكون إنفصلت عن الشمس قبل ملايين السنين، و قد أودعت بشكل فى أعماق تلك المواد و ننظر الآن إلى قيامتها.* كيف يشير القرآن فى بحث المعاد من أجل رسم صورته فى هذه الدنيا ويجسد قيامة الطاقة أمام أعيننا بمثال رائع! عليك بالدقّة فى مطالعة هذا البحث. إنّ الشمس هى مصدر جميع الطاقات الموجودة على الأرض (سوىالطاقة الذرية)، و يخلو هذا الكلام من أى إستغراق أو مبالغة بل هو واقعقائم. على سبيل المثال لو تأملنا جميع المصادر المنتجة للطاقة من قبيل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۸ الفحم الحجرى و الطاقة الكهربائية و الرياح و الحيوانات و الإنسان والكائناتالحيّة لاكتشفنا أنّ المصدر الأصلى لها هو ضوء الشمس. ۱- «الفحم الحجرى» كما يفهم من إسمه المتبقى من غابات و أشجار العصور و القرون السابقة و قد دفن فى أعماق الأرض بفعل مختلف الحوادث التى مرّت على الأرض، و قد تحولت إلى فحم أسود إثر ظروف معينة وبمرور الزمان، و سنقف قريباً أنّ الطاقة المخزونة فيها من ضوء الشمس. ۲- «النفط» تفيد آخر النظريات أنه ما يتّبقى من الحيوانات البحرية الصغيرة والكبيرة للعصور السالفة و قد دفن فى الأرض إثر تغير الظروف الجوية، ثم تبدلت جسيماته بعد سلسلة من الأفعال و الانفعالات المختلفة والقدرة الخلاقة العجيبة إلى هذا الذهب الأسود المذاب و الذى يقال له آلاف المشتقات التى يفوق كل واحد منها الآخر، و سندرك عمّا قريب أنّ ضوء الشمس هو مصدر ظهور الحيوانات و المواد المنتجة للطاقة فى بدنها. ۳- «التوربينات و المولدات الكهربائية» إمّا أنّها تتحرك بواسطة ضغطماء الشلّالات و السدود، و إرتباطها بضوء الشمس- بصفته عامل تبخير مياهالبحار و تكوين الغيوم و نزول الأمطار- واضح، أو بواسطة المواد النفطيةوأمثالها والتى مرّ علينا استمدادها للطاقة من ضوء الشمس. ۴- «حركة الرياح» التى تكون عاملًا لحركة بعض الأجهزة الصغيرة كالسفن الشراعية، و هى ترتبط أيضا بضوء الشمس الذى يسبب إشعاعه على النقاط المختلفة للكرة الأرضية اختلاف درجة الحرارة، و نعلم أنّ اختلاف درجة حرارة نقطتين من الكرة الأرضية يؤدّى إلى هبوب الرياح. ۵- «الحيوانات» و التى تعتبر من مصادر الطاقة، مغ ذلك لايمكنها العيش دون «النباتات»، لأنّ كل حيوان- عادة- إمّا يتغذى على النباتات أو المعاد و عالم الاخرة، ص: ۸۹ على لحوم الحيوانات الآكلة للنباتات، و لا يستثنى من هذا القانون حتى الحيوانات البحرية التى تتغذى على أصغر النباتات البحرية. ۶- لايمكن تنمية النباتات و الأشجار دون الاستفادة من ضياء الشمس- سواء بصورة إشعاع مباشر أو غير مباشر- و من هنا تنعدم النباتات فى أعماق البحار (لأعماق تتجاوز الستمئة متر) و ذلك لعدم وصول ضياء الشمس إليها. طبعا يمكن العثور على بعض الموارد النادرة للطاقة و التى لا تستندفيها إلى ضوء الشمس، من قبيل الطاقة الحاصلة من ظاهرة المد و الجزر فى البحار بواسطة جاذبية القمر و التى يستفاد منها أحياناً من أجل السقى وإنتاج الكهرباء، و كذلك الطاقة الناشئة من البراكين و

أمثالها، إلّاأنّ هذه الموارد نادرة جدّاً كما ذكرنا.

حرارة النار من الشمس!

صحيـح ما يقال أنّ حرارة النار من ذاتها، فحيثما كانت النار، كانت الحرارة والحرقـة، فإن سـلبت حرارتها و حرقتها لم تعد ناراً، و كما يقـال فـإنّ هـذه الكيفيـة تعتبر من الخواص الذاتيـة للنـار. و لكن إن نظرنـا من جانب آخر إلى هـذه الحرارة فإنّها كانت يوماً فى مركز الشـمس و قد إنتقلت إلى الأرض بواسـطة إشعاعها لتستقر بطريقة غير معلومة فى جوف جذوع النخل و لم تطفىء جذوتها بفعل مرور الأشـهر والسـنوات ونزول مالايحصـى من الأمطـار، و بعبـارة أخرى لو بعث عود الثقـاب بشـعلة من النـار خارجـاً، أو إذا إنتشـرت طاقة حرارية خارقة اثر حريق هائل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۰ فى غابة أو مخزن ضخم من الأخشاب فانّها تفقد دفعة واحدة إلى الخارج كـل مـا إختزنته تـدريجياً من ضوء الشـمس خلال عشـرات أو مئات أو آلاف السـنين، أمّا كيفيـة ذلك فهو أنّ هناك قانونين فى علم الكيمياء يوضحان حقيقة الموضوع المذكور، و هو أنّ أى تركيب أو تحليل كيميائى لايخرج عن حالتين إمّا إكتساب أو فقدان الطاقة. فمثلًا إذا أردنا أن نحصل على بضع قطرات من الماء، لابدّ أن نمزج مقداراً من الهيدروجين و الاوكسـجين فى زجاجة محكمة و جافة، إلّاإنّنا نشاهد عدم تركبها و إتحادهما لتكوين الماء، فإن أشـعلنا عود ثقاب و قربناه من فوهة الزجاجة لسـمعنا صوتاً عظيماً يشـبه صوت إنفجار المواد المنفجرة، فيتحد هذان العنصـران مع بعضها و تظهر قطرات الماء على جوانب الزجاجة. و من هنا نستنتج أنّ الماء يساوى الحرارة بالاضافـة إلى الاوكسـجين والهيدروجين، يمكن أن نتحفظ بذلك الماء فى قنينة محكمة لسـنوات، وأمّا إن أردنا تحليل ذلك الماء فى جهاز تحليل فاننا سـنحصل على نفس نسبـة الهيدروجين و الاوكسـجين بالاضافة إلى الحرارة التى يمكن تحسسـها من خلال جهاز التحليل. و نقول فى الصورة الأولى إنّ مركبنا الكيميائى قد إكتسب طاقة، و نقول فى الصورة الثانية: إنّ تحليلنا الكيميائى قد فقد طاقـة، و نعود الآن لدراسـة «أخشاب الأشـجار» حيث تفيـد المطالعات الكيميائيـة أنّها مركبـة من اوكسـجين وهيـدروجين و كاربون و مقـداراً من الأملاح المختلفة، و كما نعلم فإنّ الأملاح مأخوذة من الأرض، و الهيدروجين و الاوكسـجين من الماء، وأمّا الكاربون فمن الهواء، لأنّ أحـد الغـازات الموجودة فى الهواء هو غـاز المعـاد و عالم الاخرة، ص: ۹۱ الكاربون الـذى يتكون من إتحاد الاوكسـجين بالكـاربون، فتقوم خلايـا الأشـجار فى ظـل ضوء الشـمس بتحليل هـذا الغاز فتأخـذ الكاربون و تطرح الاوكسـجين (و من هنا نقول أنّ الأشجار تنّقى الهواء و تزودنا بالاوكسجين، كما تمنح الغابات و خضرة حدائق المدن الإنسان النشاط و الحيوية). ولكن لاينبغى نسيان قولنا «فى ظل ضوء الشـمس» و مرادنا من ذلك أنّه حين إنبات الشجرة و تشكيل السليلوز النباتى فانّ هناك مقداراً من الطاقة الشمسية التى تـدّخر فى الشـجرة أيضـاً، فمن الطبيعى أن تنبعث تلك الحرارة المـدخرة من الشـمس لسـنوات ضـمن عمل الكربنـة حين إحراق الشـجرة و تحللها إلى اوكسجين و هيدورجين (يعنى ماء) و تحرير الكاربون وإتحاده بالاوكسجين. *** و فى الختام لابدّ من الإلتفات إلى هـذه النقطة و هى أنّ الشـجرة تقوم بعمل الكربنة و إدّخار ضوء الشـمس مادامها خضـراء حيّة و مصداق «للشـجر الأخضـر» أمّا إن جفت فليس لها مثل ذلك العمل.*** و الآن بعـد أن إتضـح هـذا البحث، نعود إلى القرآن الكريم لنرى كيف يجسـد لنا معاد و قيامة الطاقة بهذا المثال.

قيامة الطاقة بعد موتها

اشارة

إن إشـعال عود الثقاب و الكوّر العظيمـة التى تشـعل بالأخشاب أو بالفحم الحجرى تمثل كل منها إنبعاث و قيامـة القيامـة، كيف طرح القرآن هذه الحقيقة بعبارات قصـيرة؟ الحديث عن صور متنوعة للعودة إلى الحياة فى هذا العالم و التى نراه بأعيننا أو نمر عليها بينما لا

نـدقق فيها. القرآن الكريم من جانبه و بعباراته القصـيرة البعيدة المعانى يدعو الناس إلى التمعن فى مظاهر القيامة المذهلة، و من ذلك تجـدد حياة الطاقـة التى يفيـد ظاهرها الموت. فقـد أثبتنا فى البحث السابق بالأدلـة الواضـحة أنّ كافة الطاقات الموجودة على الأرض– سوى الطاقـة النوويـة– إنّمـا تسـتند إلى «ضوء الشـمس»، فمثلًا حين يحرق الخشب و الحطب و أوراق الأشـجار اليابسـة فـإنّ الحرارة و الضوء المنبعث منها هو عبارة عن الحرارة و الضوء التى خزنتها تـدريجياً لسـنوات طويلـة من الشـمس، و هى تفقدها الآن جميعاً خلال لحظـة واحـدة أو عـدّة ساعات و كأنّها قـد جرت إلى عرصة القيامة، نعود الآن إلى القرآن الكريم لنرى كيف يبحث هذه المسألة. فقد ورد الحديث ضـمن المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۴ الآيات الأخيرة من سورة يس الآية ۸۰ مواصلة للبحث بشأن القيامة والمعاد: «الَّذى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَـرِ ناراً فَاذَا انْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ». و يالها من عبارة عجيبـة رائعـة! و ما ينبغى الإلتفات إليه هنا هو أنّ لهذه الآية كسائر الآيات القرآنيـة عدّة معانى: بعضـها «بسيطة» ليفهمها عامة الناس و فى كل عصـر و مصـر، و بعضـها الآخر «عميقة» للخواص، و أخيراً «عميقـة جـدّاً» للنخبـة من الخواص، أو للعصور و القرون القادمـة (بالنسـبة لزمان نزول الآيـة). المعنى الأول للآية الذى أشار إليه بعض قدماء المفسّـرين هو أنّ العرب فى العصور القديمة كانت تستفيد من بعض أخشاب الأشجار الخاصّة مثل «المرخ» و «العفار» «۱» التى تنبت فى صـحارى الحجاز من أجل إشـعال النار، فقـد أشارت الآيـة إلى اولئك بالقول: أنّ اللَّه القادر على الإتيان بالنار من الماء (فـالقسم الأعظم من الشـجر الأخضـر هو الماء) قادر أيضاً على خلق الحياة من باطن الموتى! أو ليس بعـد «الماء» عن «النار» شبيه ببعد «الحيـاة» عن «الموت»؟! فمن يـأتى بالنـار من المـاء، و يحفـظ الماء فى جوف النار، لا يتعـذر عليه إفاضـة الحياة على بـدن الإنسان بعد موته. و إذا تقدمنا أكثر نرى أنّ مسألة خاصـية إشـعال النار بواسـطة أخشاب الأشـجار لايقتصر على تلك الأخشاب المعروفة بالمرخ و العفـار، بـل تلك الخاصـية موجودة فى جميع الأشـجار– و إن كانت تلك الأخشاب المعروفـة تتصف ببعض الخصائص و المواد التى تجعلها أكثر إسـتعداداً لـذلك العمل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۵ من غيرها– بحيث تولـد النار إن دلكت بإحكام مع بعضـها. و لهذا السـبب تحـدث أحياناً الحرائق الهائلـة الواسـعة فى الغابات دون أن يكون للإنسان أى دخل فيها، و لم تكن النار إلّا وليـدة الرياح التى ولـدتإحتكاكاً بين أغصان الأشـجار اليابسـة فانبعثت منها، ثم أسـهمت إسـتمرارية الرياح فى إتساع رقعـة النار و إنتشارها، و هذه هى الجدحة الكهربائية التى تظهر إثر الإحتكاك، وهى تلك النار الكامنة فى الواقع فى مركز كافة ذرات كائنات العالم (حتى فى الأشجار و المياه) و تبرز فى الظروف المعينـة، فتنبعث «النار» من «الشـجر الأخضـر»! يبـدو هـذا المعنى أوسع حيث يجسـد لنا جمع الأضـداد فى الخليقة ويدل على البقاء فى الفناء. أمّا التفسير العميق الذى توصلنا إليه بفضل العلوم المعاصرة فهو عودة الطاقة المدخرة لضوء الشمس حين تركيب السـليلوز النباتى (من الكاربون والاوكسجين و الهيدروجين) و التى تنبعث عند إحراق الخشب و الحطب وتحليل السليلوز و تركيب كـاربونه باوكسـجين الهواء و هـذا هو الضوء والحرارة اللطيفـة التى تفيض الـدفىء فى فصـل الشـتاء فى ذلك الكوخ وسـط القرية وتضـيئه، فقد قامت قيامتها، و هو يفقد الآن كل ما إختزنه من حرارة طيلة عمر دون أى نقص، بحيث لم ينقص منها حتى إشعال شمعـة فى لحظـة (عليك بالدقة). لا شك أنّ هذا المعنى لم يكن متصوراً حين نزول الآية من قبل عامة الناس، ولكن كما قلنا فإنّ هذا الأمر ليس مـدعاة لأيـة مشـكلة، لأن لآيـات القرآن عـدّة معـان تختلف باختلاف المسـتويات و تبعاً للإدراكات فى العصور و القرون المختلفة. فمن عاصر القرآن كان يفهم شيئاً منه، و تفهم اليوم نحن شيئاً أكثر من ذلك.

نقطتان مهمتان

هناك تعبيران فى هذه الآية هما أكثر إنسـجاماً مع التفسـير الأخير. ۱– النقطـة الأولى أنّ القرآن قال: «فَاذَا انْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ». «توقدون» من مادة «وقود» و هو عود الثقاب و الكبريت يطلق عليه فى العربى الزناد، و بناءاً على هذا فالقرآن الكريم يعرض صورة حول قدرة اللَّه على الإتيان بالضوء والحرارة من الأشـجار الخضراء، و هى نفس القدرة التى تفيض الحياة على الموتى. و هو الكلام الذى ينطبق تماماً على قيامـة الطاقـة (إنبعاثهـا)، و مـا ذكره المفسـرون بشأن أشـجار النار «المرخ» و «العفار» أنسب للزناد، و الحال عبرت الآيـة بالوقود لا

الزناد. ۲- النقطة الأخرى التعبير «الشجر الاخضر» الذى يبدو غير ممكناً للوهلة الأولى لدى الذهن بالإتيان من النار من الخشب الأخضر، فما أحراه لو قال «الشجر اليابس» ليكون أكثر إنسجاماً مع هذا المعنى، ولكن لا ينبغى الغفلة عن قضية و هى أنّ الشجر الأخضر وحده الذى يستطيع القيام بعمل الكربنة وإدخار الضوء و حرارة الشمس، أمّا الشجر اليابس فلو عرض مئة سنة للشمس لما وسعه إدخار ذرة من طاقتها الحرارية، فيقتصر ذلك الأمر الأشجار الحيّة والخضراء القادرة على القيام بذلك العمل، و عليه فالشجر الأخضر لوحده الذى يمدنا بالنار و هو بمثابة مخزن للطاقة، حيث يحتفظ بالحرارة و الضوء بطريقة معيّنة فى خشب البارد و الرطب، و أمّا إن تيبست هذه الأشجار و جفت فقد عطلت فيه عملية الكربنة و إدخار الطاقة. كان ذلك صورة لقيامة الطاقة فى القرآن الكريم، و الذى يمثل من جانب آخر معجزة علمية لهذا الكتاب السماوى الخالد.

الطريق الرابع: لم القيامة ليست ممكنة؟

اشارة

لقد تناولنا بالدرس لحدّ الآن المنطق القرآنى العميق بشأن الحياة بعد الموت من خلال ثلاثة طرق هى: ۱- كيفية الخلق الأول. ۲- القيامة العامة لعالم النباتات التى نراها مراراً بأعيننا. ۳- قيامة الطاقة حتى بشأن الموجودة الخالية من الروح ظاهريا! و نخوض الآن فى الطريق الرابع و هو التوجه لمظاهر قدرة اللّة سبحانه فى عالم الوجود: ورد فى الآية ۳۳ من سورة الأحقاف: «أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ لَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحيىَ الْمَوتى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَديرٍ».

رؤيتنا لهذا العالم

عبرنا فى إحدى سفراتنا الصيفية من وسط غابة، فطالعنا المشهد الطبيعى الرائع للغابة و الأشجار الهادئة الطافحة بالأسرار، و زمزمة أوراق المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۸ الأشجار التى تعبث بها الرياح، كانت هناك الحيوانات و الحشرات و الطيورولكل مميزاته وحكايته الطويلة الخاصّة به، كان كل ذلك يثير فينا نحنالضيوف العابرون دافع الحيوية و النشاط، و لاسيّما فى ظل التعب و الأرهاقالذى عانينا منه بسبب حياة المكننة المعاصرة، فقد عدنا إلى أحضانالطبيعة، الطبيعة التى ملأت بالطائف و الظرائف الجميلة التى تبعث الحياة و السرور فى أرواحنا الهامدة، وذلك لأنّ الخطوط و النقوش و المشاهد و المناظر كانت معروفة و مألوفة لأرواحنا، لا من قبيل المناظر المصنوعة التى تفقد الروح و الحركة. طبعاً كل ما شاهدناه هو حكاية الغابة اليوم، و الحال قد يكون لهذه الغابة تاريخ عريق بما يمتد إلى مئات ملايين السنين، و لعلها تستمر فى المستقبل و يمرّ عليها مثل هذه المدّة، إن لم تأتى عليها الحياة التكنولوجية المعاصرة الخشنة و الحافة «و القاتلة» لتحيلها إلى خراب دائم. لعل هذه الشجرة الماثلة أمامنا الآن و يبدو لها ثلاثين سنة قد ولدت مئات الآلاف من المرات لحدّ الآن، فقد ماتت و تعفنت و أصحبت تراب، ثم دبّت فيها الحياة من جديد من خلال بذرة صغيرة فانجذبت لجذورها واستأنفت حياتها، ولايعلم كم مرّة ستتكرر عليها صورة الحياة و الموت فى المستقبل. لو شبهنا مجموعة عالم الوجود بتلك الغابة لكانت منظومتنا الشمسية إحدى أشجارها و كرتنا الأرضية أحد أغصانها، و من الممكن أن تكون هذه المنظومة و هذه الكرات أن تكون قد توفت و ولدت آلاف المرات، فقد تعفنت و تلاشت ثم إستعادت حياتها من جديد على غرار تلك الشجرة فى الغابة- أو لم يصرّح الجيوفيزيائيون بشأن الانطفاء التدريجى للعالم و ظهور المعاد و عالم الاخرة، ص: ۹۹ حالة البرودة و الرتابة فيه و من ثم تجدد الحياة بانفجار جدحة عظيمة أخرى فى مركز ذلك العالم الذى لاروح فيه، ففى الحقيقة إنّ حياتنا ليست بعيدة الشبه عن حياة حفنة من الكائنات الحيّة المجهرية على ورقة طافية وسط محيط عظيم، كل الذى نراه هو أمواج تعبث بشراعنا يميناً و شمالًا، غير أنّه ليس من الواضح لدينا أنّ هذه الأمواج تنطلق من أية نقطة فى المحيط. و بناءاً على هذا فما نورده بشأن عظمة عالم الوجود

إنّما يمثل قبس صغير لا يعد شيئاً إزاء سعة الوجود، فهو على درجة من الصغر يصعب حتى تصورها. *** إلّا أن نفس هذا القبس الصغير هو عظيم للغاية و محيّر، و هو لوحة رائعة ومذهلة فى عظمتها و بنيتها. نعلم أنّ أبعاد هذا العالم فى الماضى خمنت بثلاثة آلاف مليون سنة ضوئية (ذلك المقياس الفضائى الذى تبلغ سنته مالايحصى و يقدر مقارنة بوحدات القياس الأرضية)، ولكن إصطدم أحد العلماء أخيراً فى إحدى مطالعاته بكوكب أو منظومة فى الجانب الآخر من المجرّات محتملًا أنّها تبعد عنّا مسافة ١٢ ميلون سنة ضوئية! و إن إدعى هذا العالم أنّ الفضاء بعد ذلك الكوكب يغط فى ظلمة «العدم»، و ليس ورائه شىء، إلّاأنّ الأفضل أن نقول: فى ظلمة «جهلنا وقلّة معرفتنا»، و كما تضاعفت آفاق العلم خلال بضع سنوات، فلعلها تزداد بنفس هذه النسبة خلال السنوات القادمة و كذلك .... و فى هذا العالم العظيم يوجد كل نوع من أنواع الموجودات و الكائنات التى يمكن أن نتصورها، فهناك الحياة فى صور مختلفة و متنوعة بأجهزة المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٠٠ وإمكانات غاية فى الاختلاف، حتى قال العلماء بأنّ كرتنا الأرضية لوحدها و فى مجال الحشرات تضم أكثر من مئتى ألف نوع تختلف عضوية أبدانها تماماً عن بعضها البعض الآخر، و إن قبلنا ما أورده علماء الطبيعة أنّ فى المجرّة التى تعتبر منظومتنا الشمسية جرحاً بسيطاً فيها مئات ملايين الكوالكب المأهولة، مع سائر الكائنات الحيّة المتنوعة الاخرى حتى يستحيل علينا تصور أطوار الحياة و كيفية ممارستها من قبل الكائنات، و هذا ما يقودنا إلى إدراك التنوع العجيب للحياة فى هذا العالم. و هنا نتأمل قول القرآن الكريم: «اوَ لَمْ يَرَوْا انَّ اللَّهَ الَّذى خَلَقَ السَّموَاتِ وَ الْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحيىَ الْمُوتى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَديرٍ» «١». و هل إحياء الموتى شىء أرفع و أهم و أعقد من ظهور هذه العوالم الواسعة بكائناتها المتنوعة؟ حقاً لايرى ذلك صعباً إلّا من غرق فى ذاته و قدرته المحدودة الزهيدة، بينما العلماء الذين ينظرون بآفاق واسعه إلى عالم الوجود و يقفون على مدى العجائب التى تكتنفه، فهم يرون بساطة عودة الإنسان إلى تلك الحياة بعد الموت. و هذا ما صرح به القرآن الكريم بصيغة أخرى فقال: «انَّما امْرُهُ اذَا ارادَ شَيْئاً انْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحانَ الَّذى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىءٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» «٢». فالآيتان و بالالتفات إلى الآيات السابقة تثبتان إمكانية القيامة عن طريق عمومية قدرته سبحانه و تعالى ***

إشكال محيّر

مادام الكلام فى مسألة «عمومية قدرة الخالق» و قد اعتمد عليها بشأن القيامة، لا بأس بطرح إشكال يبدو أنّه حيّر البعض: يقول الإشكال: إن أقررنا بعمومية قدرة اللَّه فاننا سنواجه تناقضاً عجيباً و هو هذا السؤال: هل يستطيع اللَّه خلق جسم عظيم و لا يستطيع أن يحركه؟ هل يستطيع خلق كائن و لايستطيع إعدامه؟ إن قلنا يستطيع، فقد قبلنا عدم استطاعته تحريكه أو اعدامه، و إن قلنا لايستطيع، فقد أنكرنا قدرته أيضاً! أو يقال: هل يستطيع خلق شبيه له؟ إن قلنا به ذلك فقد قلنا بالشريك، و إن قلنا ليس له ذلك فقد حددنا قدرته!

جواب

لايبدو هذا الإشكال كما صوره البعض صعباً محيّراً و لا مهماً، و يمكن الردّ عليه بعدّة وجوه، و يمكن توضيحه بصورة أخرى وهى: قد نصطدم فى مجال الرياضيات ببعض المسائل التى يقال عنها «صورة المسألة خاطئة» يعنى ليس هناك من جواب للمسألة أصلًا، مثلًا لو قال شخص: لدينا عشرة أمتار قماش نريد تقسيمها على خمسة أفراد بحيث «يحصل أى منهم على أقل من خمسة أمتار» فإننا نقول له على الفور إن هذه المسألة خاطئة ومتناقضة من أولها إلى آخرها، لأننا نقول فى أول الأمر لدينا عشرة أمتار قماش، ثم نقول فى الأخير لدينا خمسة و عشرين متراً، فمن البديهى ألا تكون هناك إجابة على هذا السؤال. و الأسئلة المذكورة بشأن قدرة اللَّه من هذا القبيل. فنحن نقول فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٠٢ البداية «يخلق اللَّه جسماً» يعنى أنّ ذلك الجسم مخلوق، و بالطبع فإنّ كل مخلوق محدود (و اللَّه وحده اللامحدود) ثم نقول فى الأخير «لايستطيع أن يحركه» ومفهوم ذلك أنّ ذلك الجسم لامحدود، و عليه فستكون

صیغة السؤال کالاتی: هل یستطیع اللَّه أن یخلق جسماً محدوداً و لامحدوداً؟! فمن البدیهی أنّ صورة هذه المسألة خاطئة من حیث ترتیب العبارة والسؤال فلاـ یوجد جواب علی مثل هذه السؤال. أو السؤال الآخر: فحین نقول یخلق موجودا؛ یعنی حادث لا أزلی، و عند ما نقول مثله فهذا یعنی أنّه أزلی، و علیه فسیکون السؤال بهذه الصیغة «هل یستطیع اللَّه أن یخلق موجوداً حادثاً و أزلیاً فی نفس الوقت!». فهل یحتاج مثل هذا السؤال إلی جواب؟ ... قطعاً لا. و للوقوف علی المزید بهذا الخصوص علیک بمراجعة کتاب «معرفة اللَّه» للمؤلف.

الطریق الخامس: أصحاب الکهف

هل قصة أصحاب الکهف حقیقة تاریخیة، و إن کانت کذلک فما علاقتها بقضیة القیامة؟ هل یقر العلم مثل هذا النوم الطویل، و هل من دلیل علی ذلک؟ تطالعنا فی القرآن الکریم سورة الکهف التی تسرد و قائع فتیة مؤمنین هربوا من قومهم الوثنیین الذین لا یؤمنون باللَّه و المعاد ثم آووا إلی الکهف. لقد دفعت الأفکار السامیة الیقظة لهؤلاء الفتیة و نزعتهم التحرریة إلی الإعتقاد بخرافة الوثنیة التی سادت الأجواء آنذاک و فرضت القیود و الأغلال علی الناس التی کرست صنمیة الحکومات التی إستخفت بأفکار الناس ومهدت السبیل أمام إلوهیتهم و تسلطهم. و قد کان اولئک الفتیة أصحاب مراکز حساسة فی الدولة و المجتمع، وقد آثرت الحریة من هذه الخراقات و الذلة و الهوان و غادرت سرّاً دیارها وأهلها إلی مکان مجهول حتی إنتهت إلی کهف فاختارته کموضع للإستقرار، و قد سیطرت علیها فی الکهف حالة عجیبة من النوم الطویل العمیق، فقد نامت مئات السنین، و حین نهضت من نومها العمیق- و علی ضوء العادة- ظنت المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۴ أنّها لبثت یوما أو بعض یوم، إلّاأنّ کافة الشواهد و الأوضاع المحیطة بالکهف کانت تشیر إلی أنّ الأمر لیس کذلک، و من هنا کان هناک تردید فی الموضوع. ثم إتضحت حقیقة الأمر بعد أنّ قدم أحدهم إلی مدینة قرب الکهف یشتری طعاماً، فأخبر الجمیع بالحقیقة، ففهموا أنّ حادثة عجیبة قد وقعت، فلم تکن العملة التی فی أیدیهم تشیر إلی أنّها تعود إلی مئات السنین، بل طریقة تعاملهم مع أهل المدینة- التی غادروها قبیل قرون وقد تبدلت کل العادات والتقالید و الأعراف و الحیاة السائدة آنذاک- إضافة إلی إطلاعهم علی تلک القضیة التاریخیة التی تفید غیاب عصبة من الشباب من ذوی المناصب العالیة و التی تبرهن صحة وقوع تلک الحادثة. کانت تلک الحادثة درساً عظیماً بالنسبة لُاولئک الذین ینظرون بعین الریب والشک إلی موضوع القیامة، فإن کانت الحیاة بعد النوم «أخو الموت» بل کان «نفس الموت» ممکنة، فإحیاء الموتی هو الآخر لا یبدو مستعبداً، فکانت تلک الحادثة إنعطافة کبیرة فی ثقافتهم الدینیة ... و هذا هو الطریق الآخر الذی سلکه القرآن الکریم بهدف إزالة قضیة إستبعاد المعاد و تقریبها إلی أذهان عامة الناس: «اذْ آوَی الْفِتْیَةُ إِلَی الْکَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْکَ رَحْمَةً وَ هَیِّیءْ لَنَا مَنْ أَمْرِنَا رَشَداً* فَضَرَبْنَا عَلَی آذَانِهِمْ فی الْکَهْفِ سِنِیْنَ عَدَداً* ثُّمَ بَعَثْنَا هُمْ لِنَعْلَمَ أَیُّ الْحِزْبَیْنِ احْصَی لِما لَبِثُوا امَداً* وَ کَذلِکَ بَعَثْنَاهُمْ لِیَتَسَاءَلُوا بَیْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ کَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا یَوْمَا اوْ بَعْض یَوْم قَالُوا ربُّکُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُم فَابْعَثُوا احَدَکُمْ بِوَرَقِکُمْ هَذِهِ الَی الْمَدِینَةِ فَلْیَنْظُرْ ایُهَا ازْکی طَعَاماً فَلْیَأْتِکُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لْیَتَلَطَّفْ وَ لَایُشْعِرَنَّ بِکُمْ احَداً. انَّهُمْ انْ یَظْهَرُوا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۰۵ عَلَیْکُمْ یَرْجُمُوکُمْ اوْ یُعِیدُوکُمْ فی مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا اذاً ابَداً* وَکَذلِکَ اعْثَرنَا عَلَیْهِمْ لِیَعْلَمُوا انّ وَعْدَاللَّهِ حَقٌّ وَ انَّ السَّاعَةَ لَارَیْبَ فِیهَا» «۱». هل وردت هذه القصة فی سائر الکتب السماویة غیر القرآن؟ هل ذکرت فی المصادر التاریخیة؟ هل یعقل مثل هذا العمر الطویل لبشر- و فی النوم و دون وجود الطعام؟ وبغض النظر عن کل ما سبق کیف لهذه الحادثة أن تساعد فی إدراک مسألة المعاد؟ هذه هی الأسئلة التی تثار حول هذه الحادثة و لابدّ من الردّ علیها جمیعاً. *** للإجابة علی السؤال الأول و الثانی لابدّ من القول: لم تتعرض أی من الکتب السماویة لقصة أصحاب الکهف سواء الکتب الأصلیة أو المحرفة، و لابدّ أن یکون الأمر کذلک، حیث یفید التاریخ أنّ تلک الحادثة قد وقعت فی القرون التی أعقبت ظهور المسیح علیه السلام. و بالضبط وقعت علی عهد دقیانوس الذی جرع المسیحیین أنواع العذاب، فقد صرّح المؤرخون الاوربیون أنّ هذه الحادثة وقعت خلال سنوات ۴۹ إلی ۲۵۱ م، کما یرون أن مدّة نومهم إستغرقت ۱۵۷ سنة و یطلقون

علیهم «نیام افسوس السبع» «۲» بینما یعرفون عنـدنا ب «أصـحاب الکهف». و لابـدّ أن نری الآن أین منطقهٔ «افسوس» و من هو أول من کتب بخصوصـهم، و فی أی قرن کانوا، فافسوس أو افسس بضم الألف و السین هی المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۰۶ إحدی مدن آسیا الصغری (ترکیا الحالیهٔ و هی قسم من روما الشرقیهٔ القدیمهٔ) تقع علی بعد أربعین میلًا إلی الجنوب الشرقی من «ازمیر» التی کانت تعتبر عاصمهٔ الملک «ایونی». و لافسوس شهرهٔ عالمیهٔ بسبب معبدها المعروف «ارطامیس» و الذی یعد من عجائب الدنیا السبع. «۱» یقال: قم العالم النصـرانی «جاک» زعیم الکنیسـهٔ السوریـهٔ لأول مرّهٔ فی القرن الخامس المیلادی بتألیف رسالـهٔ باللغهٔ السـریانیهٔ شـرح فیها قصـهٔ أصـحاب الکهف. ثم قام «جورجیوس» بترجمتها إلی اللغهٔ اللاتینیهٔ و أطلق علیها اسم «جلال الشـهداء». «۲» و هـذا یدل بدوره علی أنّ تلک الحادثـهٔ قـد اشـتهرت لقرن أو قرنین قبل ظهور الدعوهٔ الإسـلامیهٔ فی الأوساط المسـیحیهٔ و اهتمت بها الکنیسهٔ، و کما ورد سابقاً فإنّ هناک بعض الاختلافات- من قبیل مدّهٔ نومهم- مع ما ورد فی المصادر الإسـلامیهٔ حیث ذکر القرآن تلک المدّهٔ صراحهٔ علی أنّها کانت ۳۰۹ سـنهٔ. من جـانب آخر فقـد نقـل «یاقوت الحموی» فی کتاب «معجم البلـدان» (ج ۲ ص ۸۰۶) و «إبن خردادبه» فی کتـاب «المسالک و الممالک» (ص ۱۰۶- ۱۱۰) و «أبو ریحان البیرونی» فی کتاب «الآثار الباقیهٔ» (ص ۲۹۰) أنّ جمعاً من السیّاح وجدوا کهفاً فی مدینـهٔ «آبس» کان یضم بعض الأجساد الیابسهٔ ویعتقدون أنّها ترتبط بأصـحاب هذه القصهٔ. و الذی تفیده الآیات القرآنیهٔ فی سورهٔ الکهف و مـا ورد فی الروایـات المعـاد و عـالم الاخرهٔ، ص: ۱۰۷ الإسـلامیهٔ من أسـباب النزول بهـذا الخصوص أنّ الحادثهٔ المذکورهٔ کانت مشـهورهٔ أیضا کحادثـهٔ تأریخیـهٔ بین الأوساط الیهودیـهٔ، و هکـذا یتبیّن أنّ هذه القصهٔ قد وردت فی مختلف المصادر التاریخیهٔ للأقوام. *** المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۰۹

حقیقهٔ أم خیال؟

اشارهٔ

قلنا أنّ قصهٔ أصـحاب الکهف (نیام مدینهٔ افسوس) حقیقهٔ تاریخیهٔ ذکرت أسـنادها فی التواریخ الشـرقیهٔ و الغربیهٔ، و نسـلّط الضوء الآن علی هـذه القصـهٔ علی أساس و جهات النظر العلمیـهٔ المعاصـرهٔ: ربّما یتردد البعض إزاء تلک المدّهٔ الطویلهٔ لنوم أصـحاب الکهف و لا یراها تنسـجم و الموازین العلمیـهٔ فیعتقد أنّها من قبیل الأساطیر و الخرافات وذلک لأنّ مثل هذا العمر الطویل الذی یسـتغرق عدّهٔ مئات من السـنین یبدو مستبعدا بالنسبهٔ لأفراد البشر فی حالهٔ الیقظهٔ فضلًا عنهم فی حالهٔ النوم، هذا من جانب، و من جانب آخر لو سلمنا بمثل هذا العمر لمن کان فی حالهٔ الیقظهٔ فانّنا لا نسـلم به بالنسبـهٔ لمن کان فی حالهٔ النوم و الرقود، فهناک مشـکلهٔ الأکل و الشـرب، فکیف یبقی الإنسان حیاً هـذه المدّهٔ دون طعام وشـراب، و لو فرضـنا متوسط ما یلزم الإنسان من طعام و شـراب کل یوم کیلواً واحداً ولتراً من الماء، فالـذی یلزم لأصـحاب الکهف أکثر من طن من الطعام و مئـهٔ ألف لتر من الماء، و هو المقدار الذی لایمکن خزنه فی الجسم. و من جهـهٔ أخری فلو أغضـفنا الطرف عن کل ما مضـی فهناک إشـکال آخر یرد هنا و هو أنّ بقاء الجسـد فی ظل ظروف رتیبـهٔ و بهذه المـدّهٔ الطویلـهٔ إنّمـا المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۱۰ یؤثر علی عضویـهٔ البـدن و یسـبب خسائر فادحـهٔ. *** قد تبدو هذه الإشـکالات کعقبات کؤود تعترض سبیل هـذه المسألـهٔ للوهلـهٔ الأولی و الحال لیس الأمر کذلک، فالمدّهٔ الطویلهٔ للعمر- لمئهٔ سـنهٔ وحتی أکثر من ألف سـنهٔ- لیست بالمسألـهٔ غیر العلمیـهٔ، فانّنا نعلم بعـدم وجود مـدّهٔ معینـهٔ لطول العمر بالنسـبهٔ لأیکائن حی من الناحیهٔ العلمیهٔ بحیث یقطع بموته الحتمی لمجرّد حلول تلک المـدّهٔ، بعبارهٔ أخری صـحیح أنّ القوی البدنـهٔ للإنسان بالتالی محدودهٔ مهما کانت و آیلهٔ إلی الافول، إلّا أنّ هـذا لا یعنی عـدم إمکانیـهٔ عیش و تعمیر إنسان أو کائن حی آخر لأکثر من المـدّهٔ العادیهٔ، و مثلًا حین یبلغ الماء درجهٔ المئـهٔ الحراریهٔ فإنّه یغلی، و إن بلغ الصـفر یجمد، فإن بلغ الإنسان مئهٔ و خمسـین سـنهٔ توقف قلبه عن الدق و حلّ أجله، بل معیار طول عمر الکائنات الحیّـهٔ یعتمـد إلی حـدّ علی أوضاع وظروف الحیاهٔ المعاشـیهٔ و یتغیر تبعاً لتغیرها. و الشاهد الحی علی هذا الکلام هو إنّنا

نرى من جهة أنّ أحداً من علماء العالم و مفكريه لم يصرّح بوجود ميزان معين لعمر الإنسان، و من جانب آخر فقد تمكنوا فى مختبراتهم أحياناً من مضاعفة طول عمر بعض الكائنات الحيّة إلى ضعفين، بل و أحياناً أخرى إلى أثنى عشر ضعفاً أو أكثر، و هم يبشروننا اليوم بأنّ عمر الإنسان سيزداد فى المستقبل عدّة أضعاف عمره الفعلى فى ظل تطور الأساليب العلمية. هذا خلاصة الكلام بشأن مسألة طول العمر. و أمّا بالنسبة للطعام و الشراب فى هذا النوم الطويل، فلو كان النوم عادياً لكان الحق لمن أورد الإشكال فى أنّ هذه القضية لا تتفق و أسس المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۱ العلم، لأنّ إستهلاك طعام البدن حين النوم العادى أقل منه عادة فى اليقظة، و على هذا الأساس فسيكون كثير جداً بالنسبة لتلك السنوات المديدة، ولكن ينبغى الإلتفات إلى وجود نوم فى عالم الطبيعة يكون إستهلاك طعام البدن فيها قليلًا للغاية.

السبات الشتوى

هناك الكثير من الحشرات التى تنام طيلة الشتاء، أى تغط فى نوم شتائى، وتتوقف تقريباً مختلف النشاطات الحيوية فى مثل هذا النوع من النوم، فلا يبقى إلّابصيص منها، فالقلب يتوقف تقريباً عن الدق، أو بتعبير أدق تكون دقاته على درجة من البطىء بحيث لا يمكن الشعور بها، و فى مثل هذه الحالة يمكن تشبيه البدن بالكوّر العظيمة التى تبقى منها ولّاعة مشتعلة حين إنطفائها. فمن الواضح أنّ ما تتطلبه تلك الكورة من المواد النفطية فى اليوم لتقذف بلهيبها إلى عنان السماء يمكنه أن يكفى لعشرات بل مئات السنين لإشكال ولّاعة صغيرة (طبعاً يتوقف هذا الأمر على الشعلة العظيمة حال إيقاد الكورة وولّاعتها). يقول العلماء بشأن سبات بعض الحشرات لو أخرجنا و زغاً من مكانه حين شتاء، فانّه يبدو ميتاً، لا ـ هواء فى رئته، و دقات قلبه ضعيفة لا ـ يمكن تحسسها ... هناك الكثير من الحيوانات التى تسبت فى الشتاء كالفراشات والحشرات والحلزونات و الزواحف، كما قد تسبت بعض الحيوانات من فصيلة الثدييات، فانشطة الحيوانات تبطىء جدّاً فى مدّة سباتها فتستهلك دهنياتها المدخرة فى بدنها تدريجياً، و المراد من ذلك أنّ لدينا نوم تقل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۲ فيه الحاجة إلى الغذاء جدّاً، و تبلغ الأنشطة الحياتية فيه درجة الصفر، و هوالأمر الذى يحول دون إستهلاك الاعضاء و طول عمر هذه الحشرات، و يبدوأنّ السبات الشتوى فرصة ثمينة بالنسبة للحيوانات التى يحتمل عدم استطاعتها الحصول على الطعام فى الشتاء.

نموذج آخر: دفن المرتاضين

لقد شوهد أيضا بشأن المرتاضين أنّ بعضهم و بمرأى من الناس الذين لفهم الذهول و الأندهاش قد وضعوا فى تابوت و دفنوا فى التراب لمدّة اسبوع، وما إن تمّت تلك المدّة حتى أخرجوا و قد عادوا إلى حياتهم العادية بعد أن أجرى لهم تنفس صناعى. قد لا تكون الحاجة إلى الطعام خلال هذه المدّة، إلّاأنّ الحاجة إلى اوكسجين الهواء فى غاية الأهميّة، فالكل يعلم أنّ خلايا الدماغ حساسة جدّاً تجاه الاوكسجين بحيث لاتستغنى عنه أبداً سوى لبضعة دقائق. و السؤال الذى نطرحه: كيف يتحمل هذا المرتاض الهندى قلّة الاوكسجين لمدّة تستغرق اسبوعاً؟ لا تبدو الإجابة على هذا السؤال صعبة بالنظر لما أوردناه سابقاً، فنشاط بدن المرتاض خلال هذه المدّة يتوقف تقريباً، و عليه تقل حاجة الخلايا بشكل ملحوظ إلى الاوكسجين و إستهلاكه بحيث يكفى الهواء الموجود فى التابوت لتغذية خلايا البدن طيلة تلك المدّة.

تجميد بدن الإنسان الحى

هناك عدّة نظريات و أطروحات بشأن تجميد بدن الأحياء بما فيها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۳ الإنسان من أجل إطالة عمرها، و قد وردت بعض تلك الأبحاث حيز التطبيق. و على ضوء هذه النظريات فإنّه يمكن إيقاف حياة الإنسان أو الحيوان بعد تعريضه إلى

برودة تصل إلی الصـفر دون أن یموت حقیقة، و بعد مدّة معینة یجعل فی درجة حرارة مناسبة فیعود إلی حالته العادیة ثانیة. و قد طرح مثل هذا الإقتراح بخصوص الرحلات الفضائیة إلی الکرات البعیدة التی قد تستغرق أحیاناً مئات أو آلاف السنین حیث یجعل بدن رائد الفضاء فی محفظة خاصة و تجمیده، و بعد سـنوات مدیدة حین یقترب من الکرات المطلوبة تعاد إلیها الحرارة الاعتیادیة بواسطة جهاز تلقـائی فیعود إلی حالته العادیـة دون أن یکون قـد هـدر شـیئاً من عمره. لقـد نشـر هـذا الخبر فی إحـدی المجلات العلمیـة، کما ألف «روبرت نیلسون» فی السـنوات الأخیرة کتاباً بشأن تجمیـد بـدن الإنسان لإطالـة عمره و قـد کان لـذلک الکتاب صدی واسـعاً فی عالم العلم و المعرفة. و قد صرّح فی مقالة وردت فی المجلة المذکورة بهذا الخصوص أنّ فرعاً علمیاً من بین الفروع قد ظهر بهذا الشأن، و جاء فی المقالـة المذکورة: «إنّ الحیاة الخالدة کانت من الأحلام الذهبیة و العریقة للإنسان علی مدی التاریخ، أمّا الآن فقد أصبح هذا الحلم حقیقـة، یـدین بالفضل للتطور الهائل الذی حققه العلم المعاصـر الذی یعرف بعلم الکریونیک (العلم الذی یصـحب الإنسان إلی العوالم المنجمـدة و یحفظه کبـدن منجمـد علی أمـل أن یعیـده العلمـاء یومـاً إلی حیـاته). هـل یعقل هـذا المنطق؟ إنّ أغلب العلماء و المفکرین البارزین یفکرون فی هـذه المسألـة من عـدّة جوانب، و قـد خاضت فیه بعض الصـحف العالمیة، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۴ والأهم من کـذلک أنّ هناک برنامجاً الآن بهـذا الخصوص فی حیز التنفیذ» «۱». و قد أعلنت الصـحف قبل مدّة أنّه ثم العثور فی الثلوج القطبیة و التی تدّل أغطیتها علی أنّها تعود إلی ما قبل آلاف السنین علی سمکة منجمدة وبمجرّد أن قذفت فی ماء معتدل بدأت حیاتها من جدید وقد أصابت الجمیع بالذهول لما شـرعت بالحرکة. واضح أنّ الاجهزة حتی فی حال الانجماد لا تتوقف کما هی علیه الحال فی الموت، لأنّ العودة إلی الحیاة فی تلک الحالة لیست ممکنة. و الذی نخلص إلیه ممّا مرّ معنا هو إمکانیة إیقاف الحیاة و شـل حرکتهـا لتتحرک ببطیء تـام، و الـدلیل علی ذلـک مختلف الـدراسات و الأبحاث العلمیـة الواردة بهـذا الشأن. و فی هـذه الحالـة یبلغ إسـتهلاک البدن للطعام الصـفر، یمکن للاحتیاطی الزهید المخزون فی البدن أیدیم الحیاة بهذا البطیء لسنوات عدیدة. *** قطعاً نوم أصـحاب الکهف لم یکن نوماً عادیاً طبیعیاً علی غرار نومنا، بل کان نوماً إستثنائیاً، و علیه فلیس من العجیب ألا یشکو من قضیة الطعام ولا من الضـرر علی مستوی عضویة البدن بسبب ذلک النوم الطویل! و الطریف فی الأمر أنّ الذی یفهم من آیات سورة الکهف بشأن هـذه المسألة هو أنّ طریقة نومهم کانت تفرق عن النوم الاعتیادی: «وَ تَحْسَـبُهُمْ اَیْقَاظاً وَ هُمْ رُقُود ... لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَیْهِمْ لَوَلَّیْتَ مَنْهُمْ فِراراً وَ لَمُلِئْتَ مَنْهُمْ رُعْباً» «۲» .المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۵ فالآیـة تدل علی أنّ نومهم لم یکن عادیاً، بل کانوا یعیشون حالة تشـبه حالة المیت- بعین مفتوحة-، أضف إلی ذلک فقد صـرّح القرآن بأنّ الشـمس لم تکن تشرق علی جوف الکهف، و بالنظر إلی أنّ الکهف کان فی أحـد مرتفعات آسـیا الصـغری فقـد کانت منطقـة باردة؛ الأمر الـذی یکشف عن الشـرائط الاسـتثنائیة لنومهم، من جانب آخر القرآن قائلًا: «... وَ نُقَلِّبُهُـمْ ذَاتَ الْیَمِیـنِ وَ ذَاتَ الشِّمـالِ» «۱». و هـذا یـدل علی أنّهم لم یکونوا یعیشون عملیـة رتیبـة واحدة، فما زالت هنالـک بعض العوامـل الخفیـة الدخیلـة فی الأمر و التی بقیت مجهولـة علینـا (فیحتمل کانت تحـدث مرّة کل سـنة) تقلیبهم علی جهة الیمنی و الشـمال للحیلولـة دون المساس بعضویـة أبـدانهم. *** یبـدو إنّ البحث العلمی بهـذا الشأن قـد إتضـح تماماً، و النتیجـة التی یخلص إلیهـا منه لا تـدع من مجال للنقاش بشأن مسألـة المعاد، و ذلک للشـبه الواضـح بین النهوض من ذلک النوم الطویل و النهوض للحیاة بعد الموت والذی یقرب قضیة المعاد إلی الأذهان.

الطریق السادس: فترة الجنین شبح من القیامة

اشارة

«یَا اَیُّها النَّاسُ انْ کُنْتُمْ فی رَیْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَانّا خَلَقْنَاکُمْ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْـغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَ غَیْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَیِّنَ لَکُمْ وَ نُقِرُّ فی الأَرْحَـامِ مَـا نَشاءُ الَی اجَلٍ مُسَـمًّی ثُمَّ نُخْرِجُکُمْ طِفْلًا» «۱» . إنّ الاعتیـاد علی شـیء رغم أنّه یحـل کثیراً من مشاکلنا إلّاأنّه قد

يكون مصلّاً أحياناً، و ذلك لأنّ بعض المواضيع الساذجة التى لم نرها سابقاً ونتعودها تبدو لنا مهمّة من قبيل نمو أسنان الفرس أو الطير الذى يضع البيض الكروية أو المخروطية الشكل بحيث تتناقلها الألسن بشىء من الغرابة، بينما تبدو لنا عادية تماماً كسائر المواضيع العجيبة للغاية و التى تنطوى على عدّة أسرار و ذلك لتعودنا عليها، فعادة ما نسمع أنّ السيدة الفلانية أنجبت ولداً فنقول: مبارك عليها إنشاءاللّه، إلّاأنّنا لا نكلّف أنفسنا عناء أى تفكير بالحوادث العجيبة والتغيرات التى عرضت على رحم المرأة طيلة تسعة أشهر والتى لايمكن توضيح حقيقتها بمئة كتاب، فذرة ترابية ترد البدن الإنسانى عن طريق النباتات فتمتزج معه فتصير بهيئة خلية حيّة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۸ فى الرحم و تختلط بخلية أنثوية لتشكل بويضة، ثم ينشط هذا الكائن الآحادى الخليّة بسرعة مذهلة ليشق طريقه التصاعدى الهندسى خلال عدّة شهور ليتحول إلى كائن له آلاف المليارات من الخلايا. و كأنّ فريقاً من الرسّامين المهرة قد تجمعوا فى ذلك الوسط المظلم وانهمكوا ليل نهار بالرسم فأحالوا كل مجموعة من هذه الخلايا بشكل و قد سبغوا عليه ألواناً و كيفيات خاصّة معينة. نعم هناك عشرات المهندسين و الفيزيائين و الكيميائين الذين يتفنون فى صنع أجهزته الحساسة و الدقيقة و يصنعون كائناً من عدّة غرامات من الحديد إلى جانب بعض الغرامات من الكالسيوم و الفسفور و الكاربون و ... ومقدار كثير من الماء الكائن الذى يعجز عن مصافاته أكبر العقول الألكترونية و أعظم الصناعات العالمية الثقيلة و أدق الأدوات و الوسائل والأجهزة و أجمل ألواح الدنيا. و الجدير بالذكر أنّ الإنسان يتابع بعد ولادته حركة هادئة و تدريجية ذات تكامل كمى لا كيفى، فحركته فى المحيط الهائج للرحم سريعة جدّاً ومغيّرة وهى تكشف عن غطاء عجيب كل اسبوع بل كل يوم. إنّ التطورات المتتالية و المذهلة للجنين فى عالمه هى بمثابة الذهول من جراء تحول إبرة صغيرة بعد عدّة شهور إلى طائرة تحلق دون طيار، فالجنين حين يكون فى مرحلة «المورول» و خلاياه كحبّة ثمرة التوت تجتمع حول بعضها دون أن يكون لها شكل مشخص، و حين يكون فى مرحلة «البلاستول» و تظهر حفرة التقسيم التى تعتبر بداية لتقسيم نواحى الجنين، و حين يبلغ الطبقات الثلاث للكاسترول و هى «الانـدوديرم» و «الاكتوديرم» و «المزوديرم» ففى كل هذه المراحل تكون خلايا الجنين المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۱۹ شبيهة لبعضها البعض الآخر و لايوجد أدنى أثر لاختلاف أعضاء الإنسان، ولكن فجأة تحدث تغييرات فى الأغشية الثلاث للجنين بحيث تتغير أشكالها بما ينسجم و الوظيفة التى تقوم بها فتبدأ الأعضاء بالبروز، لا أحد يعرف أى الظروف دعت لحصول هذه التغيرات فى الخلايا المتشابهة تماماً، فأسرارها مكتومة خفيفة كسائر أسرار الجنين، و بالطبع تتم كل هذه المراحل فى وسط لا سبيل للوصول إليه و يخضع تماماً للسيطرة الداخلية للبدن. القرآن الكريم من جانبه يخاطب اولئك الذين يرون إستحالة الحياة بعد الموت بأنّ القيامة و البعث سوف لن تكون أبعد ممّا تشاهدونه من هذا التبدل السريع الذى تتحول بموجبه النطفة إلى إنسان، و عليه فكيف يمكن للإنسان الشك فى القيامة و هو يشاهد علم الجنين. و الآية التى تصدرت البحث، أشارت فى البداية إلى تبدل التراب بكائن حى و هى طفرة عظيمة، ثم أشارت إلى المراحل المختلفة للجنين و التى تعتبر كلها قفزات متتالية نوعية بالنسبة للجنين، ثم يدعو منكرى البعث و القيامة إلى التوقف عند هذه المسائل، و فى عصر لم يكن فيه علم الأجنة علم مستقبل، بل لم يكن حتى جزءاً من العلوم، فلم تكن هناك سوى معلومات ناقصة بهذا الشأن، والتعبير القرآنى فى الآية المذكورة عن القيامة بالبعث كأنّه إشارة لطيفة إلى معنى «الطفرة» التى تحصل فى القيامة على غرار دنيا الرحم، و هذا طريق آخر من الطرق التى سلكها القرآن الكريم من أجل تعريف الناس بالقيامة.

شبح القيامة

الحقيقة هى أنّنا إذا أردنا أن نجسد شبح القيامة و نقارنه بوضع الحياة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۰ فى هذا العالم، فإنّ أفضل طريق لذلك هو ما نفكر به حول الإنسان فى عالم الجنين والذى يبلغ العقل و الشعور ثم يفكر فى المراحل التى تعقب الولادة، فسوف يكتشف من خلال القرائن: ۱- أنّ محيط الرحم محدود جدّاً و لذاته زهيدة و إمكاناته قليلة و مدّته قصيرة مثل محيط هذا العالم إزاء العالم الآخر بعد الموت، فهو صغير ومحدود وزهيد و قصير المدّة. ۲- أنّ الفترة التى يعيشها الجنين هى فترة إستعداد و تأهب من أجل

القدوم علی محیط أوسع و أکبر کهذا العالم- لا أنّها فترة مثالیة مستقلة- فهی بمثابة الحیاة فی هذا العالم حیث تعتبر هذه الحیاة مرحلة إستعداد وتأهب لتلک الحیاة الخالدة فی العالم الآخر. ۳- حیاة الجنین تنطوی علی أنواع المشاکل و الویلات کالحیاة الدنیا فی هذا العالم إزاء الحیاة الآخرة مشوبة بمختلف الکدورات و المنغّصات.

القیامة فی تجلیات الفطرة

اشارة

* إن خلقنا للفناء فکیف نفسر غریزة حبّ البقاء؟ * لو لم تکن القیامة قضیة فطریة، لماذا لم تنفک هذه العقیدة عن البشر علی مدی التأریخ؟ * لیس من المعقول أن تکون هناک فی باطننا محکمة، و لیس هنالک من حساب و کتاب فی هذا العالم الکبیر! *** تمّت الأبحاث الابتدائیة حول القیامة. و حان الآن دخول ذی المقدمة فنتناول بالبحث عن أدلة إثبات ذلک العالم بخصائصه و ممیزاته علی ضوء ما یسعه إدراکنا نحن الذین نعیش السجن فی الجدران الأربعة لهذه الدنیا.

۱- الفطرة، أول دلیل علی الطریق

لندع کل شیء جانباً و لنستمع إلی النداء الذی ینطلق من باطننا، فهل هناک زمزمة عن الحیاة بعد الموت، هل هذه المسألة مطروحة لدی القلوب أم لا؟ لماذا إتجهنا فی البدایة إلی هناک؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۲ لا داعی لهذا التعطیل ... لأنّ حوادث العالم ظهرت هناک سابقاً. توضیح ذلک: کما تتألف روحنا من جهازین «تلقائی» و «غیر تلقائی» فإنّ القوانین الکبری للعالم قد تبلورت فی مجالین؛ قوانین الخلق «التکوین» و قوانین التعاقد «التشریع» و کأنّ القوانین الأولی تشکل جهازنا الروحی التلقائی و الثانیة غیر التلقائی. فقوانین الخلق تشق سبیلها دون إرادتنا و عزمنا و توجهنا، و هی علی غرار أجهزتنا التلقائیة التی لا تکترث لإرادتنا، أمّا القوانین التشریعیة و ما یتعلق بالتربیة و التعلیم فهی تابعة لإرادتنا، و ممّا لاشک فیه أنّ کل قانون بصفته قانوناً سماویاً أوحی للنبی قد کانت له جذور فی الخلیقة و قد صودق من قبل مجلس الخلیقة، و الحقیقة هی أنّ هذین الجهازین هما الخیوط الأصلیة لنسیج الوجود، فهل یمکن لخیوط قماش أن تتضارب مع بعضها؟ قطعا لا. و إلّالما کان هناک قماش و لابدّ أن تکون مکملة لبعضها البعض للحصول علی قماش جمیل، علی سبیل المثال وجودنا فی هذا العالم دون علم یحیله إلی خواء لاروح فیه و لیس له من قیمة، و من هنا فإن عصب عالم الوجود تکاتف لیسوقنا نحو العلم والمعرفة. فقد طرح بادیء الأمر حبّاً شدیداً فی أعماق روحنا بحیث لاینفصل عنّا لحظة من المهد إلی اللحد، فأحیاناً بمطالعة المجرّات و أخری بما یجری فی المریخ و یوماً بخلایا أبداننا و آخر بأسرار أعماق البحار و المحیطات والغابات، والخلاصة إنّ هذا المحرک التلقائی لاینفک عنّا لحظة واحدة. و الطریف إنّنا نشاهد فی التعالیم الدینیة شبیه ذلک تجسیداً لنداء الخلقة والفطرة: «اطْلِبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ اَلی الَّلحْدِ» «۱». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۳ و علیه فلیس فقط لأصل «التوحید» بل جمیع الأصول و الفروع وتعلیمات الأنبیاء جذور فی فطرة الإنسان و إنّ کافة و صایا الأنبیاء علی کافة الأصعدة إنّما تربی الفطرة الإنسانیة و تنمیها، و هنا نخلص إلی نتیجة مفادها إننا إذا شعرنا بتعلق فطرتنا بشیء فلابدّ أن یکون لذلک الشیء وجوداً خارجیاً. *** و الآن نعود لنری جذور القیامة و نبحث عنها فی وجودنا:

۲- حبّ البقاء

لو خلق الإنسان للفناء حقاً لوجب أن یعشق ذلک الفناء و لتلذذ بالموت وإن حلّ به فی وقته و فی السنین المتقدمة، و الحال لا نراه یستسیغ الموت (بمعنی العدم) فی أی وقت، لیس فقط ذلک فحسب، بل یعشق البقاء والوجود بکل کیانه، و یبرز هذا العشق من بین

جميع نشاطاته، مـا الجهود التى يبـذلها من أجـل حفـظ اسـمه و ذكره و بنـاء الأهـرام و المقابر الدائميـة وتحنيط أجساد الموتى بتلك التكاليف الباهضة و حتى الرغبة بحياة ولده كامتداد لحياته و ... كل ذلك دلالة واضحة على غريزة حب البقاء لديه، إلى جانب سعيه لإطالـة عمره وتعامله مع إكسير الشباب و ماء الحياة التى تشكل أدلـة أخرى على ثبوت الحقيقة المذكورة. فلو خلقنا للفناء فما معنى هـذا الحبّ و الرغبـة بالبقاء؟ لو كان الأمر كـذلك لكان هـذا الحب و الرغبـة ضـرباً من العبث و اللغو، لقـد تجلت الحقيقـة المذكورة بأروع صورها فى كلام الإمام على (ع) إذ قال: «مَا خُلِقْتَ أنْتَ وَلَا هُمْ لِدارِ الْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِدارِ الْبَقاءِ».

۳- القيامة لدى الأقوام السابقة

كما يشير التاريخ البشرى إلى وجود الأديان لدى الأقوام السالفة، يشـهد أيضا باعتقادهم الراسخ بالحياة التى تعقب الموت. و الشاهد على ذلك الآثار التى وصلتنا من الإنسان القـديم لما قبل التاريخ ولاسيّما طريقة بناء القبور و كيفية دفن الأموات و التى تدل بأجمعها على أنّهم لم يكونوا يعتبرون الموت نهايـة الحياة. فقد ورد فى كتاب عالم الاجتماع «كنيغ» ص ۱۹۲ أنّ التحقيقات تفيد وجود الأديان لـدى الطوائف الأولى من البشر، كما لاسـلاف الإنسان المعاصـر (النياندرتال) حيث كانوا يعتمدون أساليب خاصّة فى دفن أمواتهم و كانوا يضعون أدوات عملهم إلى جوارهم ليبرزوا عقائدهم للعالم. و كتب «ويل دورانت» فى المجلد الأول من تأريخه ص ۲۲۵ لم بنى المصـريون لأهرام؟ لاشك لم يكن مرادهم بناء أثر معمارى، و قد قاموا بذلك بدافع دينى. كانت أهرام مصـر قبوراً ترقت شـيئاً فشـيئاً لتخرج من صورتها الابتدائية وتصبح بهذا الشكل. ثم تطرق بالتفصيل إلى عقائد المصريين بشأن الحياة التى تعقب الموت والتى تعدّ الـدافع لبنـاء الأهـرام. و الحق أنّ الأهرام المصـرية من أعظم و أعجب البناء الـذى قامت به البشـرية و هى ثلاثـة: هرم خوفو و خفرع و منكورع، و قـد ضم هرم خوفو بمفرده مليونين ونصف قطعـة حجرية تزن كل واحدة منها طنين و نصف، و يصل وزن البعض منها إلى ۱۵۰ طن. و قـد إحتلت مساحـة من الأـرض تبلـغ ۴۶ ألف متر مربع! و قـد جـاءوا بهـذه المعـاد و عـالم الاخرة، ص: ۱۲۵ الأحجار من مسافات تبلغ مئات الفراسـخ و قد إشـتغل مئة ألف عامل خلال عشـرين سـنة من أجل بناء هذه الأهرام، حتى قيل إنّ تكاليف الخضـرة وبعض الأدوية للعمال بلغت ۱۶ مليون دولار خلال تلك المدّة. «۱» ويتضح من كل هذا مدى رسوخ عقيدة المصريين القدماء بالمعاد (طبعاً العقيـدة الممزوجـة بالخرافات)، فلا يمكن تجاهل هـذه العقيدة و اعتبارها مجرّد عادة أو قضـية تلقينية، بل تدل مثل هذه العقائد المترسـخة بين عموم الناس على فطريتها و إسـتنادها إلى أعماق روح الإنسان، لأنّ الفطرة والغريزة التى يمكنها الصمود إزاء العواصف الشديدة لمرور الزمان والتطورات الاجتماعية والفكرية، فتبقى ثابتة مستقرة.

۴- القيامة الصغرى و الكبرى

كما أشـرنا سابقاً بأنّ نموذج القيامة و المحكمة الكبرى إنّما تكمن فى وجودنا، حيث تعقد فى أعماق روح الإنسان فور قيامه بالأعمال الحسنة أو السيئة. فقد تنتابه أحياناً حالة من الفرح و السرور و الهدوء و السكينة الباطنية تجاه بعض الأعمال الحسنة بحيث يعجز القلم و البيان عن وصـفها و بالعكس فإذا ما صدر منه خطيئة و مخالفة فإنّه يشعر بالهم و الغم و الألم الذى يعتصره بحيث قد يستعد أحياناً لأن يصـلب بهدف الخلاص من مخالب ذلك الإنزعاج. ترى ما الشـبه بين هذه المحكمة الداخلية العجيبة و محكمة القيامة العجيبة! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۶ ۱- أنّ القاضـى و الشاهد و منفذ الحكم هو واحد، كما هو عليه الحال بالنسبة للقيامة: «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ انْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ» «۱». ۲- ليس هنالك من توصية ورشوة و واسطة فى محكمة الضمير بالضبط كما فى محكمة القيامة: «وَ اتَّقُوا يَوْمَاً لَاتَجزى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَايُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَهٌ وَ لَايُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَاهُمْ يُنْصَرُونَ» «۲». ۳- تعالـج محكمة الضـمير أهم و أضـخم و أعقـد القضايا فى أقل مـدّة ممكنة و تصدر أحكامها بسـرعة، فلا إستئناف و لاتمييز و لاتجديد نظر و لا أشـهر وسـنوات من تضييع الوقت، و هذا هو شأن محكمة القيامة: «وَ اللَّهُ يَحْكُمُ لَامُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» «۳» . ۴- أنّ العقوبة و الجزاء و خلافاً

للعقوبات العاديـة المتعارفـة فی هـذا العالم فهی تنقـدح فی الباطن ثم تسـری إلی الخارج؛ إنّها تؤرق روح الإنسان فی البدایة ثم تظهر آثارها علی جسـمه و نومه و طعامه، علی غرار القیامـة: «نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتی تَطَّلِعُ عَلَی الأَفِئدةِ» «۴». ۵- لاتحتاج محکمة الضمیر إلی الشاهد و الحاضـر و لا تحتاج فی حصولها علی المعلومات إلی خارج الإنسان و نفس الإنسان یدلی بالشهادة لنفعه أو ضرره کمحکمة القیامة التی تشـهد فیها أعضاء الإنسان و جوارحه علی أعماله: «حَتَّی اذَا مَا جَاؤُها شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ» «۵». فهذا الشـبه العجیب بین هـاتین المحکمتین هو دلیل آخر علی کون هـذه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۷ المسألـة فطریة، حیث کیف یعقل وجود مثل هذا الحساب و الکتاب الدقیق والمحکمة السریة العجیبة فی الإنسان الذی یمثل قطرة صغیرة فی محیط الوجود العظیم، بینما لیس هنـاک من حساب و کتاب و لا محکمـة فی هـذا العالم الکبیر، و علیه یمکن إثبات فطریـة الإیمان بالحیاة بعـد الموت من خلال ثلاثة طرق؛ طریق غریزة حبّ البقاء و طریق وجود واسـتمرار هذا الإیمان طیلة التاریخ البشری و أخیراً عن طریق وجود محکمة الضمیر فی باطن الانسان. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۲۹

الادله العقلیه للمعاد

الدلیل العقلی الأول: العدالة الشاملة

اشارة

إنّ الإنسان یحاکم فی أربع محاکم فی هـذا العالم أما ... لایسع الإنسان أن یسـتثنی من قانون العدالـة العامة للخلق. نعم یعاقب الإنسان علی ما یبـدر منه خلاف و ظلم فی «أربع محاکممختلفـة» فی هذا العالم و یدفع فیها ثمن جریمته باهضاً، الأولی المحکمةذات الأسـرار «الضـمیر» التی تکتفی أحیاناً بتصـفیة کافة الحسابات بحیث لایبقی شـیء. و الثانیة محکمة «الآثار الطبیعة للعمل» و لاسـیما فی الذنوب ذات البعـد «العـام» حیث یتضـح سـریعاً تـأثیر حکم هـذه المحکمـة، و تاریـخ البشـریة طافـح بالـدروس و العبر بشأن المصـیر المؤلم و المأساوی للمجتمعات إثر الظلم والجور و الإجحاف و التمییز العنصری و الکذب و الخیانة و النفاق و التقاعس حیث إجتثت جذورهم و أصـبحوا عبرة لغیرهم. و الثالثـة محکمـة «جزاء الأعمـال» و هی أغمض من کل هـذه المحاکم وعلاقاتها مجهولـة! و کأن قضاة هـذه المحکمـة جلسوا یتـدارسون الحکم خلف الأبواب المغلقة لیصدروا أحکامهم القاطعة و التی تنفذ بصورة خفیة. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۰ لیس لـدینا لحدّ الآن أی تفسـیر علمی لمسألة «الجزاء»، إلَاأنّه لایمکن أن نکرر رؤیتنا مراراً فی حیاتنا أو طالعنا فی صـفحات التاریـخ أنّ الأفراد الظلمة قد واجهوا آخر الأمر جزاءاً جهنمیاً لم یکن أحد قد تکهن به، و العلاقة القائمة بین مصـیرهم الأسود الألیم و أعمـالهم الشائنـة التی إرتکبوهـا لایمکن تفسـیرها عن طریق «الضـمیر» و لا عن طریق «الآثار الطبیعیـة للعمل» کما لایمکن حملها علی الصدفة. و هذا یقوی الإعتقاد القدیم بوجود الجزاء فی الأعمال بصورة غامضة ومبهمة، إلّاأنّه یعمل بشـکل قاطع و صارم. و أخیراً رابع محکمـة هی «المحکمـة الرسـمیة» و العادیـة البشـریة ذات القـدرة الضـعیفة، و التی قد لا تری سوی مورداً واحداً من بین عشـرة موارد وتغیب عنهـا البقیـة، مع ذلـک فأحکامهـا لیست عادلـة تماماً حتی فی هـذا المورد، لأنّه کما نعلم فهی عرضـة للتأثر بهـذا و ذاک، إلی جانب صعوبة تشخیص الحق و العدل والتعامل معه بحزم و من هنا فعادة ما یختل توازن هذه المحکمة.

المحاکم الخاصة

هـذه هی المحاکم الأربعـة التی تواجهنا، إلّاإنّنا إذا أمعنا النظر فی کل واحـدة منها لرأینا أنّه کتب علی بوابة کل منها هذه العبارة «هذه المحکمة خاصة ولا تعالج إلّابعض الجرائم». و خصوصیة هذه المحاکم لا تحتاج إلی بحث، لأنّ وظیفة المحاکم الرسمیة- کما ذکرنا آنفـا- واضـحة و لیس لها أن تطول جمیع المجرمین المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۱ والآثمین، و لو وسـعها ذلک و إنتصرت للمظلوم

من الظـالم، لمـا إحـترق العـالم اليوم بنيران كـل هـذا الظلم و الجور و الاسـتعباد و الاسـتعمار و الاسـتغلال. و أمّـا محكمـة الجزاء فهى الأخرى لا بُعـد عمومى لها، و كأنّى بها ليست إلّا برنامـج تربوى و تحذير للجميع من خلال إبانتها لبعض النماذج! و لذلك نرى بعض المجرمين الذين فروا من مخالبها، إضافة إلى أنّ بعض الجنايات قد تكون ثقيلة بحيث لايسـعها الجزاء و يقتصـر على التعامل مع جانب معين من جوانبهـا. و أمّا محكمـة الآثار الطبيعيـة للأعمال فهى كسابقتها لها بعـد خاص، لأنّ شـعاع عمله إنّما يشـتمل غالباً على ذنوب تتخـذ بعـداً عامـاً، أو إن إرتكبه فرد لابـدّ أن يواصـل العمـل به لمـدّة طويلـة ليتضـح شؤمه و مرارته، و عليه فإنّ كثيراً من المجرمين و الجرائم خارجة عن نطاق قضاء هذه المحكمة و لم تبق إلّا «محكمة الضـمير» و التى أثبتنا خصوصيتها فى الأبحاث السابقة حين تعرضنا إلى وظيفـة هذه المحكمة، فلا يتمتع كافة الناس بضـمير حى ويقظ، فضـعف الوجدان الذى يحصل بسـبب عدّة عوامل إنّما يؤدّى إلى هروب جماعـة من المجرمين و الجناة الخطرين تحت ذرائع مختلفـة من مخالب عقوبات هـذه المحكمـة. و بناءاً على ما تقـدم فالنتيجة التى نخلص إليها من خلال الدراسـة الشاملة للمحاكم الأربع المذكورة إلى أنّ أى من هذه المحاكم ليس لها بعداً عاماً و شاملًا بحيث تنزل العقاب بكافة الجناة و المجرمين لإرتكابهم أيـة جنحـة أو جنايـة بعـد مثولهم للمحاكمـة، و كأنّها بمنزلـة إخطارات و إشـعارات متتالية تهدف إلى تربية البشر و إيقاظه ليس أكثر. ***

قانون العدالة فى عالم الوجود

لابـدّ أن نرى هنا هل يمكن الوثوق بوجود عدالـة عامـة و شاملـة فى ما وراء هذه الحياة، أم أنّ البشـرية تنتقل من هذا المكان دون أن توفى حسابها وليس هناك من شـىء ينتظرها! لو ألقينا نظرة إلى الحياة البشـرية التى تشـكل جانباً صـغيراً جدّاً من نظام الخلقة و طالعنا بصورة عامـة الوضع العام لعالم الوجود، لرأينا قانون «النظام والعدالـة» الـذى يحكم جميع الأشـياء، و القانون المـذكور على درجـة من القوّة بحيث إنّ أدنى إنحراف عنه يؤدّى إلى فناء كل شـىء «بالعـدل قامت السـموات و الأرض» «۱». فالنظام و العدالة هى سـبب تلك الحركـة العظيمـة و الوجود والسـعة للسـموات والأرض و جميع الكرات العظيمة التى ملأت أركان الوجود، و ما اسـتمرار حبة غاية فى الصغر «الذرة» خلال ملايين السنين بتلك الدقة والظرافة التى استعملت فى بنيتها، و الذى ينبغى عادة أن يختل مثل هذا الجهاز اللطيف مبكراً، أنّما هو وليـد تلك العدالـة و الحساب الدقيق لنظام الالكترونات والبروتونات، فليس هنالك من جهاز- صـغير أم كبير- بمعزل عن هذا النظام الدقيق و العدالة العامة الشاملة سوى الإنسان!

هل الإنسان كائن إستثنائى؟

هنـاك فـارق رئيسـى بين الإنسـان و كافـة كائنـات عـالم الطبيعـة، و هو إتصـاف الإنسان بتلك القـدرة العجيبـة التى تعرف بالإرادة و المقرونـة بالحريـة والإختيار؛ أى إنّه يشـخص الأشـياء بعد المطالعة و الفكر و البحث فما كان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۳ لصالحه أتى به ومـا كـان بضـرره تركه و من هـذه الناحيـة فإليه تعيين مصيره، و هـذا الإمتياز الكبير هو الضامن لتكامله المعنوى و الأخلاقى و الإنسانى، لأنّه لو لم يكن حراً مختاراً و قام مثلًا بالأعمال الحسـنة و أسـدى الخـدمات للناس بـدافع الإجبار أو تحت تأثير بعض العوامل الداخليـة و الخارجيـة، لما كان هناك من فرق بينه و بين أحجار الصـحراء التى تختزن بينها بعض الأجناس النفيسة و الغالية إلى جانب الرخيصـة، و ليس فى هـذا الفـارق بين الأجنـاس أى إمتياز أخلاقى. على سبيل المثال لو أجبر شـخص بقوّة الحديـد و النار على التبرع بعـدّة ملايـين لمؤسـسة خيريـة، و قـامت تلـك المؤسـسة ببعض النشاطات، مع ذلك فهـذا الأمر لايـدعو لأى‌تكامل أخلاقى و إنسانى لـذلك الشـخص، بينمـا لو تبرع طواعيـة و لو بريـال واحـد بـدافع من حريته و إختياره لأحرز تكاملًا بـذلك المقـدار، و بناءاً على هـذا فالشرط الأول للتكامل الإنسانى و الأخلاقى التمتع بالحرية و الإرادة بحيث يسلك الإنسان طريقه بإرادته، لا من خلال الإجبار من قبيل العوامل الإضـطرارية لعالم الطبيعة، و هذا هو الهدف الذى من أجله منح اللَّه سبحانه الإنسان هذا الإمتياز العظيم (عليك بالدقة). و من

الطبيعى أن يستغل بعض الأفراد هذه الحرية فيرتكبون مختلف الجنايات، طبعاً إذا نوى الإنسان الذنب وأتى به فقد أران على قلبه، و إن أكل مال اليتيم سار برجله نحو الموت، و حين يمد يده إلى سرقة- على حد زعم ذلك الرجل الأبله الذى كان يحدد وظيفة اللَّه- تتيبس فوراً و يكتب إسمه بخط واضح و كبير على صفحة السماء أنّه سارق، طبعاً ليس هنالك لإنسان أدنى فخر إمتياز إنسانى و تكامل روحى فيما إذا لم يقارف الذنوب تحت طائلة الإجبار ... هذا من جانب. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۴ و من جانب آخر لا-يمكن للإنسان أن يستثنى من قانون العدالة الذى يمثل أمر الخالق فى كافة أرجاء عالم الوجود، فليس هنالك من مبرر لهذا الاستثناء، و من هنا نوقن بأنّ هناك محكمة سيمثل فيها الجميع دون إستثناء، و سينالون نصيبهم من العدالة العامة لعالم الخليقة (عليك بالدقة أيضا). ***

الدليل العقلى الثانى: تقول فلسفة الخلق هنالك عالم بعد الموت

اشارة

إنّ معرفة فلسفة الخلق و خلقة الإنسان تساعد فى التعرف على عالم ما بعد الموت بالتالى سيأتى اليوم الذى تسكن فيه المنظومة الشمسية! هل ستتوقف عجلة تكامل الإنسان بعد كل ذلك الرقى و التطور؟ أليس هذا من العبث؟ غالباً ما يطرح هذا السؤال: ما فلسفة خلقنا و هذا العالم الواسع؟ ماذا كان سيحدث لو لم نخلق؟ إن الفلاح يزرع الأشجار ليحصد الثمار، فما الذى يحصده فلاح عالم الوجود من زرعنا؟ إنّنا لا نفهم لم جئنا؟ و ما الهدف منّا؟ و لماذا سنرحل من هنا؟ و من هنا نشعر بالعبثية و إنّ هذا الشعور المؤذى لينتابنا كلما فرغنا من أعمالنا وإستغرقنا فى التفكير. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۶ و يبدو من خلال المطالعات و الآثار إنّ هذا الشعور كان سائداً أيضاً لدى بعض الفلاسفة و الشعراء. و لعلنا أشرنا سابقاً أنّه لابدّ من الانطلاق من نقاط بسيطة و واضحة للإجابة على هذه الأسئلة التى قد تبدو صعبة و معقدة، و قد تكون تلك النقاط الواضحة هى الأسس التى أرسى عليها الفيلسوف الفرنسى المعروف «ديكارت» دعائم مدرسته. لنفرض أنّنا مررنا بمنطقة فوقعت أعيننا على بناية عظيمة وضخمة قد فرغ منها للتو، فيطالعنا فيها الاسلوب الدقيق و الخارطة الممتازة و العمارة الرصينة و الانارة الكافية و الاختيار الصحيح للمواد و ما إلى ذلك من الأمور التى تشير إعجابنا، فإنّنا نرى كل شىء قد وضع مكانه على ضوء تخطيط دقيق، إلّاأنّنا لا ندرى ما هو الغرض الذى من أجله بنى هذا المبنى الضخم؟ فهل يجيزنا العقل أن نعتقد بأنّ كافة أجزاء هذا المبنى قد بنيت لتحقيق هدف و وفق خارطة معينة، بينما ليس للمبنى بأجمعه أى هدف ووجد للعبث؟ ... قطعاً لا- فمن كان له هدف فى الجزء كيف لا يكون له ذلك فى الكل؟*** و الآن نغوص فى الباطن العميق لمصنع وجودنا و نشاهد القلب الذى يعمل بصوت موزون و حركات منظمة متتالية دون أدنى توقف، كما نرى تفرعات القلب من قبيل البطين و الاذين و الأوردة و الشرايين التى تضخ الدم و تلك التى تستقبل الدم، كما نرى هدف كل واحد منها و هى تتحرك وتنشط للقيام به، بحيث لا نرى أى شىء زائد فى هذه المضخة، ثم نتجاوز القلب و نتيجة صوب المعدة ثم الكبد و الكلية و الرئة و العظلات و ... فنرى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۷ لكل عضو هدفه ووظيفته. ثم نرد بعد ذلك جهاز الدماغ المذهل و نتعرف على هدفه و وظيفته، بعد ذلك نستغرق فى التفكير لنطرح على أنفسنا هذا السؤال: أو يمكن أن يكون لأصغر أجهزة البدن و الأعضاء- حتى أهداب العين- هدفاً، بينما لا يكون هناك أى هدف للإنسان ككل؟ فهل يسمح لنا العقل بطرح مثل هذا الاحتمال و التفكير به؟ ثم نخرج من باطننا العميق و نتسلق أجنحة الملائكة لنحلق معها و نسير فى عالم الوجود لنرى كل ذرة و قد كتب على لوحة إلى جانبها الهدف من خلق هذه الذرة، و هو الأمر الذى تمكننا من الوقوف عليه فى ظل تطور العلوم والمعارف. فقد وقفنا على الهدف الذى تنطوى عليه جميع ذرات العالم، أفهل يمكن ألّا يكون هناك هدف للعالم بأسره؟ أو ليس هناك من لوحة نصبت إلى جانب هذا العالم الواسع المترامى للدلالة على هدفه النهائى، إلّاأنّ عظمتها لم تجعلنا نراها للوهلة الاولى وهل من عبارة كتبت على

تلك اللوحة سوى «التكامل و التربية» «۱». و الآن بعد أن عرفنا بأنّ هدف الخلق هو تكاملنا و تربيتنا و هذه هى فلسفة خلق الإنسان، و لابدّ أن نرى هل سينتهى هذا التكامل بموتنا، بحيث ينتهى كل شىء عند الموت؟ هل يمكن لهذه الدنيا بمدّتها القصيرة و كل هذه المصاعب و الويلات أن تكون هدفاً لهذا الخلق العظيم؟***

هل نحن جسر لترقى الآخرين؟

يمكن أن يقال إنّ عالم البشرية لاينتهى بموتنا، بل فمنح مكاننا لأفراد أكثر منّا رقيّاً و تطوراً، و هكذا تسير قافلة التكامل إلى الأمام فاليوم فى المجالات المادية و التكنولوجية و غداً فى المجالات الأخلاقية و الإنسانية، و بناءاً على هذا فإن فلسفة الخلق هو تكامل و تربية النوع الإنسانى لا الأفراد، و مثل هذا التكامل لايتوقف بموت الأفراد و يسير قدماً، إلّا إنّ هذه الإجابة تشبه الدواء المسكن، فهى لا تحل المشكلة الأصلية من جذورها و ذلك لأنّه: أولًا: أليس إستمرار تكامل نوع الإنسان بفناء فرد و زواله هو تمييز عنصرى ظالم؟ فإن كانت نتيجة حياتنا هى تمهيد السبيل و توفير الأرضية الخصبة من أجل رقى و تطور الآخرين القادمين و ليس لنا من ذلك سوى أن تكون جسراً لترقيهم فيحصلون عليه دون أدنى جهد أو عناء بينما نشقى فمن أجل إعداده لهم، أفليس يتناقض هذا و العدالة المطلقة التى تحكم عالم الوجود؟ (لأنّ كل هذه الأبحاث ترد بعد الإقرار بوجود اللّه و صفاته). و عليه فلا يمكن للموت أن يكون نقطة إنتهاء حتى بالنسبة للفرد، و إلّا لأصبحت حياة فرد حى عبثية لاطائل من وراءها. ثانياً: يخبرنا جميع العلماء: أنّ السيارة التى نعيش عليها ستؤول إلى السكون فى المستقبل- المستقبل الذى ليس ببعيد من حيث المقاييس الفضائية- كما ستظفىء بالتدريج الحضارة الرفيقه و التكامل لذلك الزمان، وتتحول الأرض إلى كرة خربة و باردة و ساكنة، و آنذاك يبرز هذا السؤال: ما الذى حصل من هذا الذهاب و الإياب؟ ألا يشبه هذا الأمر صنع لوحة نفيسة و جميلة للغاية و من ثم كسرها و تحطيمها؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۳۹ أمّا إن قبلنا بأنّ حياة الإنسان ستعيش اللانهاية و الخلود فى عالم أوسع، آنذاك نستطيع لمس فلسفة الخلق بوضوح و نعيش استمرارية قانون التكامل. و بناءاً على هذا فإنّ فلسفة الخلق و قانون التكامل يقول للإنسان لا يمكن للموت أن يكون نهاية الحياة، و ستستمر الحياة بشكل أرفع وأسمى بعد الموت.***

إنعكاس هذا المنطق فى القرآن

رغم أنّ القرآن الكريم تحدث على هامش مختلف السور القرآنية عن القيامة والحياة ما بعد الموت و خاض فى تفاصيلها، مع ذلك نرى بعض السور التى تصدت لقضية المعاد من بدايتها إلى نهايتها، و من ذلك سورة الواقعة التى تعالج تقريباً بأجمعها المعاد. و قد تعرضت آياتها (من الآية ۵۷ إلى ۷۳ تقريباً سبع عشرة آية) إلى بحث فلسفة الخلق و قانون التكامل بشكل رائع و بذكر عدّة أمثلة، و خلاصتها كالآتى: «كيف تشكون فى المعاد والقيامة» رغم أنّه: أولًا: إنّا خلقناكم من نطفة فى رحم الأم ثم طويتم مسيرة التكامل حتى أصبحتم أناساً كاملين، فهل لمن جعل النطفة تتكامل جنيناً أن يوقفه عند هذا الحد، أم هل هو عاجز عن إعادة الحياة بعد الموت؟ ثانياً: أفلا تنظرون إلى ما تحرثون من الأرض، فهل أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون، فلو شئنا لجعلناه حطاماً فلا تحصلوا منه على شىء، إلّاأنّنا نسير بهذا العالم نحو السمو و التكامل و ننبت مئات الحبات من حبة قمع واحدة، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۰ ثم تصبح جزءاً من بدن الإنسان، فيطوى مرحلة جديدة من التكامل. أفتنطفىء هذه الشعلة المتوهجة للتكامل بمجرّد موت الإنسان لتتحول إلى تراب لا قيمة له؟ أفليس هذا العمل عبثاً و لغواً؟ ثالثاً: انظروا إلى هذا الماء العذب الذى تشربون و لا تنسوا أنّه كان ماءاً مالحاً و مرّاً فى البحر، نحن الذين صفّيناه و بعثنا به كغيوم إلى السماء (و كنّا قادرين على نبعث بالأملاح معه إلى السماء) و نستطيع أن نجعله علقماً، إلّا أنا لم نفعل ذلك و أجرينا عليه قانون التكامل فجعلناه عذباً فراتاً ليصبح جزءاً من بدن النباتات و الناس، فهل نطوى سجل التكامل بموت الإنسان؟ أو ليس هذا ضرباً من العبث؟ رابعاً: انظروا إلى هذه النار التى توقدونها، فهل أنتم أنشأتم شجرتها؟ أم نحن المنشئون من

أجل قضاء حوائجكم و تذكيركم، نحن الذين أمرنا الشمس بأن ترسل أشعتها فجعلنا تلك الشجرة تدخر الطاقة لتقوم بعد ذلك باعادة هـذه الطاقة على شـكل حرارة لكم فتسـتفيدوا منها فى حياتكم، و قد فعلنا كل ذلك من أجل تكاملكم، فهل ينتهى كل شـىء بموت هذا الإنسان؟ كلا، ليس الأمر كذلك. نعم كل هذه الأمور تدل على عدم نهاية الحياة الواقعية بموت الجسم.

الدليل العقلى الثالث: لو كان الموت نهاية لكان خلق الإنسان عبثا

لايمكن فصل الإيمان بمبـدأ للعلم و الحكمـة فى عالم الوجود عن الإيمان بحياة ما بعـد الموت، لنفرض أن فخّاراً يصـنع آنيـة، فما إن ينتهى منها حتى يضربها بالأرض و يكسرها، فهل من شك فى حماقته؟ و هل نعتبره عاقلًا مهما أضفى عليها من الجمالية و جعلها تحفة فنية واقعية إن كسرها عبثاً؟ بل إفرض أنّ مهندساً ثرياً و ماهراً و له ذوق سليم يقوم ببناء عمارة ضخمة وجميلة بأفضل مواد البناء و وفق أدق الخرائط و بتكاليف كثيرة بحيث تثير تلك العمارة إعجاب كل من ينظر إليها، أو أن يقوم ببناء سـد عظيم، و ما أن ينتهى من بناء تلـك العمارة الضـخمة أو هـذا السـد العظيم حتى ينظم مراسم ويـدعو جميع الشخصـيات لإفتتاحه، و فى الغـد نطالع فى الصـحف أنّ المهندس المذكور قام بتفجير العمارة و السد بالديناميت، ثم تحدث للصـحفيين قائلًا أنّ هدفه من تلك العمارة هو الاستراحة فيها ليوم المعـاد و عـالم الاخرة، ص: ۱۴۲ واحـد، أو العوم بسـفينة لبضع ساعـات فى بحيرة السـد! فكم طفولى هـذا الكلام و بعيـد عن العقل؟ لايبدو هذا العمل متوقعاً من شـخص أمى فضلًا عن فرد حكيم وعالم. *** لو نظرنا إلى منظمات ومؤسسات هذا العالم الواسع و فكرنا بالدقـة و العظمـة التى اسـتخدمت فى هـذا العالم بصورة عامـة و فى الإنسان من الناحيـة الجسـمية و الروحيـة بصورة خاصّيـة، لعرفنا أنّ «الموت» لا ـيمكنه أن يكون نهايـة الحياة البشـرية و نقطـة توقف وجودها، لأنّ حياة الإنسان فى هـذه الحالـة و العالم المحيط به سوف يكون عبثاً و غير منطقى، و هو بالضـبط كفعل ذلك الفخّار و المهندس. توضـيح ذلك: تفيد مطالعة عالم الخلق على مستوى عظمته و كـذلك دقته حقيقـة مؤدّاها أنّ هذا العالم أوسع و أجمل و أعقد ممّا نتصوره. فقد صرح «أنشـتاين» فى كتابه «الفلسـفة النسبية»: إنّ ما قرأنـاه من كتـاب التكوين الكبير لم يكن أكثر من صـفحة (أو صـفحات) و قـد تعرفنـا على ألف باء هـذا الكتاب العظيم فى ظل تطور العلوم البشرية. و لابدّ من الاضافة إلى هذا الكلام: إنّه كتاب غطاؤه الخارجى «الأزلية» وغطاؤه الداخلى «الأبدية» و قد إجتاحت أوراقه السـماء و الأـرض، بينمـا تشـكل المنظومات و الكواكب و الكرات العظيمـة و المجرّات كلماته و حروفه، و ياله من عمر طويل يتطلب لمن أراد قراءته إن أمكن ذلـك. كمـا صـرّح البروفسور «كـارل جيلزين» فى كتاب «رحلـة إلى العوالم البعيـدة» قائلًا: إنّ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۳ المسافـة الشاسـعة بين المجموعـة الضـخمة للكواكب أو المجرّات لهـذه الجزر الفلكية التى تعوم فى الفضاء و تدور حول محورهـا، ممّا يصـعب حتى التفكير فيها، فكل واحـدة من هـذه المجرّات تضم مليارات الكواكـب، و إنّ مسافاتها على قـدر من السعـة بحيث إنّ الضوء (و بتلك السـرعة الرهيبـة و الفريـدة) يحتاج أحياناً مئات آلاف السـنين من الوقت ليطوى المسافة بين كوكبين يقعان ضمن مجرّة واحدة. «۱» و بالطبع فإنّ الدقة المستعملة فى بنية أصغر وحدة فى هذا العالم كالدقّة المحيرة و المذهلة التى تشاهد فى بنيـة أعظم وحـدة ضـخمة من وحـداته، و الإنسـان- فى هـذه الأثنـاء- هو أكمـل موجود على الأقـل عرفناه لحـد الآن، و هو أعظم محصول لهـذا العالم- حسب علمنا طبعاً- بما يمتلكه من بنية عجيبة. *** من جانب آخر: نشاهد أنّ هذا الإنسان الذى يعد أعظم نتاج لهـذا العـالم، يتحمـل أيـة مشاكل و صـعاب خلال هـذه المـدّة القصـيرة من عمره التى تعتبر لحظـة عابرة متبخرة إزاء عمر الكواكب و المجرّات، فمرحلة طفولته التى تعدّ أصعب و أعقد مراحل حياته حيث تتضمن برامج غاية فى الثقل الذى يرهق كاهله، فقد وضع قدمه فى محيـط جديـد لا ـ يـألف فيه أى شـىء، إنّه لا ـ يعرف حتى كيف يحفـظ لعـابه و عليه أن يتوفر على تجـارب كـثيرة و إختبـارات و إمتحانات متعددة و تمارين تأخذ أغلب أوقاته ليتعلم كيف يسيطر على عضلات شفتيه و أطراف فمه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۴ إنّه لا ـيعرف الجهـة التى ينبعث منها الصوت، كما لايعلم الفاصلـة بين عينيه والأشـياء و لعله يعتقـد بادىء الأمر بأنّ جميع الأشـياء على صفحـة واحـدة و قريبـة من عينه، و ليس له أدنى إطلاع عن حركـة أمواج الهواء على الأوتار الصوتيـة وايجاد أنواع الأصوات و من ثم

تكسر و تشكل الأصوات بواسطة حركات اللسان وعضلات الفم و الحنجرة، و عليه أن يتمرن صباح مساء فى مهده و يدرس ويطالع و يتدرب ليتعرف على محيطه و يستفيد من وسائله و أدواته، أضف إلى ذلك عليه أن يكافح أنواع الأمراض ليتمكن من تحمل الظروف التى تواجهه فى ذلك المحيط، و على كل حال فإنّ أهميّة التمارين التى يزاولها من أجل التعرف على المحيط لتفوق التمارين المنهكة التى يمارسها رواد الفضاء من أجل التكيف على سطح القمر، وهكذا يقضى فترة الطفولة بكل معاناتها. و لايكاد يلتقط أنفاسه حتى يواجه المرحلة الصاخبة للشباب بعواصفها الشديدة الطاغية التى تعصره فى معترك أمواجها، و هكذا يتنقل من مرحلة إلى أخرى، حتى لا يكد يقف على رجليه فتنقضى فترة الشباب ليرى نفسه فى حالة الكهولة و الشيخوخة و من ثم العجز، و هنا يشعر تدريجياً بأنّه أخذ يفهم بعض أخطائه الماضية- و التى لابدّ من بعضها بغية بلوغ حالة النضبح- فهو قلق و مضطرب و منهمك فى كيفية تداركها، فيفكر مع نفسه بأنّه حصل الآن على تجربة تؤهله لحياة جديدة بنضبح أكبر، ولكن للأسف أنى له ذلك وقد ضعفت القوى و الموت كامن له فى الطريق الذى سيحيل نضجه و تجاربه و علومه ومعارفه تراباً، و بغض النظر عن ذلك فإنّ هذه المراحل الثلاثة من عمره كانت مسرحاً لمختلف الحوادث المأساوية الطبيعية و المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۵ الاجتماعية وفقدان الأحبّة والأعزة و الأصدقاء و تحمل الهم و الغم و المرارة. و الآن نحتكم و نتساءل: أمن المعقول أن يكون هدف هذا الجهاز الجبار العظيم للخلق خاصيّة الهدف من خلق هذه الدنيا الصغيرة العجيبة التى تدعى «الإنسان» إنّما يتمثل بهذه الحياة و هذا الذهاب و الإياب الممزوج بآلاف الكدورات والإزعاجات، و بعد ذلك يغلق ملف كل هذا العلم و التجارب و الإستعداد الروحى الذى يبدو أنّه كان مقدمة من أجل حياة أخرى و من ثم تبدل تلك الخلايا الدماغية العجيبة التى تضم أكبر ملفات الدنيا بالموت إلى ذرات بسيطة من تراب عالم الطبيعة؟ أليس هذا شبيه عمل ذلك المهندس الذى نسف عمارته؟ أليس هذا شبيه بعمل ذلك الفخّار الذى حطم آنيته؟ هل ينسجم هذا و حكمة البالغة سبحانه؟ إنّ الفلاح يغرس الأشجار ليقطف ثمارها، فما الذى يقطفه فلاح عالم الوجود منه؟ ... بضعة أيام منغصة! لو إفترضنا أننا كنّا مكانه و بهذا العقل الذى لدينا أفكنا نفعل مثل ذلك العمل؟ فما بالك به و هو العقل و العلم و الحكمة المطلقة. كيف يمكن التصديق بأنّ كل هذا الضجيج من أجل هدف يساوى تقريباً اللاشىء! أليس ذلك بمثابة الطفل الصناعى الذى يربونه فى الرحم فإن نما وتأهب للحياة قتلوه؟ و نخلص ممّا سبق إلى أنّ الشخص الذى يؤمن باللَّه و حكمته لا يسعه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۶ إنكار نهاية حياة الإنسان بموته. *** و قد أشار القرآن فى عدّة مواضع إلى هذا الإستدلال حيث أورده على سبيل الاستفهام الإنكارى: «افَحَسِبْتُمْ انَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَ انَّكُمْ الَيْنَا لَاتُرجَعُونَ» «۱». فقد شبّهت الآية عدم الرجوع إلى اللَّه (يعنى البعث و القيامة و استمرار الحياة و الحركة نحو النقطة اللامتناهية للوجود) بالبعث، أى أنّ الخليقة ستنتهى إلى العبثية لو لم يكن هناك من معاد و حياة بعد الموت. «ايَحْسَبُ الإِنْسَانُ انْ يُتْرَكَ سُدًى* الَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِّيَ يُمْنى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّى* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَ الانْثى* الَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى انْ يُحْيِيَ الْمَوْتى «۲» . فلو كان كل شىء ينتهى بالموت لكان الخلق عبثاً مهملًا (حيث وردت سدى فى اللغة بمعنى المهل)، و من هنا قال بعض المفسرين أنّ المراد بالإنسان فى الآية المذكورة «الْكَافِرُ بِالْبَعْثِ الْجَاحِدُ لِنَعِمِ اللَّهِ» «۳» . حقاً لايستحق سوى الملامة من يشاهد هذا العالم و عظمته بينما لا يرى العالم الآخر. ***

الدليل العقلى الرابع: بقاء الروح علامة على القيامة

أحد الأدلة الأخرى ذات الصلة بمسألة القيامة و الحياة بعد الموت والذى يشير إلى عدم فناء الإنسان و زواله المطلق بالموت هو بقاء الروح. إثبات وجود الروح بصفتها حقيقة مستقلة- لاخاصية عارضة على البدن- توضيح هذا الموضوع فى أنّ روح الإنسان باقية بعد الموت، و أنّ الموت لا يعنى النهاية المطلقة للحياة، و إثبات هذا الموضوع فى الواقع يعدّ خطوة كبيرة باتجاه إثبات عالم ما بعد الموت و المعاد، ولكن لابدّ من دراسة ثلاثة مواضيع من أجل بلوغ هذا الهدف هى: ۱- إستقلال الروح ۲- تجرّد الروح ۳- بقاء الروح وقبل الخوض فى ذلك لابدّ من الإلتفات إلى أنّ قضية الروح من أقدم وأعقد المباحث التى واجهت الفلاسفة و العلماء. المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۱۴۸ لا أحد يسعه بيان مقدمة لهذا البحث، لأنّه وطبق شهادة التاريخ أنّ المصريين- و احتمالًا سائر الأقوام- قد تعرفوا قبل خمسة آلاف سنة على مسألة الروح، حتى صرّح العالم الاسلامى المعروف «الآلوسى» أنّ هناك مايقارب الألف قول و نظرية بشأن هذه القضية، و قد تحدث كل حسب طريقته عن ماهية الروح. فالإنسان- حتى إنسان ما قبل التأريخ- يشاهد فى عالم النوم عدّةمشاهد وعوالم واسعة لم يرها بعد النوم فى محيطه، و بالنظر إلى هذا الأمرفانّه يشعر بوجود قوّة خفية أودعت وجوده تنشط و تتجلى بصورة حين‌اليقظة و أخرى حين النوم، و هو مشغول بممارسة هذا النشاط حتى فى حالة سكون أجهزة البدن و ارتماء الإنسان فى زواية معيّنة، و قد إصطلح على هذه القوّة بالروح (أو ما يعادلها فى اللغات الأخرى). ثم إحتلت الروح موقع الصدارة فى أبحاث الفلاسفة حين أصبحت‌الفلسفة معرفة مدونة. و سنرى عمّا قريب إن‌شاءاللَّه- أنّ مسألة النوم هى أحد مفاتيح أبواب عالم الأرواح، بل سنرى أنّ الرؤيا يمكنها أن ترشدنا إلى عالم الأرواح من جهتين: الأولى أصل مسألة الرؤيا و المشاهد التى يراها الإنسان فى المنام- سواءكان لها وجود خارجى أم لا، و بعبارة أخرى سواء كان لها تعبير أم لم يكن- والأخرى كيفية الرؤيا التى يشاهدها الإنسان و التى تزيح الستار أحياناً عن‌الحوادث الموجودة أو القادمة أو الماضية. و هنا بالطبع ينبرى البعض من أصحاب الآراء السطحية ليخبرنا بأنّ الرؤيا ليست بالشىء المهم، فهى هذه المشاهد التى نراها فى اليقظة، كما قد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۴۹ تكون تلك التى نراها بفعل نشاط قوّة الواهمة و المتخيلة، أو أنّها ما تفصح عن محتويات الضمير. و لسنا بصدد معرفة المصدر الذى تستند إليه الرؤيا و إلى ماذا تستند فعاليتها؟ و هل ترتبط بالماضى أم المستقبل؟ و الكلام فى أنّ المشاهد الواسعة التى نراها فى عالم المنام لابدّ أن يكون لها حيزاً فى وجودنا، فهل هذا الحيز فى خلايانا الدماغية و داخل الجمجمة، أم أنّها ترتسم على لوحات أخرى بنقوشها الكثيرة. مثلًا نرى فى المنام أننا جلسنا فى بستان يضم مسبحاً كبيراً فى وسطه وتتقاذفه الأمواج المتكسرة و الجميلة، و يقع هذا البستان على سفح جبل شاهق يرتفع إلى عنان السماء. لا يهمنا إرتباط هذا المشهد بالماضى أم المستقبل، لكن على كل حال يلزم موضع لهذا المنظر الذهنى على غرار تلك اللوحة التى رسم عليها، فهل هذا الموضع هو خلايا الدماغ؟ سنقف عمّا قريب على أنّه ليس كذلك، و عليه فموضعه شىء آخر نسميه «الروح». و على كل حال سنرى ما المدى الذى يسع الرؤيا أن تزيحه من غطاء عن أسرار الروح، كما تدل على أنّ هذه المسألة كما كانت فى البداية مفتاحاً للحركة فى منطقة الروح الواسعة، فانّها أصبحت اليوم تشكل الدليل الفلسفى وحتى التجربى فى هذا المجال، و نترك البحث لمتابعة الأدلة الحديثة على إثبات وجود الروح التى توصل إليها العلم و الفلسفة، و المراد هنا فقط الإشارة إلى تاريخ ظهور الحوار بشأن الروح على مستوى العموم و أفكار العلماء. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۱

إستقلال الروح

اشارة

لا- شبهة و لا- شك فى الفارق بين الإنسان و الحجر و الخشب الخالى من الروح، لأننا نشعر بانّنا نختلف عن الجمادات بل و حتى النباتات، فنحن نفهم وندرك و نتصور و نقرر و نعشق و نتنفر و لنا إرادة و ... بينما ليس هنالك أى من هذه المفردات للنباتات و الأحجار، و عليه فهناك عدّة فوارق أصولية بيننا وبينها و ذلك هو إمتلاك «الروح الإنسانية»، و لم يتنكر الماديون و لا غيرهم لأصل وجود «الروح» أو «النفس» و من هنا فهم يقرون بعلمى معرفة النفس و بحث النفس. و العلمان المذكوران و إن إجتازا تقريباً مراحلهما البدائية، فهما على كل حال من العلوم التى تدرس فى كبار جامعات العالم ومن قبل الاساتذة والباحثين، و كما سنرى فإنّ «الروح» و «النفس» ليسا حقيقتين منفصلتين عن بعضهما، بل مراحل مختلفة لحقيقة واحدة. فإن كان الكلام عن إرتباط الروح بالجسم و التأثير المتبادل لكل منهما على الآخر، أطلقنا عليه إسم «النفس» بينما نستعمل اسم الروح حيث نتعرض للظواهر الروحية المنفصله عن الجسم. و الخلاصة ليس هناك من ينكر أن فى وجودنا حقيقتان باسم الروح والنفس. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۲ و الآن لابدّ من

رؤيـة موضـع النزاع بين «المـاديين» و «فلاسـفة الميتافيزيقيـا «١» و الروحييـن»؟ الإجابـة على هـذا السؤال هى: يرى علمـاء الإلهيـات و الروحيون أنّ هناك حقيقة أخرى و جوهراً كامن فى نفس الإنسان من غير جنس المواد التى تشكل بدنه، و التى يتأثر بها بدن الإنسان بصورة مباشـرة. بعبـارة أخرى: إنّ الروح حقيقـة مـا وراء الطبيعـة تختلف بنيتها و نشاطها عن بنيـة و نشاط عالم المادة، نعم هى مرتبطة دائماً بعالم المادة إلّاأنّها لا تتصف بخصائص المادة. و بالمقابل هناك الفلاسـفة الماديون الـذين يعتقدون بعدم وجود موجود مسـتقل عن المادة يدعى الروح أو أى اسم آخر، و كل ما موجود هو هذه المادة الجسمية أو آثارها الفيزيائية و الكيميائية، لدينا بعض الأجهزة من قبيل الـدماغ و الأعصاب و التى تقوم بجانب مهم من نشاطاتنا الحياتيـة وهى كسائر الأجهزة البدنيـة المادية و التى تمارس وظائفها فى إطار قوانين المادة. ولـدينا غـدد تحت اللسان تعرف باسم «غـدد البزاق» و التى تقوم بوظائف فيزيائية و كيميائية، فما إن يرد الطعام الفم حتى تبـدأ هـذه الغـدد بممارسة وظيفتها بفرز السوائل الكافية لترطيب الطعام و سحقه، و إن كان الطعام يشـتمل على بعض الماء فانّها تفرز سائلًا بالقـدر الـذى يرطبه أيضاً؛ أى بمقـدار أقل، بينما تضاعف من هذا السائد إن كان الطعام يشـتمل على بعض الحوامض بحيث يترطب بالشـكل الـذى لايسبب أى ضـرر على جـدار المعـدة. فإذا ما إبتلع الإنسان الطعام قعدت هذه الغدد عن العمل، و زبدة الكلام المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۳ هناك نظام عجيب يحكم هـذه الغدد بحيث إذا إختل حسابها لساعة فإمّا أن يسـيل الماء على الـدوام من فمنا على شـفاهنا، و إمّا أن يجف فمنا و بلعومنا بحيث تحشـر لقمـة الطعام فى حناجرنا. هـذه هى الوظيفـة الفيزيائية للبزاق، إلّاأنّنا نعلم بأنّ الوظيفة الكيميائية هى الوظيفة الأهم للبزاق، حيث يتحد مع مختلف المواد فيتركب مع الطعام و يحد من إجهاد المعدة. يقول الماديون: إنّ سـلسة أعصابنا و دماغنا تشبه الغدد البزاقية و ما شابهها حيث لها أنشطة فيزيائية و كيميائية (و التى يطلق عليها فيزيا كيميائية) و هذه الأنشـطة الفيزيا كيميائية هى التى نصـطلح عليها بالروح أو «الظواهر الروحية». توضيح ذلك: حين ننشغل بالتفكير فإنّ سلسـلة أمواج ألكترونيـة خاصّـة تنبعث من دماغنا، و اليوم تؤخـذ هـذه الأمواج بأجهزة و تسـجل على ورقـة ولاسـيّما فى المستشـفيات النفسية، فيتوصلون من دراسة هذه الأمواج إلى الطرق اللازمة للتعرف على الأمراض النفسية و سبل علاجها، هذه هى الوظيفة الفيزيائية لـدماغنا. إضافـة إلى ذلك، فإنّ لخلايا الدماغ سلسـلة من الأفعال و الإنفعالات الكيميائية حين التفكير و سائر الأنشـطة النفسـية. و بناءاً على هـذا فـالروح و الظواهر الروحيـة مـا هى إلّاالخواص الفيزيائيـة والأفعـال و الإنفعالات الكيميائيـة للخلايا الدماغيـة و العصبيـة. ثم يخلصون من هذا البحث إلى هذه النتائج: ۱- كما أنّ أنشطة الغدد البزاقية و آثارها المختلفة لم تكن موجودة قبل البدن و بعده سوف لن تكون أيضاً، فإنّ أنشـطتنا الروحيـة وجدت بظهور المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۴ الدماغ و الجهاز العصبى و سـتموت بموتهما. ۲- الروح من خواص الجسم، إذن فهى مادية و ليس لها من بعد لما وراء الطبيعة. ۳- تخضع الروح لجميع القوانين التى تحكم الجسم. ۴- ليس للروح و لايمكن أن يكون لها من وجود مستقل دون البدن.

أدلة الماديين على عدم إستقلال الروح

تمسـك المـاديون بعـدّة أدلـة لإثبـات صـحة مـدعاهم فى أنّ الروح و الفكر والإـرادة و سـائر الظـواهر الروحيـة ماديـة و من الخواص الفيزيائيـة و الكيميائيـة لخلايا الدماغ و الأعصاب، و إليك هذه الأدلة: ۱- «يمكن الإشارة بسـهولة إلى توقف طائفة من الآثار الروحية إثر توقف بعض الأعصـاب عن العمل» «۱». مثلا أجرى إختبار برفع مقـدار من دماغ طير فلم يمت، إلّاأنّه فقـد الكثير من معلوماته، فإن أعطى طعـام تنـاوله و هضـمه، و إن لم يعـط و طرحت حبيبات أمامه لم يتناولها و يموت جوعاً. كما لوحظ فقـدان الإنسان لجانب من معلومـاته حين ترد دمـاغه بعض الضـربات أو حين تعرضه لبعض الأـمراض و العوارض بحيث تشـل بعض خلايـاه. قرأنـا قبل مـدّة فى الصـحف: أنّ شاباً متعلماً تعرض لحادثة و هى ضـربة دماغية قرب منطقة الأهواز فنسى أغلب حوادث الماضى حتى أنّه لم يكن يعرف أمّه و أخته، و لم يكن يعرف المنزل الـذى و لـد وترعرع فيه، فهذه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۵ القضية و نظائرها تدل على الرابطة الشديدة بين نشاط الخلايا الدماغية والظواهر الروحية. ۲- فتزايد التغييرات المادية للدماغ حين التفكير حيث يأخذ الدماغ طعاماً أكثر و

يفقـد مواد فسـفورية أكثر، بينما تقل حاجته للطعام حين النومو توقف الـدماغ عن التفكير، و هذا دليل على كون الآثار الفكرية مادية. «۱» ۳- تشـير القرائن إلى أنّ وزن أدمغة المفكرين عامّة أكثر من الحدّ المتوسط (الحدّ المتوسط لدماغ الرجال حدود ۱۴۰۰ غم و أقل منه الحـد المتوسط لـدماغ النساء) و هـذا دليل آخر على ماديـة الروح. ۴- لو كـانت قوى التفكير و الظواهر الروحيـة دليلًا على وجود الروح المسـتقلة فلابـدّ من قبول هـذا المعنى بالنسـبة للحيوانات، فهى تتمتع بادراكات تتناسب ووضـعها. و الخلاصة فإنّهم يقولون: إنّنا نشـعر بـأنّ روحنـا ليست موجـوداً مسـتقلّاويؤيد ذلـك تطـور العلوم المرتبطـة بمعرفـة الإنسـان. فيخلصون إلى نتيجـة من مجموع هـذه الإسـتدلالات إلى أنّ تطور فسلجة الإنسان و الحيوان يوماً بعد آخر توضح بصورة أعمق هذه الحقيقة التى تتمثل بالرابطة الحميمة بين الظواهر الروحية و الخلايا الدماغية.

ثغرات هذا الإستدلال

يبـدو أنّ المـاديين إرتكبوا خطأ فادحـاً هنـا و ذلـك أنّهم خلطوا «وسائـل العمل» ب «فاعل العمل». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۶ و إليك مثالان بغيـة الوقوف على هـذا الخط: لقـد حـدث تطور فى مطالعـة وضع السـماء منـذ زمن العالم الإيطالى «غاليلو» حيث ساعده صانع للنظّارات فتمكن من صـنع منظار صـغير يشـبه منظار الأطفال هذه الأيام، إلّاأنّ غاليلو كان شديد الفرح آنذاك، فكان يستعين به ليلًا لمطالعـة كواكب السـماء فكان يرى أمام عينه مشـهداً مـذهلًا لم يكن رآه أحد آنذاك، ففهم أنّه إكتشف شـيئاً مهماً، و منذ ذلك اليوم إنهمك فى مطالعة أسرار العالم العلوى. لقد كان الإنسان حتى ذلك الحين أشبه بالفراشة التى لا تعرف سوى بعض ما حولها من أغصان، بينما لاحظ مقـداراً أكبر منها حين إسـتعان بالمنظار، و قد تكاملت هذه المسألة حتى صـنعت المنظارات النجومية الكبرى يبلغ قطر عدسـتها خمسة أمتار أو أكثر، فكانوا ينصبونها على سفوح الجبال المرتفعة الكائنة فى المناطق المناسبة من حيث صفو الهواء، فقد مكنت هـذه المنظارات الإنسان من رؤيـة عوالم من العالم الأعلى بما تعجز العين المجرّدة عن رؤية واحد بالألف منها. و لك أن تفكر لو تطور هـذا الجهاز بحيث يفوق قطر عدسـته المئة متر وحجمه بقدر مدينة كبيرة، قطعاً سـتكشف لنا عوالم لعلنا لا نسـتطيع اليوم حتى تصورهـا. و السؤال المطروح: لو سلبت منّا هـذه الأـجهزة فمن المسلم به أنّ قسـماً أو أقسامـاً من معلوماتنـا و مشاهـداتنا عن السـماء ستتوقف، ولكن من المشاهـد الأصلى نحن أم المنظـار؟ هـل المنظـار و التليسـكوب وسائـل العمـل التى نرى بواسـطتها أم هى الفاعل والمشاهد الواقعى؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۷ و هنا نقول لا أحد ينكر أنّه لايمكن ممارسة التفكير دون خلايا الدماغ، ولكن هل الـدماغ وسيلة عمـل الروح أم موجـد الروح؟! نضـرب مثالًا آخر: إنّنـا نركـب سـفينة أو طائرة و نرتبط من داخلهما بجهاز لاسـلكى مع الأرض فنتسـلم التعليمات بصورة مرتبة، فمن المسلّم به إذا تعطل الجهاز فسوف لن نسمع صوتاً، يعنى هناك رابطة شديدة بين سماعنا لتعليمـات المركز و جهـاز اللاسـلكى. ولكن من الـذى يسـمع و يـدرك نحن أم الجهـاز؟ زبـدة الكلاـم: إنّ كافـة الأدلـة التى أوردها المـاديون هنـا فقـط تثبت وجود الرابطـة بين خلايانـا الدماغيـة و إدراكاتنـا، إلّاأنّهـا لا تثبت أنّ الـدماغ هو القائم بالإدراك و أنّه ليس الوسـيلة (عليك بالدقّـة). و من هنا يتضح أنّ الموتى لو لم يفهموا شـيئاً فإنّما ذلك لزوال الرابطة بين أرواحهم و أبدانهم، لا أنّ الروح فنت، بالضـبط كالسـفينة و الطـائرة الـتى خرب جهازهـا اللاسـلكى، فالسـفينة و الملاـح و طاقمهـا مـا زال قائمـاً، إلّاأنّ أهـل السواحل لايمكنهم الإرتباط بهم، و ذلك لزوال وسيلة الإرتباط. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۵۹

أدلة إستقلال الروح

اشارة

كـان الكلام عن الروح و أنّ الماديين يصّـرون على أنّ الظاهرة الروحيـة من خواص الخلايا الدماغيـة، و الفكر و الحافظـة و الإبـداع و

الحب و البغض و الغضب و العلم و المعرفة كلها من المسائل التجربية و التابعة لقوانين عالم المادة، وللفلاسفة الذين يقولون باستقلال الروح أدلتهم التی ترفض العقيدة المذكورة، والأدلة هی:

۱– العلم بالعالم الخارجی

السؤال الأول الذی يمكن طرحه علی الماديين هو: لو كانت الأفكار والظواهر الروحية هی الخواص الفيزيا كيميائية للدماغ، لما إنبغی أن يكون هناك تفاوت اصولی بين عمل الدماغ و عمل المعدة أو الكلية و الكبد، لأنّ عمل المعدة- مثلًا- مركب من وظائف فيزيائية و كيميائية فتقوم من خلال بعض حركاتها و إفراز الحوامض فی هضم الطعام و إمتصاصه، و كذلك وظيفة البزاق- كما ذكرنا سابقاً- فيزيائية و كيميائية، و الحال إننا نری بينهما فرقاً واضحاً. إنّ أعمال جميع أجهزة الجسم تشبه إلی حدّ بعضها البعض ماعدا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۰ «الدماغ» الذی يتميز بوضع إستثنائی، و كل هذه الأمور ترتبط بالجوانب الداخلية، والحال هنالك بُعد خارجی للظواهر الروحية و أنّها تنبهنا إلی الأوضاع الخارجة عن وجودنا. و لتوضيح هذا الكلام لابدّ من الإشارة إلی عدّة نقاط: أولًا: هل هناك عالم خارج وجودنا أم لا؟ قطعاً هنالك مثل هذا العالم، و المثاليون- الذين ينكرون وجود العالم الخارجی و يزعمون أنّ كل الموجود هو «نحن» و «تصوراتنا» و العالم الخارجی بالضبط كالمشاهد التی نراها فی المنام فهی ليست سوی تصورات- علی خطأ عظيم، و خطأهم قد أثبتناه فی محلّه. «۱» ثانياً: هل نعلم بالعالم الخارجی أم لا؟ قطعاً الجواب علی هذا السؤال بالإيجاب، لأنّ لنا علم كثير بالعالم الخارجی، كما لدينا معلومات واسعة عن الموجودات من حولنا أو التی تقع فی نقاط بعيدة عنّا. و الآن يطرح هذا السؤال نفسه: هل يأتی العالم الخارجی إلی باطن وجودنا؟ قطعاً لا، بل صورته لدينا، حيث نستفيد من خاصية تشابه الواقع فنقف علی العالم الخارج عن وجودنا. و لا يمكن لهذا الواقع أن يقتصر علی الخواص الفيزيا كيميائية للدماغ، لأنّ هذه الخواص وليدة تأثيراتنا عن العالم الخارجی، أو هی معلولاته، بالضبط كالتأثيرات التی يتركها الطعام علی معدتنا، فهل يؤدّی تأثير الطعام علی المعدة و فعله و إنفعاله الفيزيائی و الكيميائی إلی إلتفات المعدة وتنبهها بالطعام، إذن كيف يستطيع دماغنا أن يحيط خبراً بالدنيا الخارجة عنه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۱ بعبارة أخری لابدّ من إحاطة للعلم بالموجودات الخارجية و العينية، وهذه الإحاطة ليست من وظيفة الخلايا الدماغية، فخلايا الدماغ تتأثر فقط بالخارج، هذا التأثير كتأثر سائر أجهزة البدن بالخارج، أمّا الإحاطة و العلم بالوضع الخارجی فهی شیء آخر، فإن كان التأثر بالخارج دليلًا علی علمنا بالخارج، للزم أن نفهم أيضاً بمعدتنا و لساننا. و الحال ليس الأمر كذلك، والخلاصة فإنّ الوضع الاستثنائی لإدراكاتنا دليل علی أنّها تستبطن حقيقة أخری (عليك بالدقّة).

۲– وحدة الشخصية

اشارة

الدليل الآخر الذی يمكن ذكره لإستقلال الروح هو مسألة وحدة الشخصية طيلة عمر الإنسان. توضيح ذلك: إنّنا فی الوقت الذی نشك فی كل شیء لا نشك و نتردد فی هذا الموضوع و هو «إنّ لنا وجود». «أنا موجود» و لا أشك فی وجودی، و علمی بوجودی هو علم حضوری لا- حصولی، يعنی أننی حاضر عند نفسی و لست منفصلًا عنها، و بناءاً علی هذا فإن علمی بوجودی ليس من قبيل رسم صورة لوجودی فی ذهنی، بل عن طريق عدم إنفصالی عن نفسی. بعبارة أخری: إنّ علمنا بالموجودات الخارجية، مثلًا من قبيل هذا الكتاب الذی أمامی و الذی يضم خطوطاً و صوراً من خلال رسم صورة عنه فی أذهاننا، و من هذا الطريق نحيط بالوضع الخارجی، و يطلق علی هذا العلم فی الفلسفة اسم «العلم الحصولی» أو الإرتسامی، أمّا علمنا بوجودنا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۲ فليس كذلك، لأنّه كما قلنا أنّ هذا العلم ليس من خلال رسم صورة ذهنية، بل من حضورنا لدی أنفسنا، و يصطلح علی هذا النوع من

العلم بـالعلم الحضورى. على كـل حـال إنّ علمنـا بوجودنا من أوضـح معلوماتنا و ليست هناك أيـة حاجـة أبـداً إلى إسـتدلال، و عليه فالإستدلال المعروف الذى أورده الفيلسوف الفرنسـى المشـهور «ديكارت» على وجوده فقال: «أنا أفكر إذن أنا موجود» هو إسـتدلال زائد و يبدو غير صحيح، لأنّه إعترف بوجوده مرتين قبل أن يثبت ذلك (مرّة حين قال «أنا» و أخرى حين قال أفكر) ... هذا من جانب. و من جانب آخر فإن «أنا» هى واحدة من بداية العمر حتى نهايته «أنا اليوم» هى «أنا بالأمس» وهى «أنا قبل عشرين سنة». إنى شـخص واحد منذ الطفولة و لحدّ الآن، أنا ذلك الشـخص الذى كنت و سأكون كذلك إلى آخر العمر و لن أصـبح شخصاً آخر، طبعاً درست و تعلمت و تكـاملت و سوف أتكامـل أكثر إلّا أنّى لم أصـبح شـخصاً آخر، ومن هنـا فإنّ جميع الناس يعرفوننى كشـخص واحـد منذ الطفولة لحد الآن، فلى إسم واحد و هوية واحدة و ... و الآن أريد أن أرى ما هذا الموجود الواحد الذى غطى جميع عمرنا؟ هل ذرات و خلايا بـدننا أم مجموعة خلايا الدماغ و فعلها و إنفعالاتها؟ فهذه تسـتبدل مرات طيلة عمرنا و تقريباً تسـتبدل كافة الخلايا مرّة واحدة كل سبع سنوات، لأنّنا نعلم أنّ ملايين الخلايا تموت يومياً و تحلّ محلّها خلايا أخرى، كالبناية التى يخرجون بعض طابوقها تدريجياً و يضـعون مكانه طابوقاً آخر، فهذه البناية تتغير تماماً بعد مدّة و إن لم يلتفت عوام الناس إلى ذلك، أو كالمسبح الكبير الذى يرده الماء ببطىء من جانب و يخرج من جانب آخر، فمن البـديهى أن يتغير كل ماء المسـبح بعـد مـدّة، و المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۳ إن لم يشـعر أصـحاب النظرة السـطحية بذلك فيرونه على حالته السابقة الثابتة. و بصورة عامة فإنّ حالة التبدل و التغير تسود كل كائن يتغذى ويسـتهلك هـذا الغذاء، وعليه يمكن أن يكون جميع أجزاء بدن رجل السـبعين عاماً قد تغيرت لعشـر مرات، الذى نريد أن نخلص إليه إننا لو اعتبرنا الإنسان كما يراه الماديون هو ذلك الجسم و الأجهزة العصبيـة و الدماغية و الخواص الفيزيائية والكيميائية لابدّ أن تكون هذه «الأنا» قد تغيرت عشـرة مرات خلال السـبعين سـنة و لايبقى ذلك الشـخص السابق، و الحال لا ضـمير يقبل هذا الكلام. و من هنا يتضح أنّ هناك حقيقة واحدة ثابتة طيلة العمر غير الأجزاء المادية و هى لا تتغير كالأجزاء المادية و تشكل أساس وجودنا و هى عامل وحدة شخصيتنا.

تفادى خطأ فاحش

يتصور البعض أنّ الخلايا الدماغيـة لا تسـتبدل و يزعمون أنّهم قرأوا فى كتب العلوم الفسـلجية أنّ عـدد خلايا الـدماغ واحـد منـذ أول العمر حتى آخره، و هى لا ـ تقل و لا تزداد بل تكبر فقط أنها لا تنتـج مثلها، و لـذلك إن تعرضت لصدمـة لما أمكن تعويضـها، و عليه فلدينا وحدة ثابتة فى مجموع البدن هى الخلايا الدماغية. إلّاإنّ هذا خطأ كبير، و ذلك لأنّ من يقول هذا الكلام قد خلط بين مسألتين، فما برهنه العلم اليوم هو أنّ خلايا الـدماغ من حيث العـدد ثابتـة طيلـة العمر فهى لا تزداد و لا تنقص، لا أنّ الـذرات التى تشـكل هـذه الخلايا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۴ لا تعوض، وذلك لأننا كما قلنا سابقاً أنّ خلايا البدن تستقبل الطعام دائما و تستهلكه بالتدريج فتفقد الذرات القديمة، بالضـبط كالشـخص الذى يسـتلم المال من جانب ويدفعه من جانب آخر، فمن المسلم به أن رأسمال مثل هذا الفرد يتغير بالتدريـج و إن لم يتغير مقـداره، على غرار ذلـك المسـبح الـذى يسـكب فيه المـاء من جـانب ويطرح ماءاً إلى الخارج من جانب آخر فلا تمضى مدة حتى يستبدل الماء بأجمعه و إن بقى مقداره ثابتاً. و يبدو أنّ كتب الفسلجة قد أشارت إلى هذا الأمر، و من ذلك كتاب الهورمونات ص ۱۱ و كتاب الفسلجة الحيوانية ص ۳۲ لمؤلفة الدكتور محمود بهزاد وزملائه. و بناءاً على ما تقدم فخلايا الدماغ ليست ثابتة و تتعوض كسائر الخلايا. ***

تبريرات و تفاسير

إنهمك بعض الماديون فى حلّ المشـكلة الكبرى المتمثلة بوحـدة الشخصـية، فقالوا أحياناً: «أنا» مجموعـة من التصورات المختلفـة و المتتالية التى تطرأ على الذهن، و بناءاً على هذا فإنّ الإتصال و الإرتباط لهذه الإدراكات تشـكل سلسـلة واحدة تعرّف وحدة شخصـيتنا

طیلة العمر. و یقول الدکتور آرانی: «إنّ مفهوم الذات یوجد بصورة منظمة و بشکل متوالی فی أزمان متوالیة فی الکائنات الحیّة السالمة، و لا تنقطع إلّا بواسطة النوم، و یمکن أن یظهر الإختلال فی الذات بواسطة المواد المخدرة والمسکرات». «۱» المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۵ ولکن یلزم من هذا الکلام إنقطاع الأنا و تبدل و عدم وحدة الشخصیة، لأنّ الأنا التی أتی بها الدکتور آرانی بالضبط کأقمشة مصنع لحیاکة الأقمشة التی تتبدل باستمرار إلّاأنّها متصلة مع بعضها. و من هنا فقد أضطر البعض للقول: للأنا حیثیة نسبیة، فکل شخص من جهة هو نفسه و من جهة غیره، کما یقول فی نفس الکتاب: «فی الوقت الذی أنا نفسی فأنا لست نفسی، أنا ذلک الثابت، و لکن المتغیر أیضا، أفضل مثال لفهم هذه القضیة التشبیه بالنهر، فالنهر جاری وکل لحظة تختلف عن اللحظة السابقة و مع ذلک فهو نفس النهر» «۱» و یبدو هذا الکلام عجیباً، لأنّ معناه هکذا: أنا لست ذلک الشخص قبل عدّة سنوات و قد تغیّرت حقیقة إلّاأنّی أظن أنّی أنا! ... و هذا علی خلاف ضمیر أی شخص. و ناهیک عمّا سبق فان «أنا» لست مجموعة من التصورات، و التصوراتعملی (أنا)، إذن فما هذه «الأنا» المبدأ للتصورات؟ لیس لهم جواب قانع علی هذا السؤال و لایستطیعون أن یرونا موجوداً ثابتاً طیلة العمر کأساس لوحدة شخصیتنا.

۳- عدم تطابق الکبیر و الصغیر

اشارة

کان البحث هل روح الإنسان حقیقة ثابتة و تفوق الطبیعة أم خاصیة تتوقف علی البدن و دائماً فی حالة تغیر. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۶ فهل للدماغ نشاط فکری کما للفم نشاط إفراز البزاق و الکبد الصفراء بحیث تفنی الروح بفناء الدماغ؟ أم هی کالسفن الفضائیة التی تنفصل صواریخها عنها الواحد بعد الآخر بعد أن تنطلق علی شکل مراحل بحیث تستمر بسرعتها فی مواصلة حرکتها، فروح الإنسان أیضا بعد أن تنفصل عن البدن تبقی فی عالم الأرواح و تواصل مسیرتها؟ لقد ذکرنا لحدّ الآن بعض الأدلة علی إثبات نظریة إستقلال الروح و إلیک الآن الدلیل الآخر:*** نفرض إنّنا جلسنا علی ساحل بحر تتحرک فیه عدّة زوارق صغیرة وسفینة عظیمة، و نشاهد الشمس تغرب من جانب، کما نشاهد القمر یطلع من جانب آخر، و طیور الماء الجمیلة تعوم دائماً علی ماء البحر تحط وتنهض، و کان بجانبنا جبل شامخ یرتفع إلی عنان السماء. و الآن لنغمض أعیننا لحظات و نتمثل کل ما رأیناه فی أذهاننا: جبل بذلک الإرتفاع و بحر بتلک السعة و سفینة عظیمة بتلک الضخامة، هذا ما یتجسد فی أذهاننا و هی کاللوحة الکبیرة جداً التی توجد أمام أرواحنا أو باطن أرواحنا. و الآن یطرح هذا السؤال: أین موضع هذه اللوحة الکبیرة؟ هل یسع خلایا الدماغ الصغیرة إستیعاب مثل هذه اللوحة العظیمة؟ قطعا لا، بناءاً علی هذا لابدّ أن نمتلک قسما آخر من الوجود یفوق هذه المادة الجسمانیة و هو علی قدر من السعة بحیث یستوعب فی نفسه جمیع هذه اللوحات. هل یمکن تطبیق خارطة عمارة ذات خمسمائة متر علی أرض ذات مائة متر؟ هل یمکن بناء صالة ریاضیة بعشرة آلاف متر علی أرض مساحتها متر واحد؟! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۷ قطعاً إجابة هذه الأسئلة بالنفی، لأنّ الوجود الکبیر و بحفظه لکبره لا ینطبق قط علی الوجود الصغیر، فلیزم من الإنطباق التساوی أو أن یکون أصغر ممّا یراد له الإنطباق علیه. و علی هذا الأساس کیف نستطیع إستیعاب الألواح الذهنیة الخارقة فی الکبر فی الخلایا الدماغیة الصغیرة؟ إننا نستطیع أن نرسم فی أذهاننا الکرة الأرضیة بخرامها البالغ أربعین ملیون متر و کذلک نستطیع أن نتمثل فی فکرنا الشمس التی تکبر الأرض بملیون و مئتی مرّة و کذلک المجرّات التی تفوق حجم الشمس بملایین المرّات، فلو أرید لهذه الصور أن تنطبق علی الخلایا الدماغیة الصغیرة لتعذرذلک طبق قانون عدم إنطباق الکبیر علی الصغیر، و علیه فلابدّ أن نعترف بوجود یفوق هذا الجسم هو مرکز إستیعاب هذه الصور الکبیرة و لیس له أی بعد مادی.

سؤال ضروری

قد يقال أنّ صورنا الذهنية مثل «المايكروفيلم» أو «الخرائط الجغرافية» التى يكتب عليها عدد كسرى مثل**** أو***** الذى يبيّن مقياس صغرها ويفهمنا أننا لابدّ أو نكبرها بنفس هذه النسبة لنحصل على الخارطة الواقعية، وكذلك رأينا كثيراً أنّهم إلتقطوا صورة لسفينة عظيمة لايمكنها بمفردها أن تشير إلى عظمة تلك السفينة، و من هنا جعلوا شخصاً فى تلك السفينة و إلتقطوا صورة لها معاً لتتضح عظمته السفينة من خلال مقارنتها مع الشخص. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۸ فصورنا الذهنية صغيرة جدّاً وقد صغرت بمقاييس معيّنة فإن كبّرناها بتلك النسبة حصلنا على الصورة الواقعية، و من المسلّم به أنّ لخلايا الدماغ القدرة على إستيعاب هذه الصور الصغيرة فى خلايا (عليك بالدقّة).

جواب

القضية المهمّة هنا هى أنّ المايكروفيلم عادة مايكبر بواسطة البروجكتر فينعكس على شاشة، و العدد الذى يكتب تحت الخرائط الجغرافية فهو يساعدنا على ضرب الخارطة به لنتصور الخارطة الكبيرة الواقعية فى أذهاننا، و السؤال الذى يطرح نفسه أين تلك شاشة الكبيرة التى ينعكس عليها مايكروفيلم ذهننا؟ هل هذه الشاشة الكبيرة هى خلايا الدماغ؟ قطعاً لا، و تلك الخارطة الجغرافية الصغيرة التى نضربها فى عدد كبير و نبدلها إلى خارطة عظيمة لابدّ أن يكون لها موضع، فهل يمكن أن يكون الخلايا الدماغية الصغيرة. بعبارة أوضح: فى مثال المايكروفيلم و الخارطة الجغرافية فالموجود فى الخارج هو تلك الأقلام و الخرائط الصغيرة جدّاً، إلّاأنّ صورنا الذهنية ليست كذلك، فهذه الصور بالضبط بقدر الوجود الخارجى لها، و قطعاً تحتاج إلى محل بقدرها، و نعلم أنّ خلايا دماغنا أصغر من أن يمكنها عكسها و هى بتلك العظمة. و خلاصة الكلام: إنّنا نتصور هذه الصور الذهنية بذلك الكبر التى هىعليه فى الخارج و لايمكن لهذا التصوير و التصور العظيم أن ينعكس فىخلية صغيرة، و بناءاً على هذا فهى بحاجة إلى محل غير ذلك، و من هنا نقف المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۶۹ على وجود حقيقة تفوق هذه الخلايا و تفوق عالم المادة.

۴- الظواهر الروحية ليست كالكيفيات المادية

الدليل الآخر الذى يمكنه أن يرشدنا إلى إستقلالية الروح و عدم كونهامادية هو: إنّنا نرى فى الظواهر الروحية خواصاً و كيفيات ليس لها أى شبهبالخواص والكيفيات التى تتصف بها الموجودات المادية. و ذلك لأنّه: الموجودات المادية تتطلب «الزمان» و لها حيثية تدريجيةهذا أولًا و ثانياً تتآكل بمرور الزمان ثالثاً: أنّها قابلة للتحلل إلى عدّة أجزاء. بينما ليس هناك مثل هذه الخواص و الآثار للظواهر الذهنية، فإنّنانستطيع أن نرسم فى أذهاننا عالماً كالعالم الفعلى دون الحاجة إلى الزمانوالتدريج. وبغض النظر عمّا سبق فإنّ الصور المطبوعة فى أذهاننا منذ فترةالطفولة لا يبليها الزمان و لا يجعلها تتآكل و تبقى محافظة على شكلها. يمكن أن يتآكل الدماغ ولكن لايتآكل بتآكله الحيز الذى إرتسم فىأذهاننا قبل عشرين سنة و هو يتمتع بنوع من الثبات الذى يعدّ منخصائص عالم ما وراء المادة. و لروحنا خلاقية عجيبة بالنسبة للصور والمشاهد فإنّنا نستطيع فى آنواحد و دون أية مقدمة أن نرسم فى أذهاننا ما نشاء من صور و كراتسماوية ومجرّات و كائنات أرضية و بحار و جبال و ما إلى ذلك، و هذا ليسمن خصائص المادة، بل هو علامة لوجود يفوق عالم المادة. أضف إلى ذلك فمما لاشك فيه أن ۲ زائد ۲ يساوى ۴ حيث يمكن تحليل طرفى هذه المعادلة أى تحليل العد ۴ أو ۲، أمّا المساواة فلا- يمكننا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۰ تحليل أبداً كأن نقول للمساواة نصفان و كل نصف غير الآخر فهذا الموضوعليس بممكن، فالمساواة مفهوم يأبى التحليل، أمّا موجود أو غير موجود ولايمكن تنصيفه، وبناءاً على هذا فمثل هذه المفاهيم الذهنية ليست قابلةللتحليل و لذلك لا يمكن أن تكون مادية، لأنّها لو كانت مادية لأمكن تحليلها، و كذلك لا يمكن لروحنا بصفتها مركزاً لهذه المفاهيم غير المادية أن تكون مادية، و عليه فهى تفوق المادة (عليك بالدقّة).

۵- الأدلة التجريبية على إستقلال الروح

اشارة

أثبتنا لحدّ الآن إستقلال الروح عن طريق أربع إستدلالات عقلية ومنطقية، و برهنا أو الروح لايمكنها على ضوء مذهب الماديين أن تكون خاصية فيزيائية و كيميائية لخلايا الدماغ، و لابدّ أن تكون حتمياً موجوداً يفوق المادة الجسمانية. و نتجه الآن صوب الأدلة التجريبية لنثبت من خلالها إستقلالية الروح وعدم كونها مادية، فقد أورد الفلاسفة و علماء الإلهيات المعاصرون الروح فى مصاف المسائل التجربية و قد منحوها صورة حسية و تجربية لُاولئك الذين يتعذر عليهم قبول الإستدلالات العقلية، حتى سلّم جمع من علماء العلوم الطبيعية لتلك الأدلة التجربية فاعترفوا بالروح على أنّها وجود يفوق المادة. و يمكن الإشارة باختصار إلى أقسام الأدلة التجربية و هى:

أقسام الأدلة التجريبية

اشارة

۱- الإرتباط بالأرواح ۲- التنويم المغناطيسى ۳- النوم الاعتيادى و الرؤيا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۱ ۴- الأعمال الخارقة للمرتاضين ۵- إنتقال الفكر من بعيد *** و نخوض الآن فى تفاصيل كل واحد منها بصورة مختصرة.

۱- الإرتباط بالأرواح

اشارة

لقد أصبح موضوع الإرتباط بالأرواح و التحدث معها اليوم بصورة علم، وقد تشكلت جمعيات بهذا الاسم فى مختلف نقاط العالم، و قد قال العالمالمصرى المعروف فريد وجدى (فى المجلد الرابع من موسوعته فى مادة الروح) أنّ ثلاثمائة مجلة و صحيفة تنتشر فى أنحاء العالم من قبل «جمعيات الروح» ويشترك فى هذه الجلسات طائفة من كبار علماء العلوم المختلفة. و قد عقدت عدّة جلسات فى أمريكا و إنجلترا و فرنسا و ألمانيا و أغلبالبلدان بهدف التعامل مع هذا الموضوع و قد حضرها أفراد معروفون من مختلف الشخصيات و قد عقد الإتصال بالأرواح بحضورهم و حصلت عدّة أعمال خارقة للعادة، و من ذلك ما ورد فى كتاب اصول علم النفس لفرويد ص ۳۲: شكلت هيئة من ۳۳ شخص من أساتذة جامعات إنجلترا و عدد من القضاة لدراسة هذا الموضوع، فاستغرقت دراستهم سنة و نصف، هل الإرتباط بالأرواح حقيقة أم خرافة؟ فلما فرغوا من تحقيقهم و دراستهم قدموا آرائهم الإيجابية بشأن صحة هذه الموضوع إلى «جمعية لغويين إنجلترا» التى كلّفوا من قبلها، وقد وردت مسائل مدهشة عمّا يشاهد فى تلك الجلسات فى كتب العالم بعد الموت لمؤلفه ليون دينى و علم النفس لفرويد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۲ و كتاب على إبطال المذهب المادى، و منها: ۱- التحدث بلغة غير اللغة الأم (يعنى الشخص الذى يتصل بالأرواح فىالتنويم المغناطيسى يمكنه أحياناً أن يتحدث معها بلغة لم يكن يجيدهاحتى ذلك اليوم!). ۲- حل المسائل الرياضية المعقدة فى التنويم المغناطيسى من قبل أفراد ليس لهم أى إستعداد لحل مثل هذه المسائل. ۳- كتابة بعض المطالب على ألواح جعلت فى صندوق و قد أحكم غلقه! ۴- حمل أجسام من الأرض بواسطة الأرواح دون أن تمتد إليها أى يد! ۵- ظهور الأرواح بشكل أشباح فى هذه الجلسات. و كما ذكرنا فإنّ هذه الأمور قد شوهدت من قبل كبار العلماء و قد إعترفوا بها و سجّلوها فى مختلف الكتب و المجلات. فهل يمكن القول و بالنظر لهذه المشاهدات الحسية أنّ الروح هى تلك

الخواص الفيزيائية و الكيميائية لخلايا الدماغ؟

ماذا يقول الماديون بشأن هذه المطالب المدهشة؟

ليس لهؤلاء سوى ثلاثة أجوبة: ١- أحياناً يقولون: إنّ مثل هذه الأمور من قبيل الشعبذة و خفّة اليد والاستفادة من الوسائل الألكترونية أو الدسائس التى حيكت مسبقاً. ٢- قد لايكون هناك وجود واقعى لمثل هذه الظواهر و لعلها تستند إلى تلقينات متتالية و متكررة بواسطة أفراد مهرة. ٣- يمكن أن يكون بعض هذه الظواهر من حالة اللاشعور، أى أنّ هناك سلسلة من الأمور فى اللاشعور للشخص و هو غافل عنها و عند التنويم المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٧٣ المغناطيسى يرفع الستار عنها، و الأفراد الذين لايعلمون بوجود هذا اللاشعور يتصورون أنّهم يرون مسألة خارقة. إلّاأنّ علماء الروح قد أغلقوا جميع هذه المنافذ و قد مارسوا بعض‌الأفعال التى لا تبقى من مجال لاحتمال الدسائس و الشعبذة و الاستفادةمن مختلف الوسائل الألكترونية بحيث يزول أى إبهام و غموض و منها: أولًا: يختارون الواسطة «١» ممن لايزيد عمره على عامين و يسمعون‌كلام الأرواح عن طريقه، و إن كان كبيراً جعلوه فى قفص خاص و قيدوا يديه‌و رجليه و عصبوا عينيه حتى لايتسنى لهم الاستفادة من أية وسائل خاصة. ثانيا: كما أوردنا سابقاً فإن حضّار الجلسة ينتخبون أحياناً من بين كبارالعلماء، و من البديهى أن يستحيل عادة احتمال تلقين مثل هؤلاء الأفراد. من جانب آخر أحياناً تحشر بعض الحيوانات فى تلك الجلسات ليدرسواردود فعل المشاهد المرعبة عليها و يبدو أنّها نتيجة إيجابية، يعنى أنّهاتتأهب للفرار من جراء رؤية تلك المشاهد أو أنّها تهرب فعلًا، و لا شك أوالتلقين بهذا الشأن لا يمكن الأذعان له. ثالثا: أحياناً يصرّح الواسطة حين التنويم المغناطيسى بأمور لم تطرق سمعه سابقاً قط كما لا يحتمل أن تكون كامنة فى اللاشعور (راجع الكتب التى ذكرت سابقاً بهذا الخصوص).

ملاحظات مهمّة

لابدّ من ذكر بعض المواضيع لكى تتضح جوانب البحث: ١- إنّ قضية الإرتباط بالأرواح و إن كانت قطعية كما ذكرنا من وجهة نظر المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٧٤ الحاذقين فى هذا الفن و جمع من العلماء، و قد أوردنا اسم جماعة كثيرة من العلماء و المحققين ممن إعترفوا صراحة بهذا الموضوع فى كتاب «عودة الأرواح» إلّاأنّ هذا لايعنى إننا نقرّ بالزعم الأجوف لبعض السذّج و البّله ممن يدعى الإرتباط بالأرواح. فمما يؤسف له أنّ مسألة الإرتباط بالأرواح قد استغلت إستغلالًا بشعاً، فقد يدعى ذلك عدد كبير من المنتهزين المحترفين أو السذّج البلهاء ويرون أنّهم يرتبطون بجميع الأرواح فيحصلون من خلال ذلك على بعض الأرباح، و لسوء الحظ فإنّ مثل هؤلاء الأفراد يضفون صبغة خرافية على هذه المسألة العلمية والتجريبية فيشوهونها لدى الآخرين، و قد دفعت بعض الأوهام و التخيلات البعض إلى إنكار أصل الموضوع و الحال هناك فارق كبير بين هؤلاء الأفراد والعلماء و المفكرين بالنسبة لهذا البحث، و قد لايصدق واحد من عشرات الذين يزعمون إرتباطهم بالأرواح، و عليه لابدّ أن نتحلى بالوعى و اليقظة و ننأى بهذا البحث بعيداً عن الإستغلال الذى يمارسه المهووسون و الجهّال فلا نخدع بالمزاعم التى يطلقها الدجّالون و لا ننسب أعمالهم الطائشة إلى هذا البحث العلمى. و لاسيما اللعبة الخاصة التى راجت فى الأوساط باسم الإرتباط بالأرواح بواسطة الطاولة المستديرة، فادعى البعض ممن ليس له أى إستعداد علمى أو عملى سوى إعداد طاولة مستديرة مع مخطط أنّه حصّل على مفتاح الأرواح وله أن يتصل بصغيرها و كبيرها، و هذا من أوضح النماذج المزيفة لمثل هذا الإرتباط الذى ينبغى الحذر منه بشدّة (ذكرنا هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب عودة الأرواح). *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٧٥ ٢- هل يوجد دليل على إمكان الإرتباط بالأرواح فى المصادر الإسلامية؟ الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، حيث ورد فى التواريخ الإسلامية أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله أمر بعد معركة بدر بالقاء قتلى الكفّار فى القليب

ثم وقف على القليب فناداهم: «هَلْ وَجَدْتُمْ مَاوَعَدَكُمْ رَبُّكَمْ حَقّاً فَانّى قَدْ وَجَدْتُ مَاوَعَدَنى رَبّى حَقّاً». فقال له البعض أتحدثهم يا رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و لم تبق إلّاجيفتهم. فردّ النبى صلى الله عليه و آله بأنّكم لستم بأسمع لكلامى منهم. «۱» و ورد فى نهج البلاغة أنّ علياً عليه السلام لما رجع من صفين و أشرف على القبور بظاهر الكوفة قال: «يا أهل ديار الموحشة، و المحال المقفرة، و القبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة، يا أهل الوحشة، أنتم لنا فرط سابق، ونحن لكم تبع لاحق، أمّا الدور فقد سكنت، و أمّا الأزواج فقد نكحت، و أمّا الأموال فقد قسمت. هذا خبر ماعندنا فما خبر ما عندكم» ثم إلتفت إلى أصحابه و قال: «أما لو أذن لهم فى الكلام لأخبروكم أنّ «خير الزاد التقوى». «۲» و بالنظر إلى هذه الأخبار و ماشابهها يتضح ومن خلال المصادر الإسلامية أنّ الإرتباط بالأرواح ليس بالأمر المتعذر. *** ۳- هل تعلم الأرواح بكل شىء؟ و هل تستطيع الإخبار عن كل ما تعلمه؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۶ قطعاً الجواب بالسلب، لأنّ الروح بعد إنفصالها عن هذا العالم و إن كانت لها فعالية أوسع، مع ذلك فمعلوماتها محدودة، و هى ليست عالمة بكل شىء، وعلى فرض المحال أنّها كذلك، فلا يعلم أنّها تستطيع الإخبار عن كل ذلك، والعبارة «لو أذن لهم فى الكلام» التى وردت فى نهج البلاغة تدل على أنّهم ليسوا مأذونين بذكر جميع الأشياء. *** ۴- الموضوع المهم الآخر الذى قد يلتبس أحياناً هو خلط قضية «الإرتباط بالأرواح» مع «عودة الأرواح» حيث يرى البعض ضرورة إلتزام من يؤمن بالإرتباط بالأرواح بموضوع عودة الأرواح، يعنى يعتقد بأنّ الروح بعدإنفصالها عن البدن تقر فى جنين أم أخرى فتولد من جديد، و يمكن أن يتكرر هذا العمل عدّة مرات، فتقدم روح واحدة إلى هذا العالم عدّة مرّات. إلّاأنّ هذه العقيدة و التى تعرف بتناسخ الأرواح خطأ محض، فالحياة التكرارية ليست ممكنة، و الروح بعد مفارقتها البدن لا تستقر فى بدن آخر. هذا و قد أوردنا عدّة أدلة تبطل هذه العقيدة فى كتاب «عودة الأرواح» ومن أراد المزيد فليراجعه.

۲- التنويم المغناطيسى

اشارة

توصل العلماء منذ القديم إلى وجود قوّة خفية فى بدن الإنسان يمكنها التأثير على الأجسام الأخرى دون اللجوء إلى الوسائل العادية و التى اصطلحعليها فيما بعد باسم «القوة المغناطيسية». و لعل هذه القوّة الخفية موجودة لدى كافة الأفراد، غاية ما فى الأمر أنّها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۷ تكون ضعيفة جدّاً لدى البعض، بينما تكون خارقة للغاية لدى البعض الآخر، كما يمكن تقويتها و تنميتها بواسطة التدريب و التمرين، حتى ورد أنّ بعض الحيوانات- و منها الأفعى- تستطيع بواسطتها شل حركة أعدائها أو فريستها، وإن شككنا فى وجودها لدى الحيوانات فلسنا نشك فى وجودها عند الإنسان. لقد كشفت هذه القوّة فى البداية فى مشرق الأرض حيث أدركها الكلدانيون و المصريون و الهنود، لكنّها لم تكن مسألة عامة حتى طرحت كاكتشاف علمى أواخر القرن الثامن عشر (عام ۱۷۷۵ م) من قبل الطبيب النمساوى «مسمر» فقال: هناك قوّة خاصة لدى الإنسان يمكن بواسطة معالجة بعض المرضى. طبعاً حسب العادة فإنّه كل إكتشاف غالباً ما يواجه بالحملات اللاذعة من قبل الأفراد غير المطّلعين و حسد الحاسدين، و من هنا فقد واجه «مسمر» عاصفة من الإعتراضات آنذاك حتى رآه البعض مجنوناً، و بالطبع فإنّ طموحات «مسمر» الخيالية قد زادت من حدة تلك الحملات و أصبحت ذريعة بيد مخالفيه، فقد إضطر إلى مغادرة النمسا و التوجه إلى فرنسا لمواصلة عمله، إلّاأنّ أبحاثه إقتصرت على السيّالة المغناطيسية دون الحديث عن التنويم المغناطيسى، حتى تعرف «بويسغور» على طريقة أستاذه مسمر، فكان يستفيد من هذه القوّة الخفية فى البدن لمعالجة المرضى حيث كان يدخل هذه الأمواج المغناطيسية الخاصة إلى بدن المرضى. ذات يوم و بينما كان يعالج قروياً فوجىء بأنّه نام، فأصيب بالذهول و الدهشة فأراد أن يوقظه فصرخ به إنهض! إنهض! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۸ و هنا إزدادت

دهشته حين نهض ذلك الرجل و ما زال فى حالة النوم وقد أخذ يمشي! فقال له مذهولًا! قف. فوقف ففهم بعد ذلك أنّ المريض يغط فى حالة تشبه النوم و هى تفرق كثيراً عن النوم الإعتيادى و كان يمتثل كل ما يقال له. أخيراً أيقظه و أعاده إلى حالته الطبيعة، و هكذا كشف موضوع التنويم المغناطيسى فى ذلك الوسط و تبيّن أنّه يمكن الحصول على «التنويم المغناطيسى» عن طريق «السيّالة المغناطيسية». و باستمرار التحقيقات فى هذا المجال إتضح أنّه يكفى لتنويم الأفراد مغناطيسياً النظر الطويل إلى نقطة شبه مضيئة إلى جانب التلقينات المتتالية مع الاستفادة من السيّالة المذكورة، و هكذا يمكن تنويم الأفراد مغناطيسياً بواسطة العناصر الثلاثة السابقة. ثم استمرت الأبحاث و الإختبارات لتتوالى كل يوم كشف غرائب وعجائب هذا النوم الذى يشير إلى فرقه الشاسع مع النوم الطبيعى، و القضية المهمّة هنا هى أنّ العامل «المنوِّم» يستطيع أن يحلّ محلّ إرادة و عزم المعمول «المنوَّم»، بحيث يستسلم المعمول تماماً لإرادة العامل فيمتثل كل ما يؤمر به دون نقاش سوى فى بعض الحالات الاستثنائية. و من ذلك: ۱- يستطيع العامل من خلال التلقينات المتابعة تخدير بدنه بحيث لايشعر بأدنى ألم. و قد استفيد اليوم فى الطب من هذا العمل بدلًا من الدواء المخدر، وهنالك اليوم الأبحاث المسهبة فى الصحف و المجلات حول الاستفادة من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۷۹ التنويم المغناطيسى بدلًا من الأدوية المخدرة و قد إتخذت هذه القضية طابعاً عملياً فى بعض البلدان حيث يرى البعض أنّ آثاره أفضل من الأدوية المخدرة وعوارضه أقل. ۲- يمكن للعامل أن يلقّنه مثلًا أنّك آمر لجيش أو سجين مقيد، فيتخذلنفسه مباشرة هيئة قائد عسكرى فيتحدث بصوت وحركات خاصة بالنسبةلذلك الآمر، و فى الحالة الثانية يبدى ردود فعله و كأنّه سجيناً مقيداً؟ و قد رأيت فى منطقة خرم آباد فى أحد أسفارى مشهداً من مشاهدالتنويم المغناطيسى فى منازل أحد الأصدقاء و باقتراح البعض الآخر منالأصدقاء، فالمنوِّم كان رجلًا محترماً، كما كان الفرد المراد تنويمه شاباًمؤدباً، فأمره بالإستلقاء على الأرض وأخذ يدخل السيّالة المغناطيسية فىبدنه و هو دائم النظر إلى عينيه و يلقّنه باستمرار «الآن ستنام» و «ستنامسريعاً» و ما إلى ذلك من العبارات و قد كانت الغرفة شبه مظلمة و كان مايقرب خمسة عشر من الفضلاء قد حضروا هناك، و أخيراً جعله ينام، ثم قطعبواسطة التلقين إرتباطه عن جميع الأفراد سوى نفسه، بعد ذلك لقّنه أنّ بدنه سيكون كالخشب الجاف. و لم تمض مدّة حتى أصبح كذلك بحيث أخذ فرد برجله و آخر برأسهورفعوه من الأرض فجعلوا رجله على الحافة العليا لكرسى و رقبته علىالحافة الأخرى لكرسى آخر ثم وضعوا قطعاً من القماش تحته كى لايتأذىمن الكرسى وحافاته و الطريف فى الأمر أنّه إستقر على الكرسيين كأنّه قطعةخشبية جافة، حتى حين كانوا يضغطون على بطنه فإن ظهره كان يتحركبمرونة دون أن يعوّج أو يسقط على الأرض، ثم طرحوه على الأرض و أخذ العامل يلقّنه حتى أعاده إلى حالته العادية دون أن يوقظه من نومه. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۰ ثم لقّنه ثانية و بصورة مكررة فخدر بدنه بحيث لم يشعر بألم، و هناأشعل سيجارته و وضعها على يده، إلّاأنّه لم يبد أى رد فعل، لكنه لما أوقظمن نومه قال أشعر بقليل من الحرقة فى يدى. ۳- أحياناً يأمر العامل المعمول بالتحدث بلغات مختلفة حتى تلك التىلم يكن يعرفها. ۴- أحياناً يذكره العامل بالذكرات التى نساها بالمرة و يبعث به إلى حياتهالماضية، و الغريب فى الأمر أنّ جميع ردود فعله فى كل هذه الحالات كتلكالتى أبداها فى السنين الماضية! ۵- أحياناً يأمره العامل بالسفر إلى المناطق النائية و يتحدث عنمشاهداته. «۱» و كل هذه الأمور تدل على وجود قوّة أخرى فى وجودنا غير خلاياناالدماغية و أفعالها و إنفعالاتها، و هى تفرق كثيراً عن القوى المادية التىنعرفها، كما تفوق القوى المادية قدرة و نشاطاً حيث أمكن التعرف عليهااليوم بواسطة العلم، كما تبدى بعض الظواهر و الآثار التى تختلف و ما نراه ونعرفه فى عالم المادة. *** نقلت عدّة مشاهدات عن أفراد موثوقين بشأن «تجرّد الروح» يعنى الإنفصال المؤقت عن البدن و الذهاب إلى نقاط مختلفة بحيث يستطيع الإنسان الاطمئنان من مجموعها إلى وجود الروح بصفتها حقيقة مستقلة وتفوق المادة، نورد نموذجا منها: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۱ كان المرحوم الشيخ هاشم القزوينى من كبار علماء و أساتذة الحوزة العلمية فى مدينة مشهد، و الحادثة التى ننقلها قد سمعها منه الكثير من أصحابه وتلامذته، و من ذلك روى أحد تلامذة ذلك المرحوم- و هو من فضلاء الحوزة العلمية فى قم- قائلًا: ذهبت يوماً إلى المرحوم الشيخ هاشم القزوينى وطلبت منه أن يقص على تلك الحادثة بشأن تجريد الروح وإنفصالها المؤقت عن البدن الذى حدث

له، فردّ عليَّ قائلًا: «كان هناك رجل ضالعاً بهذا العلم فقصدته و سألته أن يجرّد روحى من بدنى. فوافقنى، و حين تأهبت لذلك، رأيت فجأة بدنى فى زاوية و قد إنفصلت عنه! فقلت: لابأس أن أستغل الأمر و أتوجه إلى قريتنا الواقعة أطراف منطقة قزوين، فرأيت نفسى قرب القرية، فرأيت خارج القرية رجلًا قام بسرقة ماء من النهر حين السحر وحمله إلى ملكه، و لم تمض مدّة حتى رأيت صاحب الماء، فلما علم بالأمر غضب و إنهال بالضرب على السارق بالمسحاة حتى قتله. كنت أشاهد تلك الحادثة إلّاأنّه لم يرانى، أخيراً هرب القاتل و بقى جسد المقتول على الأرض، فلما جاءت نسوة القرية لأخذ الماء علمن بحادثة القتل، فنقلن الخبر مبهوتات إلى أهالى القرية، فجاء أهل القرية جماعات جماعات لرؤية الحادثة، و لكن ليس هناك من خبر عن القاتل، و من هنا شعروا بالقلق والاضطراب و لم يعرفوا ماذا يفعلون، أخيراً إستعدوا لدفن بدن المقتول. فلما أفقت إلى نفسى كان ذلك قريباً من طلوع الفجر و لم أكن صليت الصبح حينها، فرأيت نفسى فجأة فى بدنى، و قال لى الشخص الذى جرّد المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۲ روحى: كيف حالك؟ فأخبرته بكل ما رأيت و أطلعته على تاريخ الحادثة بالضبط، و بعد شهرين قدم عدد من أهالى تلك القرية فلما إلتقونى، سألت عن المقتول دون أن أذكر الحادثة فقلت كيف حاله؟ قالوا: للأسف لقد قتل قبل شهرين و عثرنا على جثته قرب النهر إلّاإنّنا لم نعرف قاتله، و بعد سبع سنوات ذهبت إلى القرية لرؤية أقاربى وأصدقائى، فجاءنى عدد كثير من الناس حتى كان القاتل أحدهم، و لما خلى المجلس دعوته إلى قربى و قلت له: قل الصدق من قتل فلاناً؟ فاعرب عن عدم علمه وقال: لا أدرى. قلت: فمن رفع تلك المسحاة و قتل بها فلاناً؟ فشحب وجهه و فهم أنّى أعلم بالموضوع، فاضطر إلى سرد الحادثة. قلت: كنت أعلم، لكنّى أردت أن أقول لك إذهب و إدفع الدية لورثة المقتول أو أطلب منهم أن يعفو عنك».

ما ردّ الماديين على هذا الموضوع؟

طالما لايمكن التنكر لموضوع التنويم المغناطيسى، فقد صرّح القائلون بمادية الروح قائلين: إنّنا نقرّ هذه الظاهرة، إلّاأنّها قضية بسيطة، و لا تدل على أنّ الروح هى أكثر من الخواص الفيزيائية و الكيميائية لمادة الدماغ، لأنّ هذا النوم جاء إثر التلقين إلى جانب التعب بسبب تكرار عمل واحد جعله ينام (فالصوت الرتيب للمقص أو محرك السيارة يجعل الإنسان ينام أحياناً) ولكن يفقد الإنسان فى هذا النوم إرادته فتستبدل بما يلقن، ثم تظهر آثاره الناتجة عن ذلك التلقين. *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۳ و الذى ينبغى الإلتفات إليه أنّ التنويم المغناطيسى مقبول إذا إنحصر بهذا الأمر فى أنّ الإنسان ينام و يظهر بعض الحركات إثر التلقين، إلّاأنّ سفر الروح إلى الأماكن الأخرى و التحدث باللغات التى لم تكن معروفة و العلم بالمسائل الخارجة عن حدود معلومات الشخص فهذه من الأمور التى لا يمكن حلّها على ضوء التفسير الذى أقررناه، و لابدّ أن نعترف أنّ فى وجود الإنسان حقيقة كامنة أخرى غير ما تفيده العلوم الطبيعية و المادية والتى تبدى الآثار العجيبة التى لا تنسجم و الاصول و القوانين المادية.

۳- النوم و الرؤيا

اشارة

لقد شغلت قضية النوم أفكار العلماء من ناحيتين. ۱- ما النوم؟ لماذا ينام الإنسان؟ ما هى التغييرات الفسلجية التى تطرأ على الإنسان حين النوم؟ ۲- ما المشاهد التى يراها الإنسان فى المنام و التى يطلق عليها اسم الرؤيا وكيف يحصل ذلك؟ لقد وردت لحدّ، الآن حسب تصريح بعض العلماء مئات النظريات بشأن النوم و حقيقة الرؤيا التى تشير إلى أنّ هذه المسألة قد خضعت للدرس والبحث منذ

قدیم الزمان، و ما سنورده هنا مختصراً من أهم النظریات التی عالجت هذا الموضوع. و سنخوض فی البدایة فی أصل حقیقة النوم لنری ما الذی یحصل لینام الإنسان؟ ثم نتابع البحث بتسلیط الضوء علی حقیقة الرؤیا التی تشکل المحور الأصلی للبحث. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۴ النوم یعنی تعطیل قسم من الأنشطة الدماغیة للإنسان (الأنشطة الشعوریة). من البدیهی أنّ جمیع أنشطة هذا المرکز القیادی لا- تعطل حیث إنّ التعطیل العام للدماغ یعنی الموت! یعتقد فریق من العلماء أنّ النوم یشمل کافة الکائنات الحیّة، فجمیع الحیوانات و حتی النباتات تخلد إلی النوم، یعنی هناک سکون لبعض أنشطتها الحیویة بصورة متناوبة خلال اللیل و النهار. «۱» أمّا ما الذی یحدث لتتوقف مجموعة من دماغ الإنسان عن النشاط ویغط فی النوم و تتباطیء فعالیات الجسم، و بعبارة أسهل ما الذی یحصل لینام الإنسان؟ لقد وردت عدّة أجوبة علی هذا السؤال، و أهمّها النظریات الثلاث الآتیة: ۱- نظریة العامل الفیزیائی ۲- نظریة العامل الکیمیائی ۳- نظریة العامل العصبی للنوم عامل فیزیائی و سببه الرئیسی إنتقال الدم من الدماغ إلی الاطراف السفلی للبدن و الأرجل، و حین یتجه الدم إلی الأطراف السفلی و یقل عن الدماغ، فإنّ الدماغ یوقف جانباً من أنشطته فنقول فی هذه الحالة نام. و قد إستفاد أنصار هذه النظریة من أسرّة خاصة- تسمی الأسرّة المیزانیة- لإثبات صحة آرائهم، فالشخص الذی یرید أن ینام یستلقی علیها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۵ و قد أثبتت التجربة أنّ رأسه یصبح أکثر ثقلًا قبل أن ینام، لأنّه سحب مقداراً کبیراً من الدم، أمّا إن نام أصبحت أطراف رجلیه أکثر ثقلًا لیدل ذلک علی أنّ الدم قد سار نحو هذه الأطراف. و هذه النظریة و إن کانت مقبولة ذاتاً- لأنّها تستند إلی التجربة- لکن لا یمکنها أن تکون العامل الرئیسی للنوم، لأنّ هناک سؤال یطرح نفسه و هو: ما الذی جعل الدم یترک الدماغ و یتجه نحو الأقدام، و بعبارة أخری فالنظریة تبیّن نتیجة النوم لا العامل الأصلی الذی یقف وراءه. *** یقول أنصار النظریة الثانیة (العامل الکیمیائی): تتجمع بعض السموم فی بدن الإنسان حین الجهد و السعی و التی تشل جانباً من الدماغ عن العمل فإن جذبت هذه السموم من قبل البدن صحا من نومه. إلّاأنّ أصحاب هذه النظریة لم یستطیعوا بیان هذا الأمر، و هو لماذا ینام الإنسان و ینهض فجأة من نومه، والحال نعلم أنّ التسمم موضوع تدریجی و زواله تدریجی أیضاً؟ و علیه فلابدّ أن یتجه الإنسان بالتدریج من حالة الیقظة إلی حالة شبه المنام و من ثم حالة النوم الکامل، و نهوضه یجب أن یکون کذلک، و الحال لیس الأمر کذلک، وغالباً ما تحصل الظاهرتان فی آن واحد، طبعاً ممکن أن یستلقی الإنسان ساعة علی الفراش محاولًا النوم، إلّاأنّ فترة الإنتقال إلی النوم لحظة لیس أکثر، و کذلک الیقظة من النوم تحصل فی لحظة واحدة، و لا تنسجم هذه القضیة و التدریج. و أمّا النظریة الثالثة فتقول: هناک جهاز فعال فی دماغ الإنسان یضطره للعمل، فإن توقف هذا الجهاز عن العمل، نام الإنسان، هذا الجهاز العصبی له حکم معجل السیارة حیث یتوقف عند التعب. لکن ما هذا التعب؟ و لم المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۶ یتوقف هذا الجهاز العصبی الفعال عن العمل؟ هذه أسئلة لم تجد جواباً شافیاً لحد الآن. و النتیجة التی نخلص إلیها ممّا سبق أنّ العامل الأصلی للنوم ما زالمبهماً غیر معروف رغم جمیع الدراسات و التحقیقات التی أجریت بهذاالشأن، و لعل المستقبل کفیل بالتوصل إلی کنه حقیقة هذا الموضوع.

الرؤیا و الأحلام

الأهم من النوم الرؤیا، و هی المشاهد القبیحة و الجمیلة و المحببة والموحشة التی یراها الإنسان فی المنام، و ما زال الإنسان لحدّ الآن یتساءلما هذه المشاهد و المناظر التی یراها فی المنام و ما مصدر الرؤیا؟ ما العاملالخفی الذی یجسد هذه المشاهد للإنسان فی ساعات النوم؟ هناک عدّة تفاسیر بشأن حقیقة الرؤیا و یمکن تقسیمها إلی قسمین: ۱- التفسیر المادی ۲- التفسیر الروحی یزعم المادیون أنّ للرؤیا عدّة أسباب هی: الف: یمکن أن تکون الرؤیا نتیجة لأعمال الإنسان الیومیة؛ یعنی ما فعله الإنسان فی الأیام الماضیة یمثل لدی فکره عند النوم. ب: یمکن أن تستند الرؤیا إلی بعض الأمنیات التی لم تتحقق، کأن یری العطشان ماءاً، و ذلک الذی ینتظر السفر أنّه قدم من السفر (و من هنا قیل قدیماً أنّه یحلم ...). ج: یمکن للخوف من الشیء أن یدعو الإنسان لرؤیته، فقد تکرر بالتجربة

المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۷ أن من يبقى وحيداً فى البيت و يخشى اللص يراه فى المنام. و لفرويد و أنصاره و أتباع مدرسته تفسير و تعبير مادى آخر للرؤيا؛ فبعد مقدمات طويلة عريضة يصرحون بأنّ الرؤيا هى عبارة عن إشباع الرغبات المكبوتة. «۱» و توضيح ذلك: أنّ للنفس بعدان: «الشعور» و ما هو يرتبط بالفكر اليومى و المعلومات الإرادية و الإختيارية للإنسان و «اللاشعور» و ما يختفى فى الضمير الباطنى للإنسان بصورة رغبة لم تشبع، فهم يقولون عادة ما تكون لنا رغبات لم نستطع إشباعها فبقيت هذه الرغبات مكبوتة فإن؟ نمنا برزت إلى السطح و قد لا تحتاج أحياناً إلى تعبير (كالعاشق الذى يرى حبيبته المفقودة فى المنام) و أحياناً تتغير إلى أخرى و بهذه الحالة تحتاج إلى تعبير، و بناءاً على هذا فالرؤيا إنّما ترتبط دائماً بالماضى و ليس لها من صلة بالمستقبل لتخبر عنه، و هى وسيلة ممتازة للإطلاع على اللاشعور، و من هنا يعتمد عليها فى عالج الأمراض الروحية التى تستند إلى كشف اللاشعور عن طريق تنويم المريض، ويعتقد بعض علماء الأغذية أنّ هناك علاقة بين الرؤيا و الحاجة البدنية للغذاء، فيرون مثلًا أنّ الإنسان إذا رأى فى المنام أنّ الدم يخرج من أسنانه فمعنى ذلك قلّة فيتامين «*» فى بدنه و إن رأى مشيب شعر رأسه فهو يعانى من نقص فيتامين «*». *** و أمّا فلاسفة الروح فلهم تفسير آخر للرؤيا و النوم حيث يرون النوم و الرؤيا على أقسام: ۱- النوم الرؤيا المتعلقة بماضى الإنسان و رغباته و آماله و التى تشكل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۸ القسم المهم من رؤى الإنسان. ۲- النوم المضطرب و المبهم المعلول لفعالية الوهم و الخيال (و إن أمكن أن يكون له دوافع روحية). ۳- النوم والرؤيا ذات الصلة بالمستقبل و المدّلة عليه. لاشك أنّ الرؤيا و الأحلام المرتبطة بالماضى و تجسم المشاهد التى رآها الإنسان طيلة حياته ممّا لا تحتاج إلى تعبير خاص، و كذلك الرؤيا المضطربة و التى يصطلح عليها بأضغاث الأحلام التى تفرزها الأفكار القلقة و على غرار الأفكار التى تسيطر على الإنسان حين إرتفاع الحمى و الهذيان هى الأخرى ليس لها من تعبير خاص بالنسبة لمسائل الحياة المستقبلة، و إن إعتبرها علماء النفس نافذة للتعرف على اللاشعور و الاستفادة منها كعلاج لبعض الأمراض النفسية، و عليه فتعبير الرؤيا يهدف إلى كشف أسرار النفس و التعرف على علل الأمراض، لامن أجل الحوادث المستقبلة. و أمّا الأحلام المتعلقة بالمستقبل فهى على قسمين؛ قسم صريح و واضح لايحتاج إلى تعبير بأى حال من الأحوال و قد يتحقق أحياناً و باللعجب فى المستقبل القريب أو البعيد دون أدنى إختلاف، و قسم آخر يتحدث عن حوادث المستقبل لكنّه يحتاج إلى تعبير حيث يطرأ عليه التغيير بسبب بعض العوامل الذهنية و الروحية الخاصة. و لكل قسم نماذج كثيرة لايمكن إنكارها جميعاً، و بالطبع لم يقتصر ذكر هذه النماذج على المصادر الدينية و الكتب التأريخية، بل حدثت كراراً فى حياتنا الخاصة أو حياة الأفراد من معارفنا بحيث لا يمكن نسبتها جميعاً إلى الصدفة. و نورد هنا بعض النماذج التى تزيح الستار بصورة عجيبة عن المستقبل المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۸۹ وقد سمعناها من أفراد لا نشك أبداً فى وثوقهم: ۱- نقل أحد العلماء و الثقاة المعروفين فى همدان المرحوم الميرزا عبد النبى و الذى كان من كبار أعلام طهران قائلًا: حين كنت فى سامراء كان يبعث إلىَّ كل سنة بمبلغ مئة تومان من «المازندران»، فكنت أستدين بعض المبالغ لقضاء الحاجة على أساس المبلغ المذكور، فاذا وصل ذلك المبلغ سارعت إلى تسديد الديون، ذات سنة أخبرت بأنّ وضع المحاصيل هذه السنة سيىء للغاية و عليه فسوف لن يبعث لى بذلك المبلغ، فشعرت بالإنزعاج والإمتعاظ حتى نمت كذلك، فرأيت رسول اللّه صلى الله عليه و آله فى المنام فنادانى قائلًا: فلان قم و افتح باب تلك الخزانة (و أشار إلى خزانة كانت فى البيت) فإنّ فيها مئة تومان. نهضت من النوم، و لم تمض مدّة حتى دق الباب، كان الرجل مبعوث المرحوم الميرزا الشيرازى المرجع الشيعى الكبير فقال: الميرزا يريدك، فتعجبت ما الذى جعل ذلك الرجل العظيم يطلبنى الآن، فذهبت إليه و كان جالساً فى غرفته، و كنت قد نسيت الرؤيا، فقال لى المرحوم الشيرازى: الميرزا عبد النبى إفتح تلك الخزانة فإنّ فيها مئة توماً فخذها! فتذكرت فوراً الرؤيا و أنا مذهول ممّا أشاهد، أردت أن أقول شيئاً، شعرت بعدم رغبته فى سماع شىء بهذا الشأن، فتناولت المبلغ و خرجت. ۲- نقل صديق ثقة أنّه كان لكاتب «ريحانة الأدب» المرحوم التبريزى ولد ويبدو أن يده اليمنى كانت مصابة بالروماتيز (التهاب المفاصل) بحيث كان يشق عليه الإمساك بالقلم فتقرر أن يذهب إلى ألمانيا ليتلقى العلاج. قال: كنت فى السفينة، و لما نمت رأيت فى المنام أنّ أمى قد توفت، ففتحت دفتر المذكرات و كتبت فيه اليوم و الساعة لتلك الحادثة، و بعد المعاد و عالم

الاخرة، ص: ۱۹۰ مدّتی عدت إلی إیران لأری طائفهٔ من أقربائی الذی أتوا لإستقبالی و قد إرتدوا الملابس السوداء، فتعجبت و کنت قد نسیت تلک الرؤیا تماماً، أخبرونی بالتالی أنّ أمی قد فارقت الحیاهٔ، و هنا تذکرت الرؤیا، و لما فتحت‌الدفتر و سألت عن یوم الوفاهٔ کان کما دونت فی الدفتر. ۳- نقل أحد الثقاهٔ أنّه إشتری قرب قزوین أرضاً بائرهٔ واسعهٔ بثمن غال جدّاً بحیث لامه جمیع الأصدقاء علی أنّه إرتکب خطأ فاحشاً، فلیس هنالک من أمل فی تهیئهٔ الماء لتلک الأرض، و قد بذل مساعیه و استشار هذا و ذاک من المهندسین من أجل حفر بئر و الحصول علی الماء، إلّاأنّه لم یحصل علی نتیجهٔ. فأثّر علیه ذلک تأثیراً کبیراً، لکنه کان نشطاً مکافحاً و لا یکف عن السعی، إلّاأنّه یأس بعد کل ذلک حتی نام لیلهٔ فرأی فی المنام أنّه یتجول فی تلک الأرض من أجل العثور علی الماء، و فجأهٔ بلغ نقطهٔ کان ینبع منها الماء، فلما نهض من نومه و أصبح الصباح إنطلق إلی تلک النقطهٔ التی رآها فی المنام، فأمر بحفرها، ولم تمر مدّهٔ علی الحفر حتی نبع منها الماء الوفیر. ۴- کتب الکاتب الإسلامی المعروف سید قطب صاحب تفسیر فی ظلال القرآن فی تفسیره للآیات المرتبطهٔ بسورهٔ یوسف أنّه لو إستطاع إنکار کل ما قیل فی الأحلام لما وسعه أن ینکر ماحدث له حین کان فی أمریکا، فقد رأی فی المنام أنّ نزیفاً دمویاً قد أصاب عینی بنت أخته (و قد کانت حینها فی مصر) بحیث لم تعد تری الأشیاء، فاستیقظ من النوم مذعوراً و کتب رسالهٔ إلی أهله فی مصر و قد سأل بالذات عن وضع عینی بنت أخته، فلم تمض مدّهٔ حتی أتاه الجواب أنّها أصیبت بنزف داخلی ولا تقدر علی الرؤیهٔ و هی الآن تتلقی العلاج. المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۹۱ ثم یستطرد قائلًا: جدیر بالذکر أنّ النزف الداخلی کان لا یمکن مشاهدته بالعین المجرّدهٔ، و لایتسنی ذلک إلّامن خلال الوسائل الطبیهٔ. علی کل حال فقد حرمت من البصر، و قد شاهدت حتی هذا النزف الداخلی فی المنام بشکل واضح. *** و الحق أنّ الأحلام التی أشارت إلی الحقائق المرتبطهٔ بالمستقبل والحقائق الخفیهٔ المتعلقهٔ بالحاضر و التی أزالت الستار عن بعض الحوادث لأعظم و أکبر من أن یفکر البعض بإنکارها، أو حتی حملها علی الصدفهٔ ولکل أن یقف علی ذلک من خلال التعرف علی بعض النماذج التی تعرض لها ممن حوله من الأصدقاء. إنّ مثل هذه الأحلام لا یمکن تفسیرها علی أساس النظریهٔ المادیهٔ، ولایمکن تفسیرها إلّاعلی ضوء ما أورده فلاسفهٔ الروح و من یعتقد بإستقلالها، وبناءاً علی ذلک یمکن الاستفادهٔ من مجموع هذه الأمور بصفتها شاهداً علی‌إستقلال الروح.

۴ و ۵- الأعمال المذهلهٔ للمرتاضین

اشارهٔ

الطریق الرابع و الخامس من الطرق التجریبهٔ لإثبات إستقلال الروح قضیهٔ إنتقال الأفکار و لاسیّما من الطرق البعیدهٔ، و هذا هو الشیء الذی یصطلح علیه الیوم باسم «الحاسهٔ السادسهٔ». حیث یقوم شخصان ممن لهم إستعداد روحی کافی و بعد عدهٔ تمارین بالتحدث إلی بعضهما البعض من بعید دون الاستفادهٔ من أیهٔ وسائل، کما یقرأ کل منهما أفکار الآخر، و قد یحصل هذا الأمر فی جلسهٔ أو منطقهٔ أو منطقتان نائیتان. المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۱۹۲ کثیراً مایشعر الآباء و الأمهات و الأقرباء و الأصدقاء المقربین بحالهٔ من‌القلق و الاضطراب دون أن یعرفوا السبب الذی یقف وراء ذلک، فلا تمضی مدّهٔ حتی یتبیّن أن حادثهٔ مأساویهٔ وقعت لفرد یحبّونه و کأنّهم تحسسوا ذلک من بعید وقد إتصلت القلوب مع بعضها لتخبر بتلک الحادثهٔ. و قد نقل «فلا ماریون» العالم الفلکی المعروف فی کتاب «أسرار الموت» نماذج کثیرهٔ بهذا الخصوص عن عدّهٔ أفراد و فی مختلف نقاط العالم، و لو فرضنا أنّ بعضها کان مصادفهٔ أو خیال أو سذاجهٔ، لکن هل یمکننا إنکارها جمیعاً. فهل یمکن تبریر قضیهٔ إنتقال الفکر عن طریق التفاسیر المادیهٔ للروح؟ و إذا إعتبرنا الفکر ظاهرهٔ مادیهٔ صرفهٔ، فکیف یمکن أن ینتقل بهذه الصورهٔ دون الاستفادهٔ من الوسائل المادیهٔ حتی أنّ مسألهٔ الزمان و المکان لیست مطروحهٔ بهذا الشأن. *** یقوم المرتاضون و استناداً إلی قوّهٔ الإرادهٔ و دون اللجوء إلی الوسائل بتحریک بعض الأجسام فی الهواء أو

إيقافها عن الحركة، كما يكتفون بنظرة واحدة لإعوجاج فلز أو كسره (حيث ذكرت الصحف أخيراً نماذج من ذلك، حيث قام شاب مرتاض في إنجلترا و بحضور عدد من الصحفيين والمراسلين و أمام العديد من الأفراد بثني الأشياء الفلزية، بل كان يقوم بذلك العمل في العديد من البلدان و كان المراسلون يتناقلون ذلك). أو يضعون مرتاضاً لمدّة أسبوع في تابوت ثم يدفنونه تحت التراب و بعد المدّة المذكورة يخرجونه و يعملون له تنفساً إصطناعيا فيعود تدريجياً إلى حالته الطبيعية، و قد ذكروا أحد نماذج ذلك في الصحافة حيث قام بذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۳ المرتاض «هاريك لوس» في إحدى المدن الهندية أمام الحاكم الإنجليزي «كلوديوس فايدو». فقد جعلوه في تابوت و أقفلوه ثم دفنوه تحت التراب وأوكلوا من يحرسه ليل نهار و قد حضر عند قبره الآلاف من صحبه و أتباعه وهم يشاهدون ذلك المنظر العجيب، و بعد مدّة أخرجوه و قد بدا بدنه ذابلًا وجلده ميتاً بحيث لا تشاهد فيه آثار الحياة، ثم أخذوا يرشّون عليه الماء الحار شيئاً فشيئاً و عملوا له تنفساً إصطناعياً حتى عاد إلى وضعه، فكيف نفس هذه القضية و سابقاتها إن إعتبرنا الروح من الخواص الفيزيائية والكيميائية الصرفة لخلايا الدماغ، و هل للخواص الفيزيائية و الكيميائية لخلايا الدماغ القدرة على حركة جسم أو ثني فلز و ما شابه ذلك من الأفعال العجيبة؟

النتيجة

النتيجة التي يمكن أنّ نخلص إليها من مجموع الأبحاث ذات الصلة باستقلال الروح بما فيها الأدلة العلمية و التجريبية هي أنّ الروح حقيقة فوق المادة، و عليه فليس لخواص المادة من قبيل الفناء و العدم و التآكل من سبيل إليها، و هكذا فهي تستطيع البقاء بعد فناء البدن. و إثبات بقاء الروح بعد الفناء و إن تفاوت مع مسألة المعاد و القيامة، ولكن مع ذلك فهو خطوة باتجاه القيامة و العالم الأبدي الذي يعقب الموت، و سيكون ردّاً على اولئك الذين يرون الموت آخر مراحل الوجود الإنساني ونقطة زواله وفنائه، و يعتقدون أنّ الإنسان حين يموت يعود إلى عالم ميت فتضيع ذرات وجوده في طيات التراب و الماء و الهواء و ينتهي كل شيء!***

ملاحظة مهمّة

هل من تلازم بين إثبات القيامة و عالم ما بعد الموت و إستقلال الروح؟ و إن أنكرنا إستقلال الروح و اعتبرناها من الخواص الصرفة للمادة، فهل تبقى مسألة المعاد ثابتة؟ لابدّ من القول صراحة الإجابة على هذا السؤال: إنّ إثبات إستقلال الروح وكونها ليست مادية و إنّه كانت خطوة عريضة باتجاه إثبات المعاد و الحياة بعد الموت، لكن مع ذلك لا مانع أن يقول بالقيامة و الحياة بعد الموت الأفراد الذين ينظرون إلى الروح على أساس النزعة المادية و يرون الروح مادية، بحيث يقولون: إذا مات الإنسان تلاشى بدنه و الروح أيضاً التي من خواص المادة تزول أيضا، إلّاأنّ الذرات تبقى في الهواء، و حين القيامة تتجمع هذه الذرات بالضبط كما كانت متفرقة في بداية حياة هذه الدنيا ثم إتصلت مع بعضها بفعل بعض العوامل، فسوف تتجمع تلك الذرات في ذلك اليوم و تعيد وجودناً من جديد وستلتحق بنا أعمالنا التي بقيت في هذه الدنيا على هيئة طاقة. و إذا تذكرون فقد قلنا سابقاً: أنّ أغلب الفاكهة و الثمار و النباتات والبذور والحبوب يمكن أن تكون أصبحت تراباً عدّة مرّات ثم عادت إلى وضعها الأصلي، مثلًا فاكهة شجرة تنفصل عن الغصن بعد نضجها و تقع على الأرض، ثم تتعفن وتتحلل و تتحول بعد ذلك إلى مواد غذائية مؤثرة تمتصها الأشجار عن طريق الجذور فتطوى المسار السابق و تظهر بشكل فاكهة، وهذا في الحقيقة نوع من الحياة بعد الموت و نموذج مصغّر للمعاد، و الحال نعلم أن ليس للفاكهة والحبوب من روح، و بناءاً على هذا فإثبات المعاد لايعتمد إلزاماً على مسألة إثبات الروح، و إن كان إستقلال الروح قطعياً على المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۵ ضوء الأدلة المذكورة. و الجدير بالذكر أنّ الآيات القرآنية المتعلقة بأبحاث المعاد قلّما ركزت على مسألة

الروح و بقائها، و يبدو أن علة ذلك هو أننا نستطيع إثبات المعاد دون إثبات بقاء الروح.

بقاء الروح فى القرآن

لا- ينبغى الإلتباس إنّنا نريد القول بأنّ القرآن لم يتطرق إلى مسألة الروح وبقائها، بل نريد أن نقول أنّه لم يوقف إثبات المعاد عليها، فهناك عدّة آيات فى القرآن أشارت صراحة أو تلميحاً إلى بقاء الروح و إستقلالها و عدم فنائها بفناء البدن، و من ذلک ما ورد فى الآية ۱۷۰ من سورة آل عمران بشأن الشهداء فى سبيل اللّه: «وَ لَاتَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فى سَبْيلِ اللَّهِ امْوَاتاً بَلْ احْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتيهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالّذينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ الّا خَوْفٌ عَلَيهُم وَ لَاهُمْ يَحْزَنُونَ». فالآية صريحة فى بقاء أرواح الشهداء، و نعلم أنّ هذا الحكم لا-يختص بالشهداء فى سبيل اللّه، و ذلک لعدم وجود الفارق بين روح هؤلاء و الآخرين من حيث المادية و عدمها، و إن إقتصر الذكر عليهم فذلک لأنّ الكلام كان بشأن وضع الشهداء من قبل الناس (كما يستفاد ذلک من سبب نزول الآية). كما ورد فى الآية ۴۶ من سورة المؤمن: «النَّارُ يُعْرَضونَ عَلَيْهَا غُدُواً وَعَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ ادْخِلُوا آلَ فِرْعَونَ اشَدَّ الْعَذابِ». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۶ هذه الآية أيضا و إن كانت فى آل فرعون، إلّاأنّ المسلّم به أنّها لا تختص بهذه الحفنة من الظلمة و الآثمة، و عليه فالآيتان تفيدان أنّ لأرواح المحسنين و المسيئين بعد الموت الحياة برزخية، و لذلک فهى من الأدلة على إستقلال الروح. و يستفاد من الآية القرآنية: «قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَکُ الْمُوتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ» «۱» و سائر الآيات المشابهة كالآية ۵۰ من سورة الانفال و الآية ۴۲ من سورة ۷ الزمر والآية ۳۶ من سورة يونس و غيرها أنّ فى الوجود الإنسانى شىء يؤخذ منه عند موت الجسم حيث عبرت عن الموت بالأخذ، و هذا يدل على عدم فناء الإنسان كلياً بموت الجسم حيث يبقى منه شىء، فالتعبيرات إشارة لطيفة إلى بقاء الروح.***

المعاد الجسمى و الروحى

اشارة

هل الحياة بعد الموت تقتصر على الجانب الروحى؟ يعنى الجسم ينفصل عنّا دائماً حين الموت و الحياة الخالدة تتعلق بالروح فقط؟ أم يحصل المعادبالنسبة إلى الجانبين فيعود الجسم و الروح معاً؟ أم للمعاد بعد روحى و شبه جسمى، أى تعود الروح و يعود الجسم، لكن‌لا هذا الجسم المادى الاعتيادى، بل يعود جسم لطيف يفوق هذا الجسموهو عصارته. أم أنّ المعاد جسمانى فقط، و هذه عقيدة الأفراد الذين لايقولون باستقلال الروح و يرونها من آثار و خواص هذا الجسم. لكل من هذه النظريات الأربع أتباعها.

النظرية الأولى: المعاد الروحى

أغلب فلاسفة القدماء هم من أنصار هذه العقيدة و يزعمون أنّ الروح تنفصل للأبد عن البدن حين الموت و تبقى فى عالم الأرواح، و بناءاً على ذلک فإنّ مسألة المعاد لا تنطوى على مفهوم فليس هناک من عودة، بل تواصل الروح بقائها، إنّهم يعتقدون كما أنّ الفرخ يحتاج إلى مدّة يقضيها المعاد و عالم الاخرة، ص: ۱۹۸ داخل البيضة وكذلک الجنين فى بطن أمّه، فإن طوى مسيرته التكاملية وإنفصل عنه، فإنّه لن يعود إليه أبداً، لا الفرخ إلى داخل البيضة و لا الجنين بعدالولادة إلى رحم الأم، و الإنسان كذلک و بناءاً على هذا فإنّ لجميع الثواب‌والعقاب واللذة و الألم بُعد روحى فى العالم الآخر بعد الموت.

النظرية الثانية: المعاد الجسمانى و الروحانى

و هو الرأى الـذى إختاره طائفة من العلماء و الفلاسـفة القدماء والمعاصـرين و كما سـنرى لاحقاً- قد أيدت الآيات القرآنية هذا الرأى فى أنّالأجزاء المتناثرة من البدن ستجمع يوم القيامة و تجدد و تكتسب الحياة، طبعاً على مستوى أرفع وفى عالم و حياة أسمى.

النظرية الثالثة: المعاد الروحى و شبه الجسمى

يرى بعض الفلاسـفة القـدماء و الروحانيين أن لا عودة لهـذا الجسمالمادى والعنصـرى، فإن إنفصـلت الروح عن البـدن قرّت فى جسـم لطيف فعّال للغايـة من حيث الزمان و المكان و حتى قادر على إجتياز الموانع و ليس للفناء و الفساد من سبيل إليه، و به تواصل حياتها الخالدة. و فى الحقيقة إنّ هذا الجسم ليس كالمادة، بل يشـبه الأمواج، و لكن حيث يشـبه هذا الجسم من بعض الجوانب و يعتبر شبحاً منه فقد إصطلحوا عليه باسم «الجسم المثالى».

النظرية الرابعة: المعاد جسمانى فقط

اشارة

و هو رأى بعض قـدماء العلمـاء و المعاصـرين، الـذين يعتقـدون بأنّنا إن متنا المعاد و عالم الاخرة، ص: ١٩٩ إنتهى كل شـىء، بالضبط كالمولـد الكهربـائى الـذى ينتهى فتنفـد طاقته وتزول مادته، و حين القيامـة تجمع الأجزاء المتلاشـية لهـذا المولـد الكهربائى أى بـدن الإنسـان و تلحق مع بعضـها و تكتسب صـبغة الحياة و بالطبع فإنّ الروح بفضـلها من آثارها و خواصـها كالطاقـة بالنسـبة لـذلك المولد الكهربائى تعودإليها.

الإسلام و المعاد

سنتنـاول فى البدايـة رأى الإسـلام بهـذه المسألـة ثم نورد الأدلـة العقليـة بهـذا الخصوص. طبعـاً يعتبر القرآن من أهم المصادر بالنسـبة للمسائـل الإسـلامية، فهـذاالكتاب السـماوى تحـدث فى أكثر من موقع عن المعـاد الجسـمانى (طبعاًالمقرون بالمعاد الروحانى) و أدنى معرفـة بالآيات القرآنيـة تكفى لنفى إقتصارالمعاد على المعاد الروحانى، لأنّ- كما بيّنا ذلك بالتفصـيل فى صـدر هذاالكتاب- القرآن بهدف تقريب المعاد إلى أذهان المنكرين قد ضرب أمثالًارائعة للردّ على إيرادتهم و هى ممزوجة بنوع من الإستدلال الحى، حيثأراد تجسـيد قضـية المعاد و القيامـة إلى حـدّ المشاهـدة و الإحساس لـدىالناس، و لذلك فإنّ جميع هذه الأمثلة و التشبيهات القرآنية بشأن المعادإنّما تؤيـد المعاد الجسـمانى. فأحياناً يدعو الناس إلى مشاهدة تكرار عملية الموت و الحياة فى عالمالنباتات و كيف تكرر قضـية المعاد كل سـنة أمام الأعين. فالأرض تتجه فى فصل الخريف تدريجياً نحو الموت، تكتسب الزهوروالأغصان و النباتات صبغة الموت، و تموت فى الشـتاء، إلّاأنّها تسـتعيد المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٠٠ الحياة من جديـد حين يداعبها نسـيم الربيع و تتساقط عليها قطرات المطر (و قـد أوردنا الآيات المتعلقـة بـذلك فى بدايـة الكتاب)، فهل يفيـد هذا سوىالمعاد الجسـمانى؟ أحياناً يشـير القرآن إلى بداية الخلق فيصـرّح بأنّ الذىخلقكم أول مرة سـيعيدكم بعد الموت تارة أخرى. فمن البديهى أنّ هذا التشبيه لأجل إثبات المعاد الجسمانى و إلّافإنّبقـاء الروح بعـد فنـاء الجسم ليس له أى إرتباط بهـذا التشبيه. أضف إلى ذلك فإنّ أبحاث القرآن بشأن معاد الطاقـة الـذى مرّ عليناتفصـيله فى أول الكتاب و قصة أصحاب الكهف أو سائر القصص كقصةإبراهيم مع الطيور و مجيئ ذلك الإعرابى إلى رسول اللَّه صلى الله عليه و آله و هو يمسـکبعظم و يسأل عن كيفيـة إفاضـة الحياة عليه و الإجابـة التى أوردها القرآن فىسورة يس و التى مرّت علينا فى بداية الكتاب، إنّما ترتبط جميعاً بالمعادالجسمانى، و إلّاليست هناك من مناسبة للمعاد الروحانى دون الجسمانىبهذه الأبحاث (عليك بالدقّة). والجـدير بالذكر إنّ عرب الجاهلية كانت تعتقد ببقاء الروح، و الذى أثار دهشة الإعرابى و دفعه للإنكار مسألة المعاد

الجسـمانی و عودهٔ هـذا الجسـد إلی الحیاهٔ بعـد الموت، و لـذلک قال القرآن علی لسانهم: «ایَعِدُکُمْ انَّکَمْ اذَا مِتُّم وَ کُنْتُمْ تُراباً وَ عِظاماً انَّکُمْ مُخْرَجُونَ» «۱». و قـال فی موضع آخر: «وَ قَالُوا ءَاذَا ضَـلَلْنَا فی الأَرْضِ أَءِنَّا لَفی خَلْقٍ جَدِیـدٍ» «۲». و قـال: «وَ قَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا هَلْ نَـدُلُّکُمْ عَلَی رَجُلٍ یُنَبِّئُکُمْ اذَا مُزِّقْتُمْ کُلَ المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۲۰۱ مُمَزِّقٍ انَّکُمْ لَفی خَلْقٍ جَدِیـدٍ* افْتَری عَلَی اللَّهِ کَذِباً امْ بِهِ جِنَّهٔ بَلِ الَّذِینَ لَایُؤْمِنونَ بِالآخِرهِْ فی الْعَذابِ وَ الضَّلالِ الْبَعِید» «۱». فالذی یستفاد من کل هذه الآیات أنّ رسول اللَّه صلی الله علیه و آله کان یتحـدث عن عودهٔ الجسم و المعاد الجسـمانی و لـذلک کان یتعجب المخالفون فکان القرآن یرد علیهم و یقول: «اللَّهُ یَبْـدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعیدُهُ ثُمَّ الَیهِ تُرجَعُونَ» «۲». و خلاصهٔ القول فإنّ الف باء المعاد فی القرآن الکریم هو المعاد الجسـمانی- العنصری و أنّ مَن یُوجه أو الأصـح «یُحرف» کل هـذه الآیات الحاکیهٔ عن المعاد الجسـمانی و یفسـرها بالجسم المثالی و ماشابه ذلک فلا یروم سوی التملص عن الحقائق!

المعاد الجسمانی علی ضوء العقل

اتضـح تماماً من الأبحاث السابقـهٔ أنّ القرآن الکریم إنّما أراد «المعاد الجسـمانی» فی کل موضع تعرض فیه لمسألهٔ المعاد، و قلّما نجد فی محیـط نزول القرآن من أنکر «المعـاد الروحـانی فقـط»، و من هنا فإنّ الرهبـهٔ التی أصابت العرب الجاهلیـهٔ من طرح القرآن لقضـیهٔ المعاد إنّما تعود لبعده الجسمانی. و الآن لابدّ أن نری هل للعقل من دلیل یؤید هذا الکلام؟ یقول العقل: إنّ الروح و البدن حقیقتان لا تنفصـلان عن بعضـهما، بل هما متصلتان تماماً، فهما معاً کلزوم «المادهٔ» لملزومها «الطاقهٔ»، فهما یتکاملان معاً، و علیه فاستمرار بقاء أی منهما (لمدّهٔ طویلهٔ) لیس بممکن، هذا من جانب. المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۲۰۲ و من جانب آخر فکما أنّ جسم إنسانین لایتشابهان قـط من جمیع الجهـات، و بشـهادهٔ التحقیقـات الواسـعهٔ التی تمت بشـأن الأـفراد فـإنّه لاـ یتشـابه فردان حتی فی بنانهما، فإنّ روحین لا تتشابهان أبـداً، و کما أنّ الجسم ناقص بـدون الروح فإنّ الروح تنقص دون الجسم، و إن إنفصـلا عن بعضـهما فی عالم البرزخ (العالم الفاصل بین الدنیا و الآخرهٔ) فانّه إنفصال مؤقت تکون فعالیهٔ الروح فیه محدودهٔ و لذلک لیس للحیاهٔ البرزخیهٔ سعهٔ الحیاهٔ لعالم القیامهٔ أبـداً. بعبـارهٔ أخری الروح آمر و عامـل مؤثر و البـدن مـأمور و وسـیلهٔ العمـل، وکما لا یسـتغنی الآمر عن المأمور و أدوات العمل، فإنّ الروح لاتسـتغنی عن الجسم فی مواصلتها لفعالیاتها، غایهٔ ما هنالک حیث تستقر الروح فی عالم آخر أرفع وأسمی من هذا العالم فلابدّ أن یکون لهـا جسم أکمل و أرفع وسـیکون الأمر کـذلک، علی کل حال فإنّ الجسم و الروح مکملان لبعضـهما، وعلیه فلا یمکن أن یکون المعاد أحادیاً کأن یکون روحانیاً أو جسـمانیاً، وتتضـح هـذه الحقیقهٔ من خلال تأمل وضع ظهور الجسم و الروح. لکن تبقی هنا أربعهٔ إشـکالات أو کما یصورها البعض أربعهٔ مطبات لابدّ من الخوض فیها بالتفصیل و هی: ۱- شبههٔ الآکل و المأکول. ۲- قلّهٔ التربهٔ علی الأرض. ۳- أی جسم یعود، حیث یتبدل جسم الإنسان طیلهٔ عمره. ۴- أین ستقع القیامهٔ و المعاد؟ لأنّ سطح الأرض لا یسعه حشر و نشر کافهٔ الناس. و الآن نسلّط الضوء علی کل واحد من هذه الإشکالات.

الاشکالات الاربعه حول معاد الجسمانی

۱- شبههٔ الآکل و المأکول

اشارهٔ

هـذه من الإشـکالات القدیمهٔ التی أوردت علی المعاد الجسـمانی وخلاصـتها: إفرض أنّ إنساناً حین القحط و المجاعهٔ الشدیدهٔ تغذی علی لحم آخر بحیث أصبـح جزء من بـدن الإنسان الأول أو جمیعه من لحم الإنسان الثانی، فهل سـتنفصل هـذه الأجزاء فی المعاد عن

الإنسان الثانى أم لا؟ فإن كان الجواب بالإيجاب أصبح بـدن الإنسان الثانى ناقصاً، و إن كان الجواب بالسـلب كان بدن الإنسان الأول ناقصاً. أصـلًا ليست هناك من حاجـة لهذه الفرضـية، فهذا الموضوع يجرى دائماً فى الطبيعة حيث يموت الناس و يصـبح بدنهم تراباً و يصبح التراب جزءاً من الأرض ثم يتبدل بعد إمتصاصه من قِبل جذور الاشجار تدريجياً إلى نبات أو ثمرة فيتغذى عليها سائر الناس، أو الحيوانات، بعـد ذلك يتناول الإنسان لحوم هذه الحيوانات. و عليه فأجزاء الأفراد السابقين تصـبح من هذا الطريق جزءاً من بدن الأفراد اللاـحقين. و لاـينبغى لكم أن تتعجبوا إذا ما علمتم بأنّ هـذه التفاحـة التى توضع أمامنا قـد تكون أصـبحت لعشـر مرات جزءاً من بـدن إنسان ثم عادت إلى التراب، وامتصت ثانية من قبل جذور و تحولت إلى تفاحة ثم تناولها إنسان آخر وأصحبت جزءاً من بدنه، و على هذا الأساس فإن كان المعاد جسـمانى تصارعت عشـرة أبدان يوم القيامة على بعض الأجزاء و سـيكون لكل جزء من يدعيه له، فكيف سيكون المعاد جسمانياً؟

إجابة و تحقيق

قلنـا أنّ الإـيراد المـذكور من أقـدام الإـيرادات التى وردت على المعـاد الجسـمانى و قـد أجـاب عليها الفلاسـفة و المتكلمين القـدماء كالخواجة نصـير الدين الطوسـى و العلّامة الحلى و ... كل حسب مبانيه، و أهم جواب طرحه قدماء العلماء على ذلك الإيراد عن طريق «الأجزاء الأصـلية» و «الأجزاء غير الأصـلية». و طبق ذلك فهم يقولون: لبدن الإنسان قسـمان من الأجزاء هى: الأجزاء الأصـلية و الأجزاء الإضافيـة. الأـجزاء الأصـلية هى الأجزاء التى تبقى طيلـة عمر الإنسان فلا تتعوض ولا تفنى و لا تصـبح جزءاً من بـدن إنسان آخر أبـداً، حتى و إن تناولها شـخص آخر فلا تصـبح جزءاً من بـدنه. أمّا الأجزاء الإضافية فهى قابلة للتغيير و التعويض و هى دائماً فى حالة تغيّر و يمكن أن تكون جزءاً من بـدن إنسـان أو حيوان آخر، و هكـذا تحـلّ المشـكلة، يعنى فى يوم القيامـة فـإن الأجزاء الأصـلية لبـدن كل شخص تنمو فى مـدّة قصـيرة كبذور النباتات أو نطفة الإنسان و تصـنع البدن الأصـلى. و السؤال الوحيد الذى يبقى أمام هذا الجواب و الـذى يبـدو بصورة فرضـية مبهمة هو: أى الأجزاء من البدن هى الأصـلية و كيف يمكن تمييزها عن سائر الأجزاء؟ هناك عدّة إجابات على هذا السؤال لعلها تزيل الإبهام و منها: ۱- الأجزاء الأصلية هى «الجينات» الواقعة على الكروموسومات فى وسط نواة الخلايا، و عليه فهـذه الجينات جزء من نواة الخلية الثابتة الوضع طيلة العمر وتشـكل الأجزاء الأصـلية لبدن الإنسان. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۵ ۲- الفقرة الأخيرة فى العمود الفقرى يعنى أسـفل عظم فى هذا العمود هو الجزء الأصـلى لبدن الإنسان حيث لايزول أبداً و لايستقطبه بدن حيوان أو إنسان آخر. ۳- الأجزاء التى لا نعرفها على وجه الدقة، إلّاأنّنا نعلم أنّها موجودة فى بدن الإنسان و خاصـيتها أنّها لا تزول أبداً و لا تنتقل إلى بدن حيوان أو إنسان آخر. لكن أى من هذه الاحتمالات ليس بمقبول من الناحية العلمية لأنّه: الجينات من حيث المواد دائمـة التغيير حيث تتعوض بمرور الزمـان و الباقى والثابت هو خواص الجينات. من جانب آخر، آخر عظم للعمود الفقرى لا يختلف و سـائر العظـام من حيث البنيـة، و الزعم المـذكور ليس مبرهنـاً فى العلوم المعاصـرة، فهـذا العظم كسائر العظام فى حالـة تغير و تبـدل و سيصـبح تراباً بعـد الموت و عليه فيمكن أن ينتقل إلى حيوان أو إنسان آخر. أضف إلى ذلك فإنّ موضوع الأجزاء غير المعروفة الثابتة أشـبه بالفرضـية منه بـالموضوع القطعى، يعنى ليس لـدينا من دليـل على وجود مثل هـذه الأجزاء فى البـدن و إنّنا لا نرى من فارق بين أجزاء البـدن و يفيـد قانون النمو أنّ الكل فى حالـة تغيير و سـيتحول إلى تراب بعد الموت و يمكنه أن يعود إلى بدن حيوان أو إنسان آخر. و بناءاً على هذا فمسألة الأجزاء الأصلية و غير الأصلية مجرّد فرضية يحتاج إثباتها إلى دليل، و للأسف ليس لدينا من دليل. ***

إجابة أوضح

لدينا سبيل أوضح لحل هذا الإشكال و الذى يحتاج شرحه إلى مقدمات لابدّ من تأملها بدقة. «۱» ۱- إنّ بدننا يتغير خلال عمرنا عدّة مرّات، كالمسبح الكبير الذى يرده الماء من قناة صغيرة و يخرج بالتدريج من قناة صغيرة أخرى فبعد مرور مدّة طويلة يتغير كلّه دون أن يشعر به، و كما قلنا فى بحث إستقلال الروح أنّ هذا القانون جارى و لا يستثنى منه أى من خلايا البدن حتى خلايا الدماغ. و يرى البعض أنّ المدّة الزمانية اللازمة لتبدل جميع أجزاء البدن بالأجزاء الجديدة قد تكون سبع أو ثمان سنوات، و هكذا يكون الإنسان الذى له سبعون سنة قد تبدل عشر مرّات منذ بداية عمره إلى نهايته. ۲- كل بدن يتبدل ينقل صفاته إلى الخلايا التى إستبدلته، و من هنا فإن لون بشرة الإنسان و شكله ولون عينيه و سائر مميزاته باقية على حالها طيلة عمره، رغم أنّ مواده قد تكون تغيرت عشر مرات، و ذلك يعزى إلى أنّ الخلايا حين التغير و التبدل تودع خواصها إلى الخلايا الجديدة، و الواقع هو أنّ البدن الإنسانى إلى آخر العمر يشتمل على جميع المميزات و الصفات والكيفيات التى كانت فى البدن السابق، و من هنا يمكن القول: أنّ آخر بدن للإنسان هو عصارة جميع الأبدان طيلة عمره. ۳- ما يفهم بوضوح من الآيات القرآنية إنّ الذى يعاد يوم القيامة آخر بدن للإنسان و الذى يتبدل إلى تراب و له فى الواقع جميع صفات الأبدان المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۷ التى تغيّرت طيلة العمر. فقد ورد فى الآيات القرآنية الثلاث: «فَاذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ» «۱» ، «يَخْرجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرادٍ مُنْتَشِر» «۲» و «يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِراعَاً» «۳» . فالآيات تبيّن أن آخر بدن يعاد يوم القيامة، لأنّ الذى فى القبر ليس سوى تراب آخر بدن. طبعاً هذا إذا دفن البدن، أمّا إذا تبدلت الأبدان مثلًا فى حريق إلى تراب أو فنت بسبب عوامل أخرى فإنّما تعود يوم القيامة ذرات آخر بدن و إن لم يكن هناك من قبر. و قد ورد فى آخر سورة يس بشأن المعاد: «قُلْ يُحْيِيَها الَّذى انْشَاهَا اوَّلَ مَرَّةٍ» «۴» فالآية تفيد أنّ الذى يبعث هو آخر بدن للإنسان، و هنالك عدّة آيات أخرى تؤيد هذه الحقيقة. و عليه نخلص إلى هذه النتيجة: إنّ ما يعود يوم القيامة هو آخر بدن الذى يشتمل على كافة الصفات و الخصائص طيلة العمر. ۴- هل يمكن إتحاد بدنين بصورة تامة؟ و بعبارة أخرى هل يمكن أن يتبدل جميع بدن شخص بفعل التغذية إلى جميع بدن شخص آخر؟ الجواب بالسلب، لأنّ بدن الإنسان يمكنه أن يكون جزءاً من بدن إنسان آخر فقط لا كل بدنه، و دليل ذلك واضح فالشخص الذى يتغذى على آخر كان موجوداً و عن طريق التغذية على بدن الآخر يجعله جزءاً من بدنه لا كل بدنه، صحيح أنّ بدن الشخص الأول يحلّ بصورة كاملة فى بدن الشخص الثانى، لكن الشخص الأول لا يمكن أن يكون تمام الشخص الثانى قط المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۸ وليس له أن يكون جزءاً منه (عليك بالدقّة). نعم لو فرضنا أنّ إنساناً تغذى على بدن آخر لمدّة سبع سنوات بحيث لم يتناول شيئاً غيره بما فى ذلك الماء و الهواء، ففى هذه الحالة سيكون بدن الإنسان الأول جميع بدن الثانى، و لكن واضح أنّ هذا الموضوع ليس أكثر من فرض، و لايمكن لشخص أن يستغنى سبع سنوات عن الماء و الهواء، إضافة إلى أنّ هذا الأمر ليس له عادة صورة خارجية بأن يقتصر غذاء الإنسان على مواد بدن آخر (بغض النظر عن مسألة الماء و الهواء). و النتيجة لايمكن إتحاد بدنين بصورة تامة و من جميع الجهات، بل يمكن البدن أن يكون جزءاً من بدن آخر (عليك بالدقّة أيضاً). ۵- كل خلية من خلايا بدننا تضم جميع شخصيتنا بحيث لو نمت لاستطاعت تشكيل بدننا، و بعبارة أخرى فإنّ كافة خصوصيات بدننا كامنة فى كل خلية، و يتضح هذا الموضوع سيّما بالنظر إلى أبحاث الجينات و أنّ فى نواة كل خلية داخل الكروموسومات ذرات غاية فى الصغر تعرف باسم الجينات التى تحمل كافة صفات الإنسان، و لاينحصر هذا الموضوع ببدننا، بل هو قانون يصدق على جميع الكائنات الحية، و من هنا نرى كيف يكثرون الأشجار حيث يغرسون غصن صغير فى وسط مساعد ثم يتحول تلقائيا إلى شجرة كاملة، و قد أجريت بعض التجارب على الحيوانات البسيطة مثل بعض الدود أنّه إذا قطّعت عدّة قطع فإنّ كل قطعة تتبدل بالتدريج إلى حيوان كامل. و يبدو هذا الموضوع ليس بمستبعد عن الإنسان من الناحية الاصُولية و الكلية، يعنى لو أمكن توفير ظروف مناسبة فإنّ كل خلية من خلايا بدن الإنسان تستطيع بمفردها أن تكوّن إنساناً يشبهه بكل شىء، بل هو نفسه، أو لم نكن يوماً خلية أحادية نمت تصاعدياً حتى تكونت الأعضاء المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۰۹ المختلفة بالتدريج، أو ليست هذه الأعضاء والأجزاء قد ظهرت من إنقسام تلك الخلية الأحادية؟ أى أنّ الخلية الأولى نمت وتحولت إلى خليتين ثم نمت هاتان الخليتان و تحولتا إلى أربع

خلايـا و هكـذا تزايـدت فكونّت جميع عضـلات البـدن، و عليه فكل خليـة يمكنها بمفردها أن تبنى جميع بـدن الإنسان. و أحياناً نرى قطعة قد فصلت من بدن الإنسان بفعل حادثة، و سرعان ما تقوم الخلايا المجاورة لها تملأ مكانها و استعادة ذلك الجزء. ۶- هل تتغير شخصـيتنا من الناحية الجسـمية بزيادة و نقصان و صغر وكبر موادها؟ قطعاً لا. مثلًا كنّا فى اليوم الأول نطفة ذات خلية واحدة، و أصبحنا بعـد عـدّة أسابيع جنيناً يزن عدّة غرامات، ثم يصـبح وزننا بعد أشـهر كيلوين أو ثلاثة كيلو غرامات و يعقب ذلك ولادتنا و يختاروا لنا إسـماً، و لكن لم نكن حين الولادة نزن أكثر من ثلاث كيلوات فإن كبرنا بمرور الزمان قد نصل إلى سـبعين كيلو غرام، و ربّما ضعفت عضـلاتنا و عظامنا فى حياتنا المستقبلية فيهبط وزننا إلى أربعين كيلو غرام. فهل تبـدل هـذه التغييرات شخصـيتنا من الناحية الجسـمية؟ يعنى لم نعـد ذلك الوليـد فى اليوم الأول؟ ذلك الجنين والنطفة الآحادية الخلية، و إن هبط وزننا بفعل المرض و الكهولة فبلغ نصـف الوزن الفعلى، فهل لسـنا ذلك الشـخص السابق؟ ألا توجـد شخصـية واحـدة فى ظل كل هـذه التغييرات و التبدلات؟ الإجابة على هذه الأسـئلة واضـحة و هى: هناك واقعيـة واحدة فى ظل كل هذه التغييرات و التحولات و التى نعبّر عنها باسم زيد أو عمرو أو مسـعود أو فاطمة، و عليه فشخصـيـة الإنسان لا تغيير تبعاً لتغير مادته الجسـمية المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۰ وزيادتها و نقصانها. *** و بعـد أن إتضـحت هذه المقدمات الست نعود إلى أصل البحث لنرى هل تخلق تغذية إنسان على بدن آخر مشـكلة بالنسبة للمعاد الجسمانى أم لا؟ الحقيقة أنّها لا تخلق أية مشـكلة، لأنّ الأجزاء الأجنبية الموجودة فى بدن الإنسان تعود إلى موضـعها الأصـلى يوم القيامة و لا تبقى سوى أجزاء نفس البدن، لأنّه كما قلنا أنّ البدن لايصبح جميع بدن إنسان آخر أبداً، بل يصبح جزءاً منه، و عليه فإن إنفصل منه ستبقى له بعض الأجزاء (عليك بالدقّة). و هـذا مسلّم من أنّ البـدن الثانى إنّما يصـغر و يضـعف بنفس النسبة التى يفقد بها الأجزاء الأجنبية المتناثرة فى جميع البـدن، و لكن واضـح أنّ ذلك لا يخلق مشـكلة، فكما قلنا لو بقيت من البدن الثانى خلية واحدة لأمكنها أن تنمو و تكوّن البدن الأصـلى، فضلًا عن بقاء الكثير من البدن الثانى. و بناءاً على ما سبق فإنّ الأجزاء الباقية من كل بدن مهما كانت قليلة ستنمو و تتكامل يوم القيامـة (فى مدّة زمانية قصـيرة أو طويلة) و تشـكل البدن الأولى وليس هنالك أية مشـكلة تترتب على هذا الأمر فالبدن هو البدن و الشخصـية هى الشخصـية و الصـفات و المشـخصات هى نفس الصـفات و المشـخصات و لذلك سـتكون العينية و الوحدة محفوظة بين البدنين. لعلنا لا نحتاج إلى التذكير بأنّ هذا السبيل لحلّ مشـكلة الآكل و المأكول لا يرتبط بفرضـية الأجزاء الأصلية و غير الأصلية، لأنّ جميع الأجزاء أصلية من وجهة نظرنا وكلّها قابلة لأن تستقطب من البدن الآخر.

سؤال

السؤال الوحيـد الـذى يبقى هنا: على ضوء هـذه النظرية فإنّه يمكن العثور على أجزاء معينة كانت يوماً جزء بدن آثم و بعد تحولها إلى تراب و جزء من النباتات إلى جزء بـدن إنسان صالح، فهل عودة هذه الأجزاء التى كانت يوماً فى مسـير الذنب و آخر فى مسـير الطاعة إلى بدن الأول و هو بدن الآثم ينسجم والعدالة؟

جواب

يتضـح جواب هـذا السؤال من الالتفات إلى نقطـة و هى أنّ الروح هى مركز الآلام و الأوجاع و كـذلك الهدوء و الراحة، و ما الجسم إلّاوسيلة، و لذاإنّ بضّع بدن ميت إلى قطع قطع فأنّه لن يشعر بأى ألم، كما لايشعر بأىوجع لو قطع جسمه حين التخدير، و عليه فالثواب و العقاب يترتبان علىالروح و الجسم وسيلتها، حيث يسـتند الثواب و العقاب و المعصـية إلى الروحو البـدن وسيلتها كـذلك فى هـذا الأمر، و إننا لا نسـتند قط فى مسألة المعادالجسـمانى إلى هذا المطلب فىأنّ البدن الفلانى أذنب أو البدن الفلانىأحسن بل نعتمد هذا

المعنى فى أنّ الروح لايمكن أن تكون لها حياة كاملةدون البدن، و من هنا لابدّ أن تعود الروح إلى جسمها الأصلى و تواصلحياتها الكاملة. و النتيجة هى أنّ وجود أجزاء معينة فى بدنين (بعد حل مشكلة وحدةالشخصية) لايخلق مشكلة من حيث الثواب و العقاب. و هكذا يتبيّن حلّ شبهة الآكل و المأكول التى شغلت أفكار أغلب الأفراد ولعل عدم حلّها جعلهم يترددون فى إقرار مسألة المعاد الجسمانى، أى يمكن الردّ على الإيراد المذكور من خلال قبول المعاد الجسمانى بهذا المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۲ البدن العنصرى المادى كما صرّح بذلك القرآن. (يمكن مطالعة البحث من البداية ثانية لمن بقى لديه شك فىالموضوع).

۲- قلّة التربة على الأرض

اشارة

الإيراد الآخر الذى طرح بشأن المعاد الجسمانى هو لو تقرر أنّ تعود أجساد كافة أفراد بنى الإنسان يوم القيامة بهذا البدن المادى، فإن التراب الذى على الأرض لا يكفى لكل هؤلاء الأفراد، و عليه ستكون لنا مشكلة المواد الأساسية لبناء كل هؤلاء الأفراد! و إن قلنا بأنّ الأفراد سوف لن يكونون بهذه الهيئة الفعلية وسيتبدلون إلى أفراد صغار جدّاً، فانّ هذا الأمر عجيب و لايمكن تصديقه؟

جواب:

يبدو أنّ من يطلق هذا الكلام و يتحدّث عن أزمة التراب اللازم لبناء جميع أفراد البشر إنّما يطلق سهمه فى ظلام دامس و قد خاب سهمه، فما أحرى من يتفوه بذلك أن يتناول ورقة و قلماً و يحسب الأمر بصورة رياضية ليعلم مدى الخطأ الذى يرتكبه فى هذا المجال. يقال أنّ الماء يشكل ۶۵- ۷۰ بالمئة من جسم الإنسان، و عليه فإنّ المواد المعدنية و الآلية لبدن الإنسان تقريباً ثلث وزن بدنه، يعنى الإنسان الذى يزن ستين كيلو غرام تقريباً عشرون كيلواً- أو أقل- من بدنه تراب ومواد معدنية وآلية و الباقى ماء، و الآن نحسب لو كان لدينا متراً مكعباً من التراب فكم عساه يكفى كمواد لبناء بدن الإنسان؟ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۳ سنتوصل بسهولة إلى أنّ هذا المقدار من التراب (المتر المكعب) يكفى لأكثر من مئة شخص، و الآن تستطيع التعرف بسهولة على أنّ الكيلو متر المكعب من التراب يعنى قطعة أرض طولها و عرضها و إرتفاعها ألف متر تكفى لمئة مليارد إنسان- يعنى فى الكيلومتر المكعب مليارد متر مكعب يكفى كل منها لمئة إنسان. و بعبارة أوضح: يمكن لهذا المقدار من التراب أن يكفى لخمس و عشرين ضعفاً من سكان الكرة الأرضية، و هل تصدق أنّ هذا المقدار من التراب يشغل مساحة زهيدة من سطح الكرة الأرضية؟ و إذا تابعنا القضية من حيث الزمان، فمتوسط عمر الإنسان لايتجاوز الخمسين عاماً فاذا ضربنا العدد ۲۵* ۵۰ متوسط عمر كل جيل يكون الناتج ۱۲۵۰ سنة، يعنى يكفى كيلومتر مكعب من التراب لبناء المادة الأصلية لجميع البشر على الكرة الأرضية بمدّة ۱۲۵۰ سنة، و عليه فلو فرضنا أنّ عصر تأريخ الحياة البشرية على الأرض مثلًا كان إثنى عشر ألف و خمسمائة سنة، و نفرض أيضا أنّ أى جزء من بدن إنسان لم يصبح جزءاً من بدن إنسان آخر فإنّ عشرة كيلو مترات مكعبة من التراب تكفى لتشكيل أبدان جميع الأفراد. و إن اعتبرنا طول عمر الإنسان فى الكرة الأرضية مليونين و خمسمائةألف عام و الذى يتأتى من كشف آخر جمجمة و لعله لايمكن الذهاب أبعدمن ذلك، ففى هذه الحالة يكفى ألفى كيلومتر مكعب من التراب لتشكيلأبدان جميع الأفراد طيلة ۰۰۰ /۵۰۰ /۲ عام، و نعلم أنّ هذا المقدار منالتراب لايشغل سوى مساحة صغيرة من الأرض، و النتيجة لو أخذنا بنظر المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۴ الاعتبار مساحة إيران بعمق ألف متر من التراب فانّها تلبى بناء أبدان ملياردات مليارد من أفراد البشر خلال ميلونين و خمسمائة ألف سنة، رغم أنّ بلدنا يشغل زاوية صغيرة من سطح الكرة الأرضية و هذا ما يتضح من أدنى نظرة إلى الخارطة الجغرافية. فيتضح ممّا ذكرنا عدم صحة الزعم القائل بعدم كفاية تراب الكرة الأرضية لتلبية حاجة أبدان جميع أفراد البشرية.

۳- ما الجسم الذی یشمله المعاد؟

اشارة

السؤال الآخر الذی یطرح بشأن المعاد هو: إذا کان المعاد جسمانیاً، فأیبدن من الأبدان التی إکتسبها الإنسان طیلة عمره سیکون المعاد؟ لأنّنا نعلمأنّ البدن و الجسم یتغیر عدّة مرّات طیلة عمر الإنسان، و یحتمل أن تعوضخلایا البدن کل سبع سنوات و تستبدل بخلایا جدیدة. و طبعاً فإنّ هذا التغییر إنّما یتم بصورة تدریجیة و دقیقة بحیث لایبدو محسوساً قط، و الطریف أنّ الخلایا الجدیدة تجتذب جمیع ممیزات وخصوصیات الخلایا القدیمة، أی أنّها تکون بنفس الحجم و الشکل و اللون، أو لیست هی ولیدة وراثة الخلایا القدیمة، فکیف لاتشبهها فی کل شیء؟ علی کل حال فبالنظر لما قیل یبقی سؤال و هو: إنّ الإنسان قد عوّض بدنه عشر مرات خلال سبعین سنة و قد أتی بکل واحد منها أعمالًا حسنة أخری سیئة، فهل یعود بمجموع هذه الأبدان بحیث یصبح هیولا عجیبة؟ أم ببدن واحد منها، و ذلک ترجیح بلا مرجح، أضف إلی ذلک فإن لکل بدن صحیفة أعمال بحیث یمکن أن تکون متفاوتة تماماً مع صحیفة أعمال المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۵ البدن الآخر، أمّا إن کان المعاد روحانیاً فلیست هنالک أیة من هذهالمشکلات.

جواب:

یمکن العثور علی جواب هذا السؤال فی ذات السؤال، فکما ورد فی المتن أنّ کل بدن یجتذب جمیع ممیزات و صفات البدن السابق، و علیه فآخر بدن هو مخزن جمیع الصحف طیلة العمر و هو خلاصة و عصارة لجمیع ممیزات الأبدان السابقة. و لذلک فإنّ عودة و بعث آخر بدن تعنی عودة جمیع الأبدان و بعثها، والجدیر بالذکر هو أنّ الخلایا حین التعویض تجتذب حتی العوارض الإکتسابیة، مثلًا الخال الموجود علی البدن یمکن الّا یفارقه طیلة العمر رغمأنّ الخلایا تتعوض، و هذا مایشیر بوضوح إلی نقل حتی الصفات الإکتسابیةإلی الخلایا الجدیدة. و کما ذکرنا سابقاً فالمفهوم من أغلب الآیات القرآنیةأنّ المعاد یوم القیامة سیکون بآخر بدن، فقد ورد فی الآیة ۵۱ من سورةیس: «وَ نُفِخَ فی الصُّورِ فَاذِاهُمْ مِنَ الَاجْدَاثِ إِلَی رِبِّهِمْ یَنْسِلُونَ» و الآیة ۷ من سورة الحج «وَ انَّ اللَّهَ یَبْعَثُ مَنْ فی الْقُبُورِ». فالذی یستفاد من هذهالآیات وشبیهاتها أنّ المعاد یحصل بآخر بدن، و هذا ما یقتضیه قانونالعقل، لأنّ البدن الذی یکون عصارة و خلاصة جمیع أبدان مدّة العمر هوفی الحقیقة مع الروح دائماً و له سنخیة و تناسب معها فی کل جهات، و لاتستطیع الروح سوی به أن تکتمل، و علیه فلیس هنالک من مشکلة من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۶ هذه الناحیة فی أمر المعاد الجسمانی.

۴- أین تقام القیامة؟

اشارة

السؤال الأخیر الذی یطرح بشأن المعاد الجسمانی و هو إذا أراد أن یعودکافة الناس منذ بدایة الخلیقة إلی الحشر فسوف لن یکون هناک من مکانعلی الأرض یسعهم، و نحن نعلم أنّ الأرض لا تستطیع تلبیة التعداد السکانی فی بعض مناطق العالم، و من هنا هناک مواجهة شدیدة لازدیاد عدد السکان، فاذا أرید تجمع کافة الناس من الماضین و الحاضرین والقادمین فی مکان واحد، فکیف ستکون الحالة مزریة، أمّا إن کان المعاد روحانیاً فلیست هنالک أیة مشکلة حیث لاتوجد مضایقات فی عالم الأرواح.

جواب:

لعل من أورد هـذا الإشـكال غفل عن نقطـة و هى كما ورد صـريحاً فى القرآن فإنّ نهايـة هذا العالم ستشـهد إختلال نظام كرات عالم الوجود: فالشـمس تكوّر و القمر يصـبح مظلماً و الجبال تنسف و تصـبح كـذرات الغبار، ثم يقام عالم جديد على أنقاض هذا العالم و تبـدأ حياة جديـده للناس فى ذلك العالم، و من هنا فليست هنالك من مشـكلة بالنسـبة لصـغر مساحـة الكرةالأرضـية، حيث لن تكون هناك كرة أرضية بهذا الشكل حتى نقلق من قلّةمساحتها، و سنستعرض مستقبلًا بصورة أعمق- إن شاء اللّه- هذا الموضوع.

شهداء المحكمة الكبرى للمعاد

اشارة

والحساب و الكتاب و الميزان القيامـة محكمـة عظيمـة لابدّ أن يحضـرها الجميع دون إسـتثناء و يمثلوااللمحاكمة، ولكن كما ذكرنا أنّ ألفاظنا قـد أبتدعت منذ اليوم الأول بشأنحياتنا اليومية، و لذلك سـيتعذر علينا التحدث بمجرّد أن نخرج عن إطارحياتنا اليومية، لأنّنا لا نجـد الألفاظ التى تبيّن المفاهيم التى سـنتعملمعها! خاصـة بشأن الحياة فى العالم الآخر؛ العالم الذى يختلف تماماًعن هذاالعالم، حيث يفوق بمراتب هـذا العـالم سـمواً و رفعـة، و لا ـينطوى على حياتهالمملـة المتعبـة. بالضـبط كـالتوأمين فى بطن أمّهمـا- فرضاً- يضـعون ألفاظاًمن أجـل قضـاء حاجاتهمـا، فمن البـديهى أنّهمـا حين يلـدان و يريـان أنواعالمشاهـد والمنـاظر و الكائنات و الظواهر و الأفراد و الأشـخاص فليس أمامهمـامن سبيـل سوى التفاهم عن طريق الإشارات و حركـة العيون و الحواجب منأجل إفهام الآخرين ما يريـدان، لأـنّ قاموسـهما فى مرحلـة الجنين قـد لايشـتمل على عشـر مفردات، و الحال يحتاج العالم الواسع الفعلى إلى عشـراتآلاف المفردات للتعامل مع مطالبه و مفاهيمه، فسعة ذلك العالم بالنسبة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۸ لعالمنا كنسبة هذا العالم إلى عالم الجنين، و عليه فليس من العجيب ألّاتسـتطيع الألفـاظ والمفردات التى نتحـدث بهـا فى هـذا العالم أن ترسم لناصورة كاملـة عن شـكل الحياة فى العالم الآخر، فنشـعر بالإعياء و العجز لوصفروعة النعم و عظمة تكامل تلك الحياة، بل يصعب علينا نحن الذين نعيشفى سجن الدنيا حتى تصورهـا. *** على كـل حـال فحين نقول سـيمثل جميع الأـفراد للمحاكمـة فى ذلـك العـالم، فـإن ذلك لايعنى سـتنصب عـدّة طاولاـت فى المحشـر و سـيحمل كـل فرد ملفه صـغيراً كـان أم كبيراً تحت إبطه و يرد مع الشـهود، فيمثل مثلًا بين قضاة و حكام تلك المحكمة الذين يكونون من الملائكة، ثم تبدأ المحاكمة العلنية بعد الإستماع إلى الإفادة و التحقيق و السؤال و الجواب و يهب المتهم للـدفاع عن نفسه ثم يتـداول القضـاة- الملائكـة- الحكم فيصـدرون أحكامهم بتبرأة الأفراد أو إدانتهم، و بعـد إمضاء الحاكم المطلق- الـذات الإلهيـة المقدسـة- للحكم يبلّغ مأمورى إجراء الأحكام الإلهيـة؛ أى ملائكـة الجنّة و النار بتطبيقها، كلا ليس الأمر كذلك أبدا! فهناك تتخذ الألفاظ صبغة و مفهومها آخراً، فهناك شبح للمحكمة إلّاأنّه على مستوى أرفع بالشكل الذى لم نره و نسمعه قط. و إن ورد الكلام عن ميزان الأعمال فهـذا لايعنى وضـعها فى كفـة من ميزان ويضـعون عـدداً من الأثقال فى الكفـة الثانية حتى تحصل حالة التوازن فيعلم الوزن الواقعى، أو إن كـان أكـثر جيىء بميزان ضـخم ليحسب وزن الأعمـال، كلاـ ليس الأـمر كـذلك. قلنـا إنّ الألفـاظ هناك تتخـذ شـكلًا آخر (و لابـدّ أن تكون كـذلك) لأنّ الحـديث عن عالم يختلف تماماً عن عالمنا هـذا. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۱۹ طبعاً لا ينبغى أن تكون هذه الحقيقة وسيلة للتفاسير الخاطئة والمنحرفة ومدعاة إلى نوع من الفوضـى فى الألفاظ المتعلقة بالعالم الآخر، بل لابـدّ من توضـيح مفاهيم هذه الألفاظ فى ظل القرائن الموجودة، من جانب آخر فإن مفاهيم الألفاظ إنّما تتغير بمرور الزمان فى الحياة الدنيويـة: فحين كانت تطلق كلمـة السـراج يراد بها تلك القارورة المملوءة بالزيت و فى فوهتها فتيلـة طويلة يخرج جزء منها للإشـعال و يأخذ الزيت بالإحتراق شيئاً فشـيئاً، و أحياناً توضع عليها مظلة متواضـعة لإحتواء الدخان. أمّا اليوم فتطلق هذه الكلمة و يراد بها المصباح الكهربائى الذى يعلق فى السقف فلا من زيت و لا فتيلة، و لا يحمل من السراج القديم سوى خاصيته فى مكافحة الظلمة، و يصـدق هـذا الكلام على سائر وسائل الحياة القديمـة والجديـدة على أنّ تلك الوسائل و الأدوات تغيرت تماماً، غير أنّ النتيجـة باقية

ثابتـة، فـإن كـان هـذا الاختلاف و التغيير إلى هـذه الدرجـة بشأن زمانين فى هـذا العالم، فما بالك بـذلك العالم الـذى يختلف بكل تفاصيلة عن هـذا العـالم، بحيث إذا لم نحصـل على ألف بـاء آخر لبيـان مفاهيمه فلابـدّ على الأقل أن نفكر فى إسـتعمال ألفاظ أكثر بالنسـبة لنتائجها، طبعاً لا نقول إنّنا نفسّـرها كيفما نشاء ونصـرّح بأنّ لهـذه الألفاظ وضع خاص. و نخوض الآن فى تفسـير هذه المفاهيم بعد تلك المقدمة.

الف – شهداء القيامة

اشارة

تعرض القرآن الكريم على لسان آياته إلى طائفة من شهداء المحشر وهم بالترتيب: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۰ ۱– الذات القدسية المطهرة: «وَ مَاتَكُونُ فى شَأْنٍ وَ مَاتَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرآنٍ وَ لَاتَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ الّا كُنّا عَلَيْكُمْ شُـهُوداً اذْ تُفِيضُونَ فِيْهِ وَ مَا يَعْزَبُ عَنْ ربِّكَ مِنْ مِثْقـالِ ذَرَّةٍ فى الأَـرْضِ وَ لَافى السَّمـاءِ وَ لَاأَصـغَرَ مِنْ ذَلِـكَ وَ لَاأَكْبَرَ الّا فى كِتَابٍ مُبينٍ» «۱». ۲– الأنبيـاء: «فَكَيْفَ اذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ امَّةٍ بِشَـهيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَـهيداً» «۲». ۳– الأعضـاء كالرجـل و اليـد: «يَوْمَ تَشْـهَدُ عَلَيْهِمُ الْسِـنَتُهُمْ وَ أَيْدِيْهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «۳». ۴– الجلود: «وَ قَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَـهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذى أَنْطَقَ كُلَّ شَىءٍ» «۴». ۵– الأرض تشهد على الأعمال: «يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها» «۵». ۶– الملائكة: «وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَ شَهيد» «۶». ***

كيفية هذه الشهادة

يتضـح من خلال عـد اللسان و اليـد و الرجل و أعضاء البـدن و كـذلك الأرض فى عـداد الشـهود، أنّ تلك الشـهادة ليست من قبيل الشهادات البشرية التى لا تتجاوز الكلام و ليست لها أية مطابقة للواقع، فهى شهادة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۱ «عملية» و «أثرية» لا سبيل للكذب إليها. توضـيح ذلك، أحياناً نقول تشـهد عين فلان أنّه لم ينم البارحة! يشـهد شحوب وجهه و لعثمة لسانه أنّه يخشى من شيء! تشـهد نظافته الفائقة لملابسه و داره أنه ينتظر ضـيفاً. فهذه (الشـهادة الطبيعية و العلمية) تفيد أنّها أبلغ و أصدق شـهادة ولايسـمع أحد إنكارها. غالبا ما ينكر المتهم شـهادة جميع الشـهود، ولكن بمجرّد أن يسمعوه كلامه من على شريط أو يروه الصور حين إرتكابه للجريمة يشـعر بإغلاق كافة الطرق بوجهه فلا يملك سوى الإعتراف، و سـبب ذلك هو أن شهادة الشريط و الصورة هى شهادة طبيعية و أثريـة لا يسع أى أحـد التنكر لها، لا ينبغى الغفلـة أنّ روحنا و جسـمنا إرشـيف عجيب لكافة أعمالنا و تصـرفاتنا وأقوالنا طيلة عمرنا، يعنى كما أنّ الغـذاء الذى تناولناه منذ بداية عمرنا لحدّ الآن فى جسـمنا– قد أثرت وأن آثار كل غذاء موجود فى دمنا و خلايا بدننا و فى عظامنـا و شـرايينا و أنّ هـذه الآثار سـتنتقل إلى الخلايا القادمـة حين تغيير هـذه الخلايا و تبـدلها، بحيث لو كان هناك جهاز دقيق يـدرس دمنـا و خلايـا بـدننا لأمكنه إطلاعنـا على جميع الأغذيـة مع تأريخهـا التى تناولناها لحـدّ الآن، كـذلك لكل عمل من أعمالنا إنعكاس فى روحنا و جسـمنا: فللكذب و الخيانة و إنتهاك حق الآخرين و صـفع البرىء و الشـهادة الظالمة، لكل هذه الأمور بصـماتها على روحنـا و جسـمنا و ترسم خطوطـاً تسـهل قراءتها فى محكمـة القيامـة التى تمثل على الظهور و البروز، فكل هـذا من شـهود تلك المحكمة. بالمناسبة لو كان المجتمع يؤمن بمثل هذه الحقائق فكم سيكون مراقباً المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۲ لأعماله و تصرفاته؟ و ما أعظم الآثار التربوية التى سيفرزها هذا الإيمان بمثل هذه القيامة.

ب– الحساب فى تلك المحكمة

يتضـح ممّـا قيـل أنّ هنـاك صـبغة أخرى لمسألـة صـحيفة الأعمـال و الحساب فى محكمـة القيامـة، فوجود المجرمين و الصالحين هو

صحیفة عمل، و هکذا أبواب و نوافذ البیت المسکون کل منها صحیفة، و لاشک أنّ الکتاب الذی یعطی یوم القیامة إلی الصالحین بیمینهم و إلی الطالحین بشمالهم و الذی تحدثت الآیات القرآنیة عن تعذر إنکاره هو من قبیل هذه الصحف الأثریة التی یصعب علینا الیوم حتی تصورها، و من هنا تحل لدینا مشکلة أخری یقول بشأنها القرآن: «وَ اللَّهُ سَرِیعُ الْحِسَابِ» «۱». لأنّ الحساب واضح هناک و هو مجموع آثار الأعمال الحسنة و السیئة فی وجود کل شخص و نتیجتها معلومة واضحة. و لتقریب هذه الحقیقة للذهن یمکن أن نضرب مثلًا بسیطاً فنقول لعل السیارات العادیة قد طوت عدّة طرق کثیرة طیلة عمرها دون أن یستحضرها حتی سائقها فضلًا عن حسابها، ولکن إن أدرنا نظرنا إلی العدّاد فاستطعنا تعیین مقدار الطریق الذی إجتازته و هذه أیضا شهادة أثریة، عادة ما یتخلل الحساب العادی بعض الأخطاء و حتی حسابات الأدمغة الألکترونیة، إلّاأنّ لدینا حساب فی هذا العالم لا یتسلل إلیه الخطأ، مثلًا تضیف الأشجار المقلوعة کل سنة إلی نفسها بعض القشور التی تکشف عن عمرها، و کذلک المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۳ طبقات الثلج، فهذه حسابات لا سبیل للخطأ إلیها، و الحق أنّ حساب یوم القیامة من أرفع أنواع هذه الحسابات.

ج میزان الأعمال

کثر الکلام فی المتون الإسلامیة عن میزان الأعمال و یری البعض أنّ هناک میزاناً کالذی نراه فی هذا العالم، و لذلک تکلّفوا عناء وجوده و ماذایزن. ۱- نفس الأفراد ۲- صحف الأعمال ۳- تجسم الأعمال له وزن و کل ذلک لأنّهم فسّروا المیزان و الوزن علی ضوء المفاهیم العادیة التی‌نتعامل معها فی الحیاة الیومیة و الحال ورد مفهوم أوسع و أجمع له فی‌القرآن الکریم: «وَ السَّماءَ رَفَعَهَا وَ وَضَعَ الْمِیزَانَ» «۱». «وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمْ الْکِتَابِ وَ الْمِیزَانَ» «۲» توضیح ذلک: هناک مع یار لدی کل قوم وملّة لتعیین القیم حیث یمکن القول لهذا المیزان إمکانیة تحدید مصیرها، علی سبیل المثال فمقیاس العلم و العالم فی دنیاه المادة غیر مقیاس مدرسة الأنبیاء و الأولیاء والوحی، فالیوم یطلق العالم علی من یمتلیء دماغه بأکثر عدد من القواعد و المعادلات و له معرفة بطبیعته و أسراره و کیفیة الاستفادة منه و قد قضی المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۴ شطراً من عمره فی الجامعات و المختبرات و تفوق فی الإمتحانات، و لا فرق فی أن یسخر هذا العلم لخدمة البشریة أو لخدمة القنابل و الصواریخ‌العابرة للقارات أو الرؤوس النوویة أو صنع المخدرات، أو الدفاع عن عصابات‌اللصوص الدولیین حین یمثلون فی المحاکم أو فی خدمة المنظمات الإستعماریة و الاقتصادیة العالمیة. بینما تکتسب هذه الکلمة معنی آخر لدی أولیاء اللّه کعلی (ع) الذی یری‌العالم من یقوم علی مصالح الناس و یوظف العلم فی سبیل نجاة البشریةویتحمل هموم الامة و إلّافلیس هو بعالم. «وَ مَاأَخَذَ اللَّهُ عَلَی الْعُلَماءِ الّایُقارُّوا عَلَی کِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لاسَغَبِ مَظْلُومٍ» «۱» . نعم، فمقیاس العلم و الشخصیة و القیم الإنسانیة و السعادة و الشقاء مختلف تماماً بین الشعوب و أقوام، فمحیط عرب الجاهلیة الذی یری الشخصیة فی السلب و النهب و کثرة الأولاد الذکور إنّما ناتجه حفنة من اللصوص بتعدد الزوجات دون حساب، أمّا حین أصبح العلم و الورع والتقوی هو المقیاس بظهور الإسلام فقد تغیّرت الأوضاع کلیاً و ظهرت حصیلة أخری تباین سابقتها. إنّ أحد أهداف رسالات الأنبیاء هو منح الضوابط و المعاییر الواقعیة الصانعة للإنسان، و الآیة ۲۵ من سورة الحدید إشارة إلی هذه الحقیقة، ومن هنا نری المیزان بوسیلة المعیار المعنوی الذی یشبه المیزان الحسی فقط فی النتیجة یعنی تعیین الوزن الواقعی- جدیر بالذکر ورد فی إحدی زیارات أمیرالمؤمنین علی علیه السلام: «السَّلامُ عَلَیْکَ یَا مِیزَانَ الَاعْمَالِ». فهنا یصبح الإنسان الکامل هو المیزان للأعمال ولکل أن یعلم وزنه المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۵ وقیمته علی أساس مدی شباهته به فی الإیمان و العمل و التقوی و العدالةوالشجاعة، فهو میزان دقیق ووسیلة إختباریة تامة و کاملة للقیم الإنسانیة. و نری الیوم بعض الموازین الدقیقة تؤثر علیها حتی حرکة الریح و کتابة کلمة واحدة، و کذلک هناک میزان ضغط الدم و الحرارة و حتی مقدار إستعداد الإنسان و ذکائه، بینما لیس لدینا أی میزان للعمل الصالح والسییء مقدار الإخلاص وحسن النیة و دوافع الأعمال. مثلًا ورد فی روایةأنّ مثل الشرک فی الأمّة أخفی من دبیب حشرة سوداء فی لیلة ظلماء علی‌حجرة صماء. فمن المسلم به أنّ حرکة تلک الحشرة تؤثر علی الحجرة و ینبعث من‌حرکتها علیها صوت مرتفع، إلّاأنّه

زهيد إلى درجة أننا لا نستطيع حسابهبأية وسيلة، فبطريق أولى ليس لدينا من وسيلة لمعرفة نفوذ الأفكارالمنحرفة إلى نيّة الإنسان التى تعتبر أدق و أظرف من سابقتها، لكن منالمفروغ منه أنّ هناك مثل هـذه الوسائل فى العالم الآخر، نعم كل ما نعرفهأنّها موجودة، بينما لا نعلم كيفيتها و خصائصها. ***

الثواب و العقاب

إنّ القراءات غير السليمة لمسألة الثواب و العقاب فى عالم ما بعد الموتجعلها تنطوى على هالة من الإبهام و الغموض، فهنالك عدّة علامات استفهام ونقاط مبهمة بشأن الثواب و العقاب فى القيامة و العالم الآخر، والتى عادة ماتستند إلى التفسيرات الخاطئة للثواب و العقاب. فمثلًا يتساءل البعض: ما تأثير ذنوبنا على اللّه ليؤاخذنا بها و يعاقبنا عليها؟ إنّنا نـذنب لكنّه هو الكبير و القادر و العالم فلماذا يعاقبنا؟ إذن ما الفرق بيننا و بينه؟ فهو الـذى يصفح و يعفو. و بغض النظر عمّا سبق فإن أقصى ما يعمر أعتى الظلمة و أعظم الأثمة لا يزيد على مئة سنة، فما معنى هذا العذاب لملايين السنين و الخلود فيه؟ إنّ فلسفة العقاب لا تتجاوز أحد ثلاث: الاستناد إلى روح الثأر أو من أجل اعتبار الآخرين أو تربية الخاطئين. و لايصح أى من هذه المواضيع الثلاثة بشأن العقاب فى العالم الآخر، فأمّا الثأر و الإنتقام فاللّه منزّه عنه، لأنّ الإنتقام (و خلانا لما يتصور) لا يفيد القدرة، بل هو علامة على ضعف الإنسان و عجزه الروحى، و الانتقام مسكّن للأرواح المجروحة، أو الأصح عامل من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۸ أجل تخدير الأرواح المريضة و العاجزة، وعليه فالعقاب الإلهى لاينطوى علىأى عنصر إنتقام. كما لا ينطوى على «عنصر تربوى» بالنسبة لمرتكب الـذنب أو الآخرين، فمركز التربية هو هذا العالم و ليس هنالك من فرصة فى العالم الآخر، و عليهفإنّ العقوبات فى العالم الآخر ليست مثل القوانين الجزائية و لعقوبات فىعالم الدنيا، فمثل هـذه العقوبات تختزن الجانب التربوى، بينما لا ـ معنى لهفى الحياة الآخرة. *** يمكن الردّ على التساؤلات السابقة من خلال الإلتفات إلى حقيقة و هى أنّ العقاب الاخروى و الجزاء فى القيامة ليس إلّاآثار و نتائج الذنوب والمعاصى فى روح الإنسان و جسمه و كذلك تجسمها. توضيح ذلك: هنالك عدّة آيات قرآنية و روايات إسلامية ذات عبارات رائعة بشأن رابطة هذا العالم بعالم الآخرة يمكنها كشف الإغماض المذكور، مثلًا ورد فى الآية ۲۰ من سورة الشورى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْاخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فى حَرْثِهِ». فالتعبير بالحرث يفيد أنّ الثواب و العقاب فى ذلك العالم ليس سوى نتائج أعمال الإنسان. و ورد فى الآية ۱۵ من سورة الجن: «امَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً». و نخلص من ذلك إلى أنّ النار ليست سوى الصورة الأخرى لأعمال الأفراد، وجاء فى الآية ۳۹ من سورة الصافات: «وَ مَا تُجْزُوْنَ إِلَا مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ». و يفهم من ذلك أنّ الثواب أيضا هو ذات الأعمال و الذى يستفاد من المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۲۹ هذه العبارات أنّ الذى سيلازمنا فى العالم الآخر هو الأعمال الحسنة و السيئة والتى صدرت منّا فى هذا العالم و هى التى ستبلغ بنا التكامل أوالتسافل. فستخرج هـذه الأعمال آنـذاك من خفاياها و تظهرلنا بشكل جديد، فإمّا أن تنير أعماقنا و تشعرنا بالحيوية و النشاط و إمّا أن تحرقنا، على كلحال فهى معنا ولا تفارقنا، فهى أبدية بإذن اللّه كسائر الأشياء فى ذلك العالملايتطرق إليها الفناء و الزوال، و هكذا فمسألة الثواب و العقاب ليست مثلأجرة العمال و معاقبة العبيد، و ليس لها بعد الإنتقام، كما ليس فيها عبرةللمذنبين أو غيرهم، بل هى نوع آخر يمكن التعبير عنه ب «أثر العمل». و الطريف فى الأمر أنّه ورد فى الرواية المعروفة «الدنيا مزرعة الاخرة». وبالإلتفات إلى مفهوم المزرعة يتضح أنّ ما نحصده هناك هو المحصول لبذور الأعمل الحسنة و السيئة التى غرسناها هنا، فلو نثرنا عدّة بذور من الأشواك ورأينا أنفسنا بعد سنوات أمام ميدان واسع مليئى بالشوك و لابدّ لنا من عبوره، فهل نكون قد حصلنا على شيء غير الذى زرعناه؟ و بالعكس لو نثرنا بذور الزهور فى مزارعنا و واجهتنا بعد مدّة حديقة غنّاء مليئة بالزهور و الأوراد ذات الروائح العطرة التى تبعث النشاط و السرور فى قلب الإنسان، فهل تكون سوى نتيجة عملنا؟ فلا فى الحالة الأولى هناك ظلمنا و لا ـ فى الحالة الثانية ما تلقيناه عبثاً دون حساب، و لم نحصل فى الصورتين سوى على نتيجة عملنا (عليك بالدقّة). و الآن نسأل: إذا كانت تلك الأشواك و هذه الزهور خالدة أبدية، تجعلنا نعيش الألم أو اللذة دائماً، فهل هناك من مقصر؟ أم أنّ ذلك ينافى العدل؟

أم لنـا الحق فى الشـكوى إذا فهمنـا الثواب‌و العقـاب على أسـاس ما تقـدم فسوف تزول كل علامات الإسـتفهام (عليك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۰ بالدقّة أيضاً). و سـنتحدث بالتفصـيل عن ذلك فى بحث «الخلود» و «تجسـد الأعمال». *** المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۱

تجسم الأعمال

اشارة

كيف سـتكتسب أعمالنـا فى الآـخرة صـفة الحياة بحيث يتجسم كل عمل بالصورة التى تناسـبه؟ إنّ من بين الخصائص التى يتصف بها ذلك العالم و تميزه عن هـذا العالم‌هو مسألـة تجسم الأعمال، فأقوالنا وأعمالنا فى هـذه الـدنيا التى نعيش فيهاتبدو حركات عابرة ليس لهـا من دوام و بقـاء و عادة ما تمحى و تزول بعـدالظهور، يمكن أن يكون هناك مصور ماهر وعارف بالوقت فيحضـر فى لحظةوقوع الجريمة فيلتقط عدّة صور لجميع مراحل الجريمة أو يسـجّل الأصوات‌بحيث يمنحها بنوع صبغة الدوام، لكن أصل القول و العمل مهما كان حصل‌لعدّة لحظات ثم تم و إنتهى. ولكن نفس هذه الألفاظ و الكلمات و الأعمال الحسـنة و السيئة التى أتينا بها فى هذه الحياة و يبدو أنّها نسيت و زالت و كانت تعتمد علينا فى‌وجودها حتى فى تلك اللحظات، ستظهر يوم القيامة بصيغة موجودات‌مستقلة تبدو فيها جليستنا الأصـلية التى لاتبتعـد عنّا أبـداً. ورد فى الحديث النبوى الشـريف أنّ: «الظُّلْمُ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۲ الْقِيَامَةِ» «۱» .، و أموال اليتـامى تتجسم بصورة نـار: «انَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً انَّما يَأْكُلُونَ فى بُطُونِهِمْ نَاراً» «۲» . كما يكون الإيمان نوراً: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ يَسْعى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِايْمانِهِمْ» «۳». و الخلاصة فإنّ كل عمل سيتجسم بالصورة التى تناسـبه، أحيانـاً تتبـدل الكيفيات العمليـة بكيفيات روحيـة و جسـمية، فمثلًا المرابين الـذين يعثرون بأعمالهم القبيحـة المسـيرة المتوازنة لإقتصـاد المجتمع يعيشون نوعاً من مرض الصـرع بحيث لايسـتطيعون التوازن حين قيامهم من الأرض: «الَّذِيَن يَأْكُلُونَ الرِّبا لَايَقُومُونَ الّا كَمـا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ» «۴». أما الأموال التى إحتكرها الأغنياء و البخلاء و جهـدوا فى جمعها ولم يبـدو أية رحمة تجاه من حولهم من الفقراء و المساكين الـذين يعانون من الجوع و الحرمان، بل حتى هم أنفسـهم لم يسـتفيدوا من تلك الأموال و لم تجلب لهم سوى مسؤولية الحفاظ عليها و الهم و الغم من أجل عدم فقدانها وتشـتتها و بالتالى لم يكن لهم بد من مفارقتها و الإرتحال عنهـا، فـإنّهم سيطوقون بهـا و تكون وبالًـا عليهم: «سَيُطَوَّقُونَ مَابَخِلوُا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَـِةِ» «۵». فإضافـة إلى الإشـارات فى الموارد الخاصـة الماضيـة حول تجسم الأعمال الـذى ورد فى مختلف الآيات القرآنيـة، فهناك إشارة إلى هذا الموضوع فى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۳ عدّة موارد أخرى بصورد حكم كلى و من ذلك: ۱- «وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً» فكل ما يحبّونه انّما هو من صنع أيديهم وحاضر لـديهم من هنـا أردف بقوله: «وَ لايَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَـداً» «۱» . ۲- «وَ بَـدا لَهُمْ سَيِّئاتُ مَـا عَمِلُوا وَ حَـاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْـتَهْزِؤنَ» «۲». ۳- «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ اشْتَاتًا لِيُروَا اعْمالَهُمْ» «۳». ۴- «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـرَّاً يَرَهُ» «۴». فالآية الأخيرة تفيد أنّ الإنسان سيرى نفس العمل لا ثوابه و عقابه وكذلك الآيات السابقة، طبعاً يمكن تفسـير ذلك على أنّه مشاهدة النتيجة وثواب وعقاب العمل أو مشاهدة صـحيفة الأعمال، و لكن يبدو هذا التفسـير خلاف ظاهر الآيات و ليست هناك من قرينة على ذلك. أضـف إلى ذلـك فهنـاك الكثير من الروايات الواردة فى المصادر الإسـلامية والتى تصـدنا عن مثل هـذا التفسـير و ترشـد إلى كيفيـة تجسـم الأعمال الحسنة والسيئة هناك.

هل يمكن تجسم الأعمال؟

المسألـة المهمّـة التى ترد هنا هى: هل تنطبق هـذه المسألـة و الموازين العلمية؟ و تتضح الإجابة على هذا السؤال بعد الإلتفات إلى عدّة

مقدمات مختصرة: ١- نعلم أنّ العالم مركب من «مادة» و «طاقة» و إنّنا نراهما أينما نظرنا فی السموات و الأرض مع بعضهما و يبديان فی صور مختلفة. أمّا المتصور سابقاً هو أنّ هناک حدّاً فاصلًا لا يمكن عبوره بين المادة والطاقة، فالمادة مادة دائماً و الطاقة طاقة كذلك، إلّا أنّنا و بفضل تطور العلوم المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٣۴ الطبيعية قد وقفنا على الأسرار الكامنة فی هذين الأصلين الأساسيين لعالمالخلقة، حيث تبيّنت مدى العلاقة الحميمة بينهما إلى درجة أنّ كل واحدمنهما أب و كذلك إبن الآخر. و أخيراً فقد إنهارت آخر قلعة محكمة للذرة بصفتها الحدّ الأخير لعالمالمادة، حيث إخترقها العلم و التطور التكنولوجی ليتبيّن أنّه ليس فیداخلها سوى الطاقة، و لم تكن هذه المادة سوى طاقة مضغوطة، و هكذاأصبح تحول المادة إلى طاقة أمراً عادياً. و قد أثبتت الأجسام الراديو كتيفية التی تنبعث منها أشعة ذرية فیالحالة العادية و الطبيعية، يعنی أنّ مادتها فی حالة تآكل و إنهيار وتحولإلى طاقة، عدم الحاجة فی كل موضع إلى المفاعلات الذرية القوية بغيةتجزأة الذرة وتحطيم أغطيتها، بل إنّ أغلب ذرات العالم الثقلية فی حالةتجزأ تلقائی- أو بصورة تدريجية و بطيئة- هذا جانب من المسألة. و السؤال المطروح: هل يمكن تبديل الطاقة إلى مادة على غرار تجزأالذرة وتبدلها إلى طاقة، مثلًا يمكن ضغط و فتح السلک المرن فهل يمكنهذا فی عالم الطاقة بحيث يمكن ضغطها و تبديلها إلى مادة، طبعاً- حسبمانعلم- لم يستطع العلم المعاصر القيام بذلک العمل، و لكن لا دليل على نفیذلک أيضاً، فما دامنا أقررنا أن بينهما رابطة حميمة، بل إنّهما و جهان لعلمةواحدة، فمن الممكن تبدل أحدهما إلى الاخر، و عليه فلا مانع من تبديلالطاقة بمادة. ٢- إنّ أعمالنا أشكال مختلفة للطاقة، فكلامنا طاقة صوتية مخلوطة بالطاقات الميكانيكية للسان و الشفة و تستمد العون من الطاقة الخاصة للدماغ. حركاتنا و أفعالنا و أعمالنا الحسنة و السيئة و الظلم و العدل و المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٣۵ الإحسان والبخل و العبادة و الدعاء كلها أشكال أخرى للطاقة الميكانيكية أو الخليط من الطاقة الميكانيكية و الصوتية. و هنا خطأ كبير لابدّ من إجتنابه و هو أنّ الأغلب يتصور بأنّ المواد الغذائية فی بدننا إنّما تتبدل إلى طاقات وحركاتنا و أعمالنا المختلفة، و الحال إنّ هذه خطأ، فالمواد الغذائية لا تتبدل إلى الطاقة قط (تبديل المادة إلى طاقة يختص بتجزأة الذرة أو التشعشعات الذرية فی الأجسام الراديو كتيفية). فما تفسير مايقال من أنّ الغذاء وقود البدن و يتبدل فيه إلى طاقة؟ لا تبدو الإجابة صعبة على هذا السؤال لأنّ فی بدننا ماكنة كسائر المكائن التی تقوم بتحويل الطاقة من شكل إلى آخر، لا أنّ المادة تتبدل إلى طاقة (عليک بالدقّة). *** توضيح ذلک: إنّ كل تحليل أو تركيب كيميائی إمّا أن يحرر طاقة أو يكتسبها، فمثلًا حين نشعل حطباً فانّ الكاربون الموجود فيه يتحد مع اوكسجين الهواء، فتنبعث منه الطاقة الحرارية التی إدخرها فی جوفه خلال سنوات حين القيام بعملية الكربنة دون أن يتبدل شیء من كاربون الأشجار أو اوكسجين الهواء إلى طاقة. و الآن يمكن أن نجعل هذه الطاقة الحرارية تحت قدر من الماء و نبدلها إلى بخار فنستفيد من القوة البخارية لتسيير العجلات، فقد تبدلت هنا الطاقة الحرارية إلى طاقة ميكانيكية و حركية. كما نستطيع عن طريق الضغط ضخ البخار عبر إنبوب لايجاد صوت عظيم، أی تبدلت الطاقة الحرارية إلى طاقة صوتية و كذلک .... المعاد و عالم الاخرة، ص: ٢٣۶ ففی جميع هذه الحالات لم يقل شیء من المادة، بل تغيّر شكل الطاقةالكامنة فی جوف المواد. و يصدق هذا الموضوع على المواد الغذائية فی بدننا، لأنّ المواد الغذائيةفی أبداننا تتحد مع الاوكسجين فتنبعث منها طاقة حرارية بفعل الإحتراق، فتتغير هذه الطاقة لتتبدل إلى حركة و صوت و ما شابه ذلک. *** نعود إلى الموضوع، فأعمالنا و أفعالنا و أقوالنا إنّما تنتشر بصورة طاقات متنوعة فی الأوساط المحيطة بنا، و هی تؤثر على كل شیء بما فيه بدنناوالأرض التی نعيش عليها، و أثرها باقی لايعتريه الفناء و يحفظ دائماً فی صحيفة الطبيعة، فكما قلنا سابقا لا مفهوم للعدم و الفناء هناک، بل هناک تغيير فی الشكل. و بالتالی سيأتی اليوم الذی تجمع فيه هذه الطاقات التی تبدو منسية منتهية فتكتسب الحياة و تبيّن أنّها لم تعدم. لقد سمعنا بأنّه اخترع جهاز يستطيع تصوير السرّاق الذين يفرون من الموضع (يعنی يصور مكانهم الخالی) لأنّ الأشعة تحت الحمراء التی بقيت بصورة حرارة بدنية فی الموضع يمكن تصويرها، أو نسمع أنّ العلماء استطاعوا إستعادة الأمواج الموجودة على بدنة الأوانی الفخارية التی خلفّها المصريون قبل ألفی سنة فيجعلون الأصوات قابلة للسماع، و على ضوء ذلک سيمكننا التسليم و الإقرار بحلول مثل هذا اليوم بالنسبة بجميع أعمالنا و أقوالنا، و طبق المقدمة الأولى لإمكانية تبديل الطاقة إلى مادة لا تبقی

مشكلة بشأن تجسم الأعمال و تبدلها إلى موجودات مادية، و عليه فتجسم الأعمال مقبولة من وجهة النظر العلمية، و هذا بدوره يكشف عن مدى المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۳۷ اختلاف الحياة فى ذلك العالم عن الحياة هنا، لو فرضنا أنّ هذا التجسم يحصل فى عالمنا المعاصر فمثلًا يتبدل السب و الكلام الفاحش إلى موجود مؤذى إلى جانبنا، أو يكمن لنا كمستنقع نتن، أو أن يتجسم صفع البرىء وغصب حق الآخرين إلى موجود مشوّه مكروه، فكيف ستصبح حياتنا؟ سيقال: ما أحسن أن تكون كذلك، كى تكون خشيتها دافعاً للناس لعدم سلوك السبيل المنحرف، بل يسارعون إلى الخيرات (عليك بالدقّة). و لكن لاينبغى الغفلة أنّه على هذا الأساس سوف لن يكون هناك من تكامل فى أرواحنا و أنفسنا، بل سيكون هنالك نوع من العمل الإجبارى، يعنى كمن يحمل قسراً لمساعدة مؤسسة خيرية حيث لايترتب أى تكامل أخلاقى أو معنوى على عمله، و من هنا أكتفى بأوامر العقل و تعاليم الأنبياء فى هذا المجال. لكن على كل حال للإيمان بأصل تجسم الأعمال دور بارز فى بلورة الجانب التربوى لدى الإنسان، إلى جانب حثه الإنسان على الإتيان بالصالحات و الحيطة و الحذر من الطالحات و القبائح، و يفتح قلبه و فكره فى الأمور التى تتطلب الفداء و التضحية (عليك بالدقّة أيضاً).

الجنّة و النار

اشارة

لو أقيمت علاقة بين أم و طفلها التى فى بطنها و استطاعا التحدث معاً، فسوف لن تكون هناك أم قادرة على التعبير عن المنظر الجميل الساحر والخلّاب لحظة شروق الشمس أو غروبها على ساحل بحيرة رائعة تتناثر حولها الحشائش و الأشجار بأغصانها التى تداعب أمواج البحيرة. إنّها لاتستطيع تصوير حالة النسيم المنعش الممزوج بالرائحة العطرة للزهور و التى تحمل رسالة الحب، كما لا تستطيع شرح ألم فراق صديق حميم يتلظى بنار حبيبه، و ليس لها تمثيل سهره الليالى و تطلعه إلى السماء و الكواكب والنجوم، و أنى للجنين إدراك هذه المفاهيم و لم يتعامل سوى مع قبضة من اللحم و الدم؟ إنّ شرح نعم الجنّة و الآلام المفجعة لعذاب النار بالنسبة لنا نحن الذين نعيش فى جنين هذه الدنيا بالضبط كم مرّ معنا فى إدراك الجنين. حقاً- كما قلنا- فإنّ كلماتنا المحدودة فى هذه الحياة لأعجز من أن تصور الحقائق الخارجة عن دائرة الحياة الدنيا، و عليه فلابدّ من ألفاظ أخرى و مشاعر و أحاسيس و إدراكات أخرى لكى يمكن التحدث عنها أو سماعها، و ما أروع ما قاله القرآن الكريم بشأن تلك الحياة: «فَلَا تَعْلَمُ نَفْس مَا اخْفِىَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۰ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ اعْيُنٍ» «۱» و ورد فى الحديث: «فِيهَا مَا لَا عَيْنُ رَاتْ وَ لَاااذُنُ سَمِعَتْ وَ لَاخَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر» «۲» . و لعلنا نتعرف على أهميّة الأمر إذا ما تأملنا المفهوم الواسع لكلمة النفى «لا أحد»، هذا من جانب. و من جانب آخر فإنّ الصفات و الخصائص التى ذكرها القرآن الكريم لنعم الجنّة لا يمكن مقارنتها قط بما فى هذه الدنيا: ۱- «اكُلُهَا دَائِمُ وَ ظِلُّهَا» «۳». ۲- لا تتعفن مياهها أبداً و فيها أنهار من لبن لا- يتغير طعمه (و كأنّه بصورة دائمة فى محيط و فضاء مكشوف دون أن يفقد شكله الطبيعى) كما فيها أنهار من الخمرة التى تشتمل على اللذة دون السكر و العفونة: «فِيهَا انْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ انْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ انْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلْشَارِبِينَ» «۴». ۳- «وَ دَانِيَةٍ عَلَيْهِمْ ظِلَالُها وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذْلِيلًا» «۵». ۴- «يُسْقَوْنَ مِنْ رَحيقٍ مَخْتُوم* خِتَامُهُ مِسْك» «۶». ۵- ليس هنالك من حدّ لنعمها من حيث النوع أو الجنس، بل فيها كل ما تشتهيه النفس: «وَ فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَ تَلَذُّ الْاعْيُنُ» «۷». ۶- ليس فيها أى من معانى البغض و الحقد و الحسد و الصفات الذميمة، وهى مفعمة بالحب و الطهر و الا-خوة: «وَ نَزْعْنَا مَا فى صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ اخْواناً» «۸». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۱ ۷- محيط يفيض أمن وأمان، فلا وجود فيها للحرب و سفك الدماء، بل ولا النزاع و الجدال و كلها صلح و سلام: «لَهُمْ دَارُ السَّلام عِنْدَ رَبِّهِمْ» «۱». ۸- ليست هناك من لذة تفوق لذة مناجاة اللَّه و الاستغراق فى جمال الحق وجلاله سبحانه و الشعور بالسرور لرضى اللَّه: «دَعْوِيهِمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَ آخِرٌ دَعْويهُمْ ان الْحَمْدُ لِلّهِ رِبِّ الْعَالَمِينَ» «۲».

۹- تنبعث نار جهنم من نفس الناس و هم وقودها و حطبها: «وَ امَّا الْقَاسِـطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً» «۳» ، «وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الحِجَارَةُ» «۴».
۱۰- تختلف هـذه النار و سائر النيران فهى تحرق من الداخل و تسرى إلى الخارج و أول إقتداحها فى قلب الإنسان: «نَّارُ اللَّهِ الْمُوقَدَهُ* الَّتى تَطَّلِعَ عَلَى الْأَفْئِدَهِ» «۵». *** و نخلص إلى نتيجهٔ ممّا سبق فى أنّ العالم الذى يعقب الموت هو عالم أوسع بمراتب من هذا العالم و بمفاهيم جديدهٔ تماماً و حيّهٔ و نعم جمهٔ إلى جانب العذاب الأشد الذى لا نتصور سوى شبحه.

الخلود و العذاب الأبدى

اشارهٔ

كما لا تتساوى خـدمات و مخالفات كل الناس- من حيث الكميهٔ والكيفيهٔ- كذلك ثوابهم و عقابهم لايمكن أن يكون واحداً، و هذا مـا عليه المعاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۲۴۲ الحال بالنسبهٔ لقوانين العقوبات العاديهٔ لأفراد البشر فعقوبهٔ من يسرق خاتماً زهيد الثمن ليست كعقوبهٔ من يهجم على دار الآخرين فيسـرق ويسلب ما يشاء ثم يعمد لقتل النساء و الأطفال فى الدار. و من هنا فإنّ هنالك تناسباً دقيقاً بين الثواب و العقاب الإلهى- و الذى يجرى وفق خطهٔ محسوبهٔ و بعيداً عن كافهٔ أشكال الخطأ التى لا تخلو منها القوانين البشريهٔ عادهٔ- و طبيعهٔ الأعمال، و لاسـيّما أننا أشـرنا سابقاً إلى أنّ هناك رابطهٔ تكوينيهٔ و طبيعيهٔ قائمهٔ بين العمل و الثواب و العقاب، وعليه فاختلاف ثواب و عقاب الأفراد أمر واضـح لا نقاش فيه. إلّاأنّ المسـتفاد من المصادر الإسـلاميهٔ- بما فيها القرآن و كتب الحديث- هو أنّ جميع المؤمنين سـيخلدون فى الجنّهٔ، أمّا الأفراد العصاهٔ الذين مردوا على الكفر و الإلحاد و الذنب و المعصـيهٔ فانّهم سيخلدون فى العذاب، و قـد عبّر القرآن عن ذلـك بـالخلود التى تعنى فى اللغـهٔ بقـاء الشـىء على حاله، و من هنا يطلق الخالـد على الشـىء الـذى يأبى الفساد. وردت كلمهٔ «الخالدون» ۲۵ مرّهٔ فى القرآن الكريم و أنّ ۱۴ مرّهٔ منها فى عذاب جهنم و الخلود فيه، ووردت مفردهٔ «الخالدين» ۴۴ مرّهٔ فى القرآن وأنّ ۱۳ مرّهٔ منها متعلقهٔ بما سـبق أيضاً، كما وردت بعض العبارت الأخرى إلى مفردهٔ الخلود، مثلًا جاء فى سورهٔ هود بشأن المحسـنين: «وَ امَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّهِٔ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّموَاتُ وَ الأَرْضُ إِلّا مَاشَاءَ رَبُّکَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ» «۱» . و قال بشأن الأشـقياء: «خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السَّموَاتُ وَ الأَرْضُ الّا مَاشَاءَ رَبُّکَ» «۲». واضح أنّ الاسـتثناء الذى ورد آخر الآيهٔ (الّا ما شاء ربّک) لا يعنى قطع المعـاد و عالم الاخرهٔ، ص: ۲۴۳ الثواب و العقاب، بل بيان قـدرهٔ اللَّه سـبحانه، يعنى لايتصور بأنّ المسألـهٔ قد خرجت من يد اللَّه بمثـل ذلـک الثواب و العقـاب، كلا- فكـل شـىء مازال فى قبضـته سـبحانه وتعالى و شاهـد ذلک العبارهٔ: «عطاء غير مجـذوذ» بعد الاسـتثناء المـذكور. أضف إلى ذلـک فإن كان هناک من يتردد فى دوام عقاب المـذنبين فإنّه ليس هناک من ترديـد فى خلود ثواب المحسنين، و هذه قرينهٔ أخرى على ما ذكرنا (عليک بالدقّهٔ).

سؤال مهم

هنا ينقـدح سؤال مهم فى جميع الأذهان و مفاده: كيف نفسـر هـذه الحالـهٔ من عـدم المساواهٔ بالنسـبهٔ للَّه‌تعالى؟ كيف يمكن قبول هذا الأمر فى أن يقضـى الإنسان جميع عمره الذى لايتجاوز الثمانين أو المأهٔ سـنهٔ فى عمل الخير أو الشـر بينما يكون ثوابه أو عقابه ملايين الملايين من السـنوات بل أكثر؟ مع ذلک هذا المطلب ليس مهماً بالنسبهٔ للثواب، لأنّ الثواب مهما كان كثيراً فذلک دليل على فضل و كرم المثيب، و عليه فلا إشـكال فى هـذا الخصوص، إلّاأنّ الإشـكال فى كيفيـهٔ العـذاب الخالـد إزاء الـذنب و الظلم و الكفر و الإنكار المحـدود، فهـل ينسـجم هـذا الأمر وأصل العدالـهٔ؟ فمن لم يتجاوز ظلمه و طغيانه أكثر من مئـهٔ سـنهٔ لم يخلـد فى النار وعـذابها؟ أفلا تقتضى العدالهٔ نوعاً من الموازنهٔ بحيث يعاقب لمئهٔ سنهٔ أو أكثر على قدر ما صدر منه معصيهٔ؟!

إجابات غير مقنعة

إنّ صعوبة الردّ على هذا الإشكال دفعت البعض لتوجيه آيات الخلود، ففسروها بعدم إعتماد الخلود فى العقاب على أنّه يخالف العدل برأيهم. ۱- قال البعض: المراد بالخلود معناه الكنائى أو المجازى، يعنى مدّة طويلة نسبياً و هذا من قبيل مايطلق على من يحكم فى السجن إلى آخر عمره فيقال حكم عليه بالسجن المؤبد، و الحال ليس هناك من أبدية فى أى سجن حيث تنتهى هذه المدّة بانتهاء العمر، و منه ما تعارف لدى العرب من قولهم «يخلد فى السجن». ۲- و قال البعض الآخر: إنّ مثل هؤلاء الأفراد الذين أفنوا أعمارهم فى الذنب والخطيئة حتى أحاطت بهم وأصبح وجودهم معصية فإنّهم و إن خلدوا فى النار، إلّاإنّ هذه النار لا تبقى على حالها و بالتالى سيأتى اليوم الذى تخمد فيه هذه النار- كسائر النيران الأخرى- فيشعر أهلها بنوع من الهدوء الخاص. ۳- و أخيراً احتمل البعض حصول حالة من الإنسجام مع النار بعد مرور مدّة من الزمان و تحمل شدّة العذاب حيث يكتسبون خصائص الوسط فيتكيفوا معه بالتدريج و يعتادوه، و على ذلك فلا يعودون يشعرون بأى عذاب وألم! *** طبعاً كما ذكرنا فإنّ كل هذه التوجيهات بسبب العجز عن حلّ مشكلة العذاب الأبدى، و إلّافإنّ ظهور الآيات فى خلود عذاب طائفة معيّنة ممّا لايمكن إنكاره.

حلّ الإشكال

لحلّ هذه المشكلة لابدّ من العودة إلى الأبحاث السابقة و إصلاح الخطأ الناشىء من مقارنة عذاب يوم القيامة و عقوبته بسائر العقوبات، ليتضح من خلال ذلك عدم وجود أى منافاة لمسألة الخلود مع عدالة الحق سبحانه، ولإتضاح الأمر لابدّ من تسليط الضوء على ثلاث مقدمات: ۱- كما ذكرنا آنفا فإنّ العقاب الأبدى و الخالد يختص بالأفراد الذين أغلقوا على أنفسهم كافة سبل النجاة و قد مارسوا الكفر و النفاق عمداً و قد طبع الذنب على قلوبهم حتى عادوا أنفسهم معصية و خطيئة كما وصفهم القرآن الكريم: «بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَ احَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَاولئِكَ اصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» «۱». ۲- يخطىء من يظن أنّ مدة العذاب لابدّ أن تتناسب و مدّة الذنب، لأنّ الرابطة بين «الذنب» و «العقاب» ليست زمانية بل رابطة كيفية، أى أنّ زمان العقاب يتناسب و كيفية الذنب لا مقدار زمانه، مثلًا يمكن أنّ يرتكب فرد قتل نفس فى لحظة فيحكمه القانون بالسجن المؤبد، فنرى هنا أنّ زمان الذنب لحظة بينما قد تكون عقوبتها ثمانين سنة فى السجن. و عليه فالقضية تتوقف على «الكيفية» لا «كمية الزمان». ۳- قلنا سابقاً أنّ لعقاب الآخرة حيثية الأثر الطبيعى للعمل و خاصية الذنب، و بعبارة أوضح: الألم و المعاناة التى يعانيها المذنبون فى العالم الآخر هو أثر ونتيجة أعماله، فقد جاء فى القرآن الكريم: «فَالْيَومَ لَاتُظْلَمُ نَفْس شَيْئاً وَ لَاتُجْزَونَ الّا مَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»، «وَ بَدا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَاعَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَاكَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ»، «فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۶ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ الَّا مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ». و قد أوردنا عدّة توضيحات بهذا الخصوص فى بحث تجسم الأعمال. *** و بعد أن إتضحت هذه المقدمات الثلاث لا تبدو الإجابة على الإشكال صعبة، و يكفى فى الوصول إليها الإجابة على هذه الأسئلة: لنفرض شخصاً أصيب بقرحة فى المعدة إثر تناوله المشروبات الكحولية لاسبوع متتالى بحيث لابدّ له من تحمل هذا الألم إلى آخر عمره، فهل هذا التناسب بين العمل السيىء و نتيجته على خلاف العدل؟ و إذا فرضنا أنّ عمر هذا الفرد بدلًا من ثمانين سنة كان ألف أو مليون سنة و لابدّ أن يتحمل الألم لمليون سنة بسبب تهوره لاسبوع، فهل هذا يناقض العدالة؟ و الحال قد أنذر سابقاً من العاقبة الخطيرة لهذا العمل. و لنفرض أنّ فرداً ضرب عرض الحائط قوانين المرور التى تعود رعايتها بالنفع العام و الحد من الحوادث، و لم يصغ لأقوال الأصدقاء و تحذيراتهم فارتكب حادثة فى لحظة ففقد عينيه أو يديه و رجليه، و عليه أن يتحمل لسنين طوال هذا العمى أو قطع اليد و الرجل، فهل هناك من تناقض والعدالة؟ و قد ضربنا سابقاً مثالًا بهدف تقريب المطالب العقلية للذهن، فقلنا نفرض شخصاً زرع شوكاً ثم رأى نفسه بعد بضعة أشهر وسط مساحة شاسعة من الشوك فهى تؤذيه دائماً ... أو نثر بذور الزهور- عن علم- ليرى بعد مدّة أنّه وسط حديقة غنّاء مليئة بالأوراد و الزهور بروائحها العطرة، فهل مثل هذه الأمور التى

تمثل نتائج عمله تتنافى و العدل، و الحال ليست هناك من مساواة بين كمية العمل ونتيجته، و نستنتج ممّا سبق: المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۷ حين يكون الثواب و العقاب نتيجة و أثر لنفس عمل الإنسان لا يعد هنالك من مجال لطرح مسألة المساواة من حيث الكمية و الكيفية، فربّما كان العمل بظاهره صغيراً و أثره عمراً من الحرمان و العذاب و الألم، و لعله يكون صغيراً و يكون مصدراً للخير و البركة طيلة العمر. (طبعاً مرادنا من العمل الصغير من حيث المدّة الزمانية و إلّافالأعمال والذنوب التى تؤدّى إلى العذاب الأبدى سوف لن تكون قطعاً صغيرة من حيث الكيفية و الأهميّة). و عليه فإن أحاط الذنب و الكفر بجميع كيان الإنسان و تمام وجوده حتى يؤدّى به فى نار كفره و نفاقه فلم التعجب من حرمانه من النعم الواسعة فى ذلك العالم وخلوده فى العذاب و الألم؟! ألم يأته النذير و يحذر من هذا الخطر العظيم؟ بلى ... فقد أنذره الأنبياء من جانب و حذره العقل من جانب آخر. هل وقع فى ذلك دون إرادة و إختيار فابتلى بذلك المصير؟ كلا، لقد بلغه عن علم و إختيار. فهل صنع هذا المصير سواه و عمله؟ فكل ما هنالك من آثار عمله و نتائجه، و عليه فليس هنالك من مجال للشكوى و لا إشكال على أحد و لا من منافاة مع عدل الحق سبحانه. بقيت قضية واحدة نختتم بها البحث، فقد قال الصادق عليه السلام: «انَّما خُلِّدَ اهْلُ النَّارِ فى النَّارِ لأَنَّ نِيّاتِهِمْ كَانَتْ فى الدُّنيَا انْ لَوْ خُلِّدُوا فِيهَا انْ يَعْصُوا اللَّهَ ابَداً وَ انَّما خُلِّدَ اهْلُ الْجَنَّةِ فِى الْجَنَّةِ لأَنَّ نِيّاتِهِمْ كَانَتْ فى الدُّنْيا انْ لَوْ بَقُوا فِيهَا انْ يُطِيعُوا اللَّهَ ابداً، فَبِالنِّيّاتِ خُلِّدَ هؤُلاءِ وَهؤُلاءِ» «۱». المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۸ فلو نظرنا لهذا الحديث لبدت لنا فى البداية بعض الأسئلة التى لا يسهل الردّ عليها، لأنّ عقد العزم على الذنب لايكفى لكل ذلك العقاب بالاضافة إلى ما ورد فى الروايات بشأن نيّة الذنب لوحدها ليست ذنباً فضلًا عن عقوبته الخالدة، إلّاأنّه يمكن القول بعد التمعن أنّ هذا الحديث إشارة لطيفة إلى الأبحاث السابقة، لأنّ نيّة الذنب الأبدى فقط لُاولئك الذين طبع وجودهم بالذنب و قد أغلقوا على أنفسهم كافة سبل النجاة و إحترقوا بمعاصيهم. و بعبارة أوضح: إنّ هذه النيّة لا تؤثر بمفردها، بل «الخلود» خاصية تلك الروح الملوثة و الطائشة المصممة على الذنب الدائم، و من يبتلى بمثل هذه الحالة إثر الذنب فإنّه يبتعد عن اللَّه بحيث لا يبقى له من سبيل إلى العودة و هذا من آثار أعماله.

أين النار و الجنّة؟

هل النار و الجنّة موجودتان الآن؟ ... أم فى طريقهما إلى الإيجاد؟ ... و إن كانتا موجودتين فأين؟ و على فرض عدم وجودهما الآن و سيوجدان فأين سيكون موضعهما؟ من جانب آخر فإننا نقرأ فى بعض الآيات القرآنية أنّ الجنّة عرضها السموات و الأرض، فاذا كان كذلك فهل سيبقى من مكان لجهنم؟! هذه هى الأسئلة التى تعترض هذا البحث، لكن قبل الإجابة عليها لابدّ من الإلتفات إلى نقطة و هى أنّ للنار و الجنّة ثلاثة معانى مختلفة وردت فى الآيات القرآنية و الروايات الإسلامية: ۱- جنّة الدنيا. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۴۹ ۲- جنّة البرزخ. ۳- جنّة المأوى فى العالم الآخر. جنّة الدنيا ظاهراً هى هذه البساتين النضرة لهذا العالم، فمثلًا ورد فى القرآن الكريم بشأن قوم سبأ- اولئك القوم المتحضرون الذى عاشوا فى أرض اليمن ومازال علماء الاثار يهتمون بآثار مدنيتهم- قوله: «لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شَمِالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبٌّ غَفُور» «۱». و لا تقتصر مفردة «الجنّة» على حدائق الدنيا المخضرة بهذا المورد، فقد ورد هذا التعبير فى مواضع أخرى من القرآن، و الاحتمال القوى أنّ جنّة آدم كانت إحدى حدائق الأرض الخضراء، و هبوط آدم عليه السلام من الجنّة إلى الأرض هو نوع من الهبوط المقامى «۲»، لأنّ آدم عليه السلام انتخب منذ البداية خليفة للَّهفى الأرض، هذا من الناحية المادية؛ و من الناحية المعنوية فقد سميت مجالس العلم بستان من بساتين الجنّة.*** الجنّة و النار البرزخية، مركز للنعمة و العذاب للمحسنين و المسيئين فى «عالم البرزخ» يعنى العالم الكائن بين الدنيا و الآخرة، كما ورد بشأن الشهداء فى سبيل اللَّه: «... بَلْ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رِبِّهِمْ يُرزَقُونَ» «۳» . أو أنّ الشهيد حين يقع على الأرض يسقط فى أحضان أهل الجنّة «۴». أو سائر العبارات من هذا القبيل التى تفيد دخول بعض الأفراد الجنّة المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۰ حين موتهم «۱»، كل هذا يتعلق بالجنّة البرزخية. كذلك العقاب الذى ورد فى الآيات القرآنية و الروايات الإسلامية بشأن الظلمة و الطغاة

إنّما يرتبط بالنار البرزخيـة. و الجنّة و النار البرزخية التى يعبر عنها أحياناً بجنّة المأوى أو جنّات عدن وأحياناً أخرى ناراً خالداً فيها هى مركز للرحمـة أو العـذاب الأليم فى عالم القيامة الذى يفوق هذا العالم سعة، لكن أحياناً يحصل خلط فى هذه المعانى الثلاث للجنة و النار والـذى أدى إلى نتائـج خاطئـة بهـذا الشأن.*** و نعود الآن إلى أصل البحث: كان السؤال الأول هل للجنّة و النار الآن من وجود خارجى؟ و الحال أنّ عدداً من علماء الإسـلام المعروفين- من الفريقين- مثل علم الهدى السـيد المرتضـى و السـيد الرضـى و كذلك عبـد الجبـار و أبو هـاشم و همـا من علماء العقائـد يرون عـدم وجود الجنّـة و النار الآن و سـتجدان فيما بعـد، بينما يؤمن أغلب العلماء بوجودهما الآن، و هنالك العديـد من القرائن والشواهـد على هـذا الموضوع و منها: ۱- «وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً اخرى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى* عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوى» «۲». فالآيات تتحدث عن معراج النبى صلى الله عليه و آله و تفيد وجود الجنّة. ۲- «وَ انَّ جَهَنَّمَ لَمحيطَة بِالْكَافِرِينَ» «۳» فـالتعبير فى الآـيتين يفيـد الإحاطـة الفعليـة للنـار بالكـافرين حيث تطلق المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۱ جهنم عـادة على النـار. ۳- «اعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ» و «اعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» التى وردت فى مختلف الآيات القرآنية هى شاهد آخر على الموضوع «۱». هذا من جانب. ولكن من جـانب آخر يسـتفاد من بعض آيـات القرآن أنّ عرض الجنّـة السـماوات و الأرض: «وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُـهَا السَّمواتُ وَ الأَرْضُ اعِـدَّتْ لِلْمُتَقِينَ» «۲» فقـد عبرت الآيـة عن عرض الجنّة بعرض السـموات و الأرض، بينما عبرت آية أخرى بعرض السـماء و الأـرض، و الفـارق بيـن التعـبيرين واضـح. فقـد ورد فى آيـة: «سَـابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُـهَا كَعَرضِ السَّمـاءِ وَ الأَرْضِ» «۳». (من الواضح أنّ العرض فى الآيةَ لايراد به العرض الهندسى الذى يقابل الطول بل المراد به العرض اللغوى بمعنى السعة). و هنا يطرح هـذا السؤال: فمن جانب يَقول ظاهر الآيات القرآنية أنّ الجنّة والنار موجودان الآن، و من جانب آخر فإنّ سـعة الجنّة بقدر سعـة السـماء والأرض، فأين سـيكون هـذا المكان؟ أضف إلى ذلك ففى هذه الحالة سوف لن يكون هناك من موضع لجهنم؟ و هنا يساورنـا هـذا الفكر أنّ كلاهمـا فى باطن هـذا العالم، و لا نرى اليوم هـذا البطن، إلّاأنّها يظهران ذلك اليوم بمقتضـى: «فَكَشَفْنا عَنْكَ غِطائَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَديدٍ» «۴» و كل إنسان يحصل على نصيبه بقدر إسـتعداده! المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۲ يمكن أن يخطر هذا الكلام العجيب إلى أذهاننا، إلّاأنّنا نستطيع تقريب ذلك إلى الذهن بمثال: نعلم إنّنا لا نسمع الأمواج الصوتية لهذا العالم و ليس لنا سوى سـماع بعض الأصوات التى لها ذبـذبات معينـة و لا نسـمع غيرها بأى شـكل من الأشـكال. من جانب آخر نعلم أيضاً أنّ محطات إرسال الدنيا تبث أمواج خاصة مسـتمرة ليل نهار لا نتمكن من سماعها دون أجهزة لاقطة. و لنفرض أنّ مرسلتين قويتين تقوّى أمواجها فضائيات كبيرة و تغطى جميع أنحاء الكرة الأرضيـة واحـدة فى الشـرق و الأخرى فى الغرب، تبث أحـدهما آيات قرآنيـة بصوت مليح يداعب روح الإنسان و يجعله يعيش الجذبات الإلهية. بينما يبث من المرسلـة الثانية صوت مزعج و مؤذى يسـبب تعب الروح وإرهاقها إلى جـانب الأـذن و بالتالى تسـتبطن العـذاب الأليم! و هاتين المجموعتين من الأمواج تسير مع سائر الأمواج الصوتيـة فى الفضاء و قد ملأـت كل مكان، ولكنها ليست قابلـة للإحساس فى الحالـة العاديـة، فإن كانت لنا مسـتقبلة ذات موجـة واحـدة تلتقط مركزاً واحـداً و ذلك مركز إرسال الصوت اللطيف و المليح، فمن الطبيعى إنّنا نفتحه كل لحظة لنغرق فى هالة من السـرور و اللذة و المعنوية، و الويل لنا لو إقتصـرت مسـتقبلتنا على سـحب أمواج المرسـلة الثانيـة و نجبر أيضاً على رؤيتها، و لَكَم أن تتصوروا مدى الألم و الإنزعاج الذى نعـانى منه ليـل نهـار. طبعاً لم نرد سوى بيـان مثال من أجل تقريب المطلب إلى الـذهن، و الآن عليك بالتمعن و التأمل: ألا يمكن أن تكون الجنّـة و النـار موجودة فى أبعاد أخرى من هـذا العالم لا نشـعر بها، أى فى عمق وجوف هـذا العالم، المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۳ بحيث يسعنا إدراكه لو كـان لنا إدراك و رؤيـة أخرى ! ألا تنسـجم الآيـة المـذكورة بشأن النار و التى قالت و إنّ جهنم لمحيطة بالكافرين و هـذا التفسير؟ ألا تتضح أكثر على هذا الأساس الآيات التى صـرحت بأنّ سعة الجنّة كسعـة السـماء و الأرض (بالنظر إلى عدم وجود شىء خارج السماء و الأرض). ألا تعنى الآية: «يَوْمَ تُبَدَّلُ الارْضُ غَيْرَ الأَرْضَ و السَّموَاتُ وَ بَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهّارِ» أنّ هذه الأرض و المساء يوم القيامـة تحطم أبعادها الفعليـة وتظهر أبعاد القيامـة الكامنـة اليوم فى العالم. فتصور هـذه المسألـة- كسائر المسائل المتعلقـة بالحياة بعد الموت و المعاد- لا تخلو من تعقيد، لكن بالإلتفات إلى المقدمات المذكورة، فلعل ذلك احتمال قوى بخصوص

التفسير الفعلى لوجود الجنّة و النار، جدير بالذكر أنّ ماذكرناه آنفا واحد من الاحتمالات بشأن مكان الجنّة و النار و هنالك احتمالات أخرى نعرض عن الخوض فيها إبتعاداً عن الإطالة. ***

علامات القيامة

اشارة

نزلت أغلب السور القرآنية فى مكّة و التى صرّحت بالتذكير بالمعاد والحياة بعد الموت إلى جانب ذكرها للعلامات التى تسبق القيامة. و كان لابدّ لذلك الإنسان الوادع و البعيد عن المسؤولية و المجانب لمسيرة الهدف النهائى للخلقة و التائه فى صحراء الحياة، أن يتحرك و لاسيما فى ذلك الوسط الجاهلى الملوث، و عليه ينبغى أن تكون هناك صرخة عالية توقظه من سباته، و ليس هنالك أفضل من إلفات الإنتباه إلى الحوادث المرعبة فى الحياة الآخرة يمكنه أن يقوم بهذا الدور. و الآيات المتعددة التى نزلت بشأن علامات القيامة تدل بأجمعها على انّ القيامة لا تقم بهذه البساطة و الهدوء، بل يتزامن معاد الإنسان و قيامته مع قيامة عالم الخلق و التى تقترن بتغييرات عظيمة تجتاح كافة أنحاء نظام الكائنات. طبعاً يقول العقل و المنطق أنّ النظام الجديد للحياة لابدّ أن يقم على عالم جديد، لاعلى أنقاض العالم السابق، و يحصل هذا التقدم و التجدد كسائر التطورات و التجددات المهمّة التى تكتنف العالم على أساس قفزات عظيمة تشمل أنحاء عالم الوجود. المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۶ و الآن نسلّط الضوء على الآيات الواردة بهذا الشأن.

۱- الزلزلة العظيمة

«يَا ايُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ انَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىءٌ عَظيم* يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلّ مُرضِعَةٍ عَمَّا ارضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلُهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ» «۱». قطعاً تقع هذه الزلزلة قبل القيامة و على أعتابها، لا فى يوم القيامة، وذلك لأنّه لايوجدها فى ذلك اليوم و لامرضع، على كل حال فإنّ تلك الزلزلة العظيمة بداية تغيير واسع و شامل فى عالم الوجود، أى هو بداية الأمر و من ثم- كما سنرى- يستمر حتى نهاية الكرات السماوية، و أخيراً إنبثاق عالم الآخرة.

۲- إنطفاء جذوة الشمس و القمر

«إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ* وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ* وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ* وَ إِذَا الْعِشَارُ عُطِلَتْ* وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِّرَتْ* وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ* وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ* وَ إِذَا الْمُوءُدَةُ سُئِلَتْ* بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ* وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِّرتْ* وَ إِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ* وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ* وَ إِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ* عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ» «۲». فالواقع هو أن هذه التغييرات العامة تشمل الناس و الحيوانات و الجبال والبحار و الأرض و السماء و كلها تحضر القيامة. لابدّ من الإلتفات إلى أنّ هذه الآيات تعرضت إلى علامت القيامة و كذلك المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۷ جانب من حوادث يوم القيامة بحيث مزجهما معاً باسلوب رائع.

۳- اليوم الذى يحطم فيه كل شيىء!

«الْقارِعَةُ* مَاالْقَارِعَةُ* وَ مَا ادريكَ مَاالْقَارِعَةُ* يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَراشِ الْمَبْثُوث* وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالعِهْنِ الْمَنفُوش» «۱». فالحقيقة هى أنّ الزلزلة آنذاك شديدة إلى درجة بحيث تدك كل شىء وتقام القيامة! و قد أشير هنا إلى أوضاع الناس الحيارى الذين يخبطون خبط عشواء حين تلوح بوادر القيامة، يعتقد البعض و خلافاً للتصور المشهور و الشاعرى السائد فى الأذهان بشأن الفراشة و الشمع، حيث أنشدوا الأشعار و سردوا القصص التى تتحدث عن عشقها و تضحيتها من أجل معشوقها القاسى، ويبدو أنّ الفراشة لا

تضحی أبداً من أجل عشق الشمع، و هی ضحیة نسیانها فقط، لأنّ حافظتها ضعیفة و عاجزة بحیث تنسحب فور إقترابها من شعلة الشمع و شعورها بالحرارة، إلّاأنّها تنسی بعد برهة فتعود ثانیة إلی الشعلة وتکرر هذا العمل مراراً حتی تخاطر بحیاتها إثر هذا النسیان. و لعل تشبیه الناس فی الآیات المذکورة بالفراش المبثوث حین بروز أولی العلامات المخیفة للقیامة من أجل بیان عظیمة الحادثة التی تخطف العقول وتزیل الحافظة بالمرة.*** کان ذلک جانب من علامات القیامة و التی تفید بأجمعها مدی التفاوت المعاد و عالم الاخرة، ص: ۲۵۸ الهائل بین ذلک العالم و هذا العالم الذی نعیش فیه، و الذی سیقام علی أنقاض هذا العالم. و بهذا نختتم بحثنا بشأن المعاد و العالم الذی یعقب الموت، و إن کانت هنا و هناک بعض المسائل التی تتخلل هذا البحث و تحتاج إلی الدرس والبحث، إلّاإنّنا إبتعدنا عن ذلک خشیة الإطالة. أضف إلی ذلک فإن عالم البرزخ و هو العالم الفاصل بین عالم الدنیا والآخرة هو الآخر من المواضیع التی کثرت فیها الأبحاث و الذی یتطلب دراسة مستقلة. *** اللّهم وفقنا لأن نهذب أنفسنا إستعداداً لتلک الحیاة. اللّهم وفقنا لحیاة أبدیة إلی جوار رحمتک. اللّهم خذ بأیدینا لخدمه دینک و عبادک بما توفقنا به لرضاک و ترزقنا الشهادة فی سبیلک و الإستقرار فی مسکن رحمتک.

تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع " القائمیّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله" الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم. مرکز" القائمیّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... - مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی. - من الأنشطة الواسعة للمرکز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و... د) إبداع الموقع الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و

اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و... ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة "تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة) رقم التسجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقع: www.ghaemiyeh.com البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹